مُقَدِمَة في عِلم النَفس الغَيبّي



شخصيّتي أعرفها

الطبعة الأولى ١٩٩١ م - ١٤١٠ هـ

المؤسسة
اللبنانية
العربية
للتوزيع والطباعة والنشر

* بيروت - رأس بيروت - كاراكاس بناية يعقوبيان بلوك أ الطابق الأول -
برقياً: (مستوزيع) ص.ب. ٦٩٤٦/ ١١٣ تلكس: Eladi 43024LE.
تلفون: ٨٠٥٧٠١ - ٨١٢٦٦٥

شخصيّتي أعرفها

تأليف

د. مخائيل أسعد

عبد الرزاق جعفر

الإهداء

إلى من ألحّ يُردد: «بصِّر لي، إقرأ فنجاني، إليك كفّي، أأكون سوياً يقوى ولدي على احتمال صروف الحياة، أم تراني، طال الزمان أم قصر، منحرفاً إلى الغواية والشذوذ؟»، فأكد الحاحه الحقيقة، وأقام مداميك العلم، إذ كان وكأنه يقول:

«إذا مالت الغرسة انقصفت السنديانة، وإذا أُفقرتِ التربـةُ ضمرت الجذور والأغصان، وضاقت تيجان الزهور، ومن سرق البيضة سرق الجمل، ومن داس النملة نَحَرَ الصبّي».

فإليك، أنت وحدك، وما أكثر عديدك، يلمح في ابتسامة اليوم رقصة الغد، وفي رقصة الغد مهرجان المستقبل وعرسه.

إليك:

«شخصيتي أعرفها».

وما أحيلاك آنئذ مستقبلي، وما أخصبك حياتي، فإنْ عرفت شخصيتي أجدتُ قيادها، ورددتُ عنها ورددتها عن مزالق السوء والشر والضرر.

إليك:

صبياً كنت أو صبية، زوجاً أو عازباً، ناشئاً أو بالغاً، عاطلاً أو عاملاً، جاهلاً أو عالماً، مقوداً أو قائداً.

إليك :

إنسان له أعماق

يجهلها ويجهل أنه يجهلها
يتلمّسها ويطمس فعل
تلمُّسها
يعرفها وتنحرف معرفته لها
يعقلها ويُسيِّب حبل عقالها
يدجِّنها ويجأر أنه يحررها

إليك :

«شخصيتي أعرفها»

حركة من الرمز والدلالة إلى المدلول والشيء ومن الشيء والمدلول إلى الرمز والدلالة، حركة تضفي النظام على الفوضىٰ، وترسي العلم على الجهل، وتقيم الهدوء والفرح والهناءة مقام الفوضى والأسى والشقاء.

تمهيد

«فسّر لي حلمي، بصِّر لي، إقرأ فنجاني، أأكتب، أأوقع، أأرسم شيئاً». عبارات تلازم مجالسي ولقاءاتي بمن يُرمى إليهم بأخفى طرف أنني سيكولوجي. وأستجدى، ويلّح في استجدائي من جانب أناس أقلّ ما يقال فيهم أن عطشهم مُضنٍ إلى فهم شخصياتهم، وأن تلهفهم لمعرفة أيّ شيء عن أحوالهم ماضية كانت أو حاضرة أو مستقبلة، يتخطى كل فضول، ويتجاوز كل تطلع، وإنّ فئاتهم تتجاوز حدود كل الأصناف والطبقات فتشمل الذكور والإناث، الصغار والكبار الناشئين النامين والراشدين البالغين والشيوخ. وأرفض الاستجداء وانتحل الأعذار، ويصرّون ويرفضون الأعذار، ويتملقون ويشدّدون استجداءاتهم. فإن استجبت لهم، وأنا أحياناً أستجيب لاستجداءاتهم، أقرّ عطاشي بواقعية وصدق ما أقول في تفسيزي لما يحكون أنهكم يرون في أوحال فناجين القهوة ولطخات بقع الحبر أو حتى في طفشات العفونة على سقف الغرفة.

لا يستغرب عطاشي أولئك أن أرى في قراءتهم للوثة الحبر أو لوحة الفنجان أو لطفشة العفونة غيرتهم وقلقهم وحاجاتهم واضطراباتهم وشغوفاتهم ومخاوفهم وتعلقاتهم ومعتقداتهم وقدراتهم العقلية ونوعها وطبيعتها وجدّتها وكل ما يظنون أنّ أحداً غيرهم لا يملك أمر استشعاره بأي من السبل، بل أن الدهشة تنتابهم لمعرفة السحر والسر والطلسم والعين أو الجاسوس الذي يتآمر معي ضدهم فأخدعهم وأموّه عليهم وادّعي قراءة شخصياتهم من بقعة الحبر ووحلة القهوة وطفشة العفونة. إنه سرهم العميق، فلا يطمحن أحد إلى ولوج

موصد أبوابه. أذكر في الصدد المشار إليه فتاة دفعتني إلى حبها إلى الاستجابة لنزوتها والاستماع إليها تصف ما تراه في أوحال فنجان القهوة الذي رشفته وقلبته فتبقع. قالت الفتاة: إني أرى ها هنا امرأتين الأولى مسنّة قبيحة والأخرى شابة جميلة لكنها تعسة. ويقف بين المرأتين رجل وسيم في مقتبل العمر يتعلق بأذياله أطفال، .بل طفلان. ثم ماذا، أضفت بضرب من الدعابة؟ فرّدت الفتاة بأنّ قبح المرأة المسنّة شديد وبأنّ الرجل في حيرة بالغة من أمره. ابتسمت وبمزيج من السخرية والجد قلت مخاطباً الفتاة: مالك يا أخت، لماذا يستهويك الركض في الطرق المسدودة، اتركي الرجل لزوجته ولأولاده وابحثي لنفسك عن شاب من سنك ووضعك لا يقف بوجه زواجه منك عائق. شهقت الفتاة وفغر فاها وصاحت بي: قل لي من أخبرك بالأمر أهي أختي أم أمي، كيف عرفت ألم يسرّ لك أحد بذلك؟ رسمت ابتسامة صغيرة على وجهي، وفتحت عينيَّ قليلاً وردَّدت: أنت التي أخبرتني بكل شيء، فلقد رأيت فيما ليس صورة أو رسماً أو بشراً، بل مجرد لطخات من أوحال القهوة تناثرت بغير نظام على السطوح الداخلية للفنجان، امرأتين، بأوصاف وأوضاع ومواقف تدلان على غيرة الواحدة منهن من الأخرى وتؤشران تنافسهن وتثيران لديك القلق والرعب والحيرة. ولم يطل بك الأمر كثيراً لترفعي المؤشر إلى وجهك، فرأيت الرجل ممزقاً بين المرأتين، وأدركت تردده وحيرته بين أطفاله ونزوته من طرف وبين حب الفتاة الشابة، أنت من طرف آخر، إنك أنت التي أقامت الرموز ودلالاتها والأسيجة وأشواكها، وتوهمت أنك أخفيت ما بك وما يحركك. ربما تكونين نجحت في تمويه ما بك وما يحركك على نفسك، وتخطئين كثيراً إنْ أنت اعتقدت أننا، وبخاصة السيكولوجي العتيق، أنا، قد خدعنا وأخذنا بأسيجتك وتمويهاتك. إن لغتك بسيطة الكلمات، واضحة المفهومات، سلسلة التراكيب تجد طريقها بسهولة مذهلة إلى الباحث فيفهمها ويفهم ما وراءها وما يحركها وما تقول. كل ما فعلته لفهمك أنني قرأت عباراتك بعد أن أزلت عنها الأغطية المموهة وحطمت الأسيجة المانعة من حولها. تلك هي مهمتي، وما أنا ببصار أو بقارىء كف أو فنجان، وليس لي

عيون أبثّها وجواسيس أطلقها ترصد لي خصوصيات أعماق الناس.

لا تختلف طريقتك وأُسلوبك في إخفاء الأشياء وطمرها وتسييجها وتمويهها عن طريقة وأسلوب الآخرين من حولك. لقد عشت أنت وهم في ذات المجتمع فنهلتم ذات المعتقدات والأفكار والقيم والتطلعات وعانيتم ذات التوجسات والمخاوف، وتعلمتم ذات أفانين عقاب المجمع للمجترئين عليه وذات ضروب مكافآته للمنصاعين لمساراته. قد تكونين بنية عضوية إنسانية مغايرة لبنيتي العضوية الإنسانية مما يجعلك تتلقين «أشياء» المجتمع وتجاربه بشكل مختلف عن تلقي لذات الأشياء والتجارب. أو يكون اختلاف بنيتينا سبباً لاختلاف جوهري في فهم ذات أشياء المجتمع وتجاربه؟ نعم، إنْ كان الاختلاف في النوع والطبيعة أو الجوهر، وهو ليس كذلك. أنه اختلاف في الكم والمقدار وليس في الجوهر. كلا، لا يتوقع لاختلاف لا يطال الجوهر أن يقيم اختلافاً في جوهر الفهم والمعاناة إلاّ إذا كان اختلاف آلات تقطير العنب المخمّر يعطي كحولاً هنا وزيتاً هناك. يردّ أحدنا على أشياء المجتمع وتجارب معاناته فيه بطريقة تسييج وتمويه وتغطية لا تخفى على الآخرين لأنه يستخدم الرموز ذاتها، والدلالات ذاتها، فيعرف الآخرون الطريقة والأسلوب والرد والرمز والدلالة، ويفهم الآخرون، ويعرفون، ويعمىٰ المّموه المسيّج المغطّي، ويتوهم أن الآخرين بذات عمائه. ويخطىء المموه المسيج المغطّي وأيّ خطأ. هكذا يصير الذهب في الحلم «ذهيبة» ومصيبة والغنم «غنيمة» وربحاً والبراز الرخو الوفير «خيراً» وتوفراً وثراء. رمزية اجتماعية مشتركة وعامة تمكنني أنا الآخر، أحدكم أن أرى ما وراء الرمز حلماً كان المدرك أو محاولة تسييج وتغطية وتمويه يقظة، لكنني أختلف عنكم من عدد من المواقع. تغشيّ الرغبة في الإخفاء والتمويه والتسييج أبصاركم، ويقوي الفعل من إخفاء وتمويه وتسييج الرغبة والتلهف إلى المزيد منه، ويدفعكم توهمكم بأنكم أبعدتم الآخر عنكم إلى التوهم بأنكم وحدكم الذي يرى ويعرف، وبأن غيركم كفيف الرؤيا عاجز الإدراك، جوهر الأمر أن الآخر لا تمسكه الرغبة في إخفاء ما لديكم، ولا تقيّده منافع الأشياء ونزواته من تلك الأشياء فهي أشياؤكم

ونزواتكم ورغباتكم؛ أما رغبته هو فإلى التغلغل فيكم، ونبش أعماقكم مما يُبقي له حريته في أن يرى أشياءكم ويدركها بمعزل عن نزواتكم ومنفعتكم من تلك الأشياء. تتعارض نزواتكم ونزوات الآخر في ساحة أعماق كل منكم، فهو يريد أن يخفي ذاته وأن يفضحكم وأنتم تعملون نقيض ما يفعل فتفضحونه وتخفون ذواتكم. فتروق أو تصفا علاقة الدال بالمدلول أمام بصر المرء وهو ينظر إلى الآخر: إليكم فيرى بوضوح حيث تصاب رؤياكم بالكف والعطالة، فيعرف إنْ كان «الذهب» في الحلم شراً، ويعرف ما ان كان هذا الشر سيحل بساحكم أم ستكونون عليه مجرد شهود لا يأتيكم من شره شراً. أنا الآخر أحمل «مخرز» الشك في عيني، فأرفض المظاهر الخارجية للأشياء، وأدل على مواطن الضعف فيكم، وأحمل المبضع فأزيل الأغلفة المشوهة المموهة المسيِّجة، وأحمل الكلاّب، فأعلّق عليه أشياءكم وقد كشفت وجرّدت وأعض عليها تتدلى من الكلاّب، فأرى بسواء، وأدرك باستقامة: كل شيء وقد جرِّد من زحمة كل شيء.

وقبل أن نسير بعيداً في الشوط، دعوني أشير إلى الصحة النسبية أو الصدق النسبي للأمثال العامية فهي المنطلق الأولي أو الخام لقوانين علم النفس وذلك لقيامها في التجربة الجماعية للناس ولانبثاقها عن تجربتهم الطويلة وعن معاناتهم البعيدة الأغوار في تاريخ وجودهم، فهي والحال كذلك تجريدات علائقية لتلك التجارب، ولا يعوزها سوى عزل «خصوصيتها» عن عموميتها، أو تجريد الثانية من شوائب الأولى حتى تنقلب قوانين ثابتة صادقة ودقيقة تصف العلاقة القائمة في مقوِّمات الحادثة الإنسانية، وتشكل العلم.

يتكامل في سياقنا مثلان يؤكد الأول وحدة سلوك الفرد وعموميته، ويفيد الثاني الاستمرار والثبات. يقول المثل الأول: «من يسرق البيضة يسرق الجمل» ويضيف الثاني: «من شبّ على شيء شاب عليه» لا يعني المثل الأول أقل من التأكيد بأن سمة الفرد أو صفته السلوكية تغلف كلّ أنواع سلوكه في كل موقف، وفي كل مجابهة، فالصدق ملح زيد، والكذب عجينة عبيد. وليس يعني المثل الثاني أقل من التأكيد باستمرار السمة السلوكية فيها نتيجة

تعزيـز اشراطي بدأ واستمر فقوّىٰ السمّة السلوكية فتعممت وغلبت في كل مواقف الحياة الماضية منها والحاضرة والمستقبلة، فما ترونه في الحلم أو في بقعة الحبر ووحلة الفنجان وطفشة العفونة واحداً يشير إلى طريقتكم وأسلوبكم ورمزيتكم في رؤية الأشياء ومعاناة التجارب ومجابهة الحياة: وليست الكلمة تكتبونها أو التوقيع ترشقونه سوى وظيفة أو نتاج ذات طريقتكم وأسلوبكم ورمزيتكم في كل سلوك وفي كل موقف وعند كل مجابهة تنطلق من ذات المستوى الإدراكي، وتنهل من ذات الرصيد الترميزي العلائقي، وتستخدم ذات الدلالات التي قامت فيكم بتعزيز اجتماعي طويل عميق بعيد.

حاول أن ترشق توقيعك على ورقة أمامك، وتأن في عملية الرشق عسى أن تلاحظ حركات يديك ومسارات قلمك وضغطك بالقلم هنا وإرخاءه هناك ثم ارسم ذلك التوقيع بأوصاف كلامية كأن تقول: «انطلقت بالقلم بعنف، ثم تراخيت وعدت فهدأت ثمّ جنحّت بهدوء فوق الورقة حتى وصلت الميناء، وهناك شعرت أن ما أسعى إليه كان عبثاً لا طائل تحته فأجريت قلمي بعنف أضرب كل ما رسمته: «تلك صورة وصفية كلامية لحركات قلمك فوق الورق أخذت من ضغطك والتفافك وهدأتك و. . . و. . . اترك تلك الصورة في ذهنك وتذكر قبالتها طريقة اختيارك لمهنتك، أو طريقة معاملتك لأصدقائك أو لزوجتك أو لوالديك أو لرؤسائك أو لمرؤسيك وارسم مخطط صورة تلك الطريقة بالقلم، لا تحلّن بك الدهشة أو العجب انْ ماثلت مخططة طريقة معاملتك لزوجتك أو لرؤسائك أو لمرؤوسيك، مخططة توقيعك الذي رشقته قبل قليل على الورقة، واهدأ واقنع «بوحدانية» السلوك الإنساني ان تماثلت الصورة الكلامية التي أقمتها لتوقيعك مع الصورة الكلامية التي تذكرتها بصدد معاملتك لزوجك أو لرؤسائك أو أنْ تماثلت الصورة التخطيطية لمعاملتك لزوجك ولرؤسائك مع الصورة التخطيطية الفعلية لتوقيعك. هل أدركت وحدة السلوك واستمراريته وثباته؟ عسى!

لعلّ أكثركم، بعد هذا، تقوّت قناعته بعدد من الأساليب الشعبية من مثل قراءة الكف واستشارة الأبراج. إلا أن ما طرحته يجب أن يُعرّي ذينك

الأسلوبين ويفضح زيف طروحاتهم في فهم الإنسان والتنبوء بمستقبله. تمعّن بمقاربة الأسلوبين المذكورين، تر في قراءة الكف أن «ربطاً» يُقام بين مسارات خطوط الكف وتشعباتها من طرف وبين مستقبل صاحب الكف من الطرف الآخر، وتر في استشارة الأبراج أن ربطاً مماثلاً يقام بين مولد الفرد في يوم معين من أيام السنة: برج ما، وبين ماضي ذلك الفرد ومستقبله وما سيحلّ به إن في القريب العاجل أو البعيد الآجل. إن أيّاً من الأسلوبين لا يمس «رصيد» رمزية الفرد ويتناسى أو يغفل، عن عمد أو عن غيره، واقعة أن للفرد رمزية تربط الأشياء والتجارب وتعقلها بدلا ليتها سواء الخاصة أو الإجتماعية مما ينفي أيَّ علاقة لمقومات الكف أو البرج بحياة الفرد. تعتمد الدلالة أو الرابطة الوحيدة التي يمكن أن تقام على تعلق الفرد وشغفه بما يقوله قارىء الكف أو مستشير الطالع وتتمثل أو تختصر في قدرية الفرد وتوقعيته، واتكاليته، أو توجسه وركونه القدري الكسيح إلى الغيب يستلهمه العطاء وإلى القدرة العلوية يسترحمها ويستجديها ويتوسلها الرأفة وإلى ذاته يدلل اهتزازها، ويبرر ضعفها، ويعقّل خوفها من المبادرة والمغامرة والإنطلاق والفعل والإيجاد، للتعلق بقراءة الكف واستشارة الطالع، إذن، أهميته، لكنّها ليست في التنبوء بمستقبل الإنسان، ومصيره بل بذلك الجانب الصغير من حياته وشخصيته أي قدريته، واتكاليته ضد إيجاديته واستقلاليته وهي بهذا تماثل طرق المقاربة الأخرى التي ندعو إليها، ونعمل فيها في هذا الكتاب.

تصور خطوط كفيك وتشعباتها والإرتباط المقام لها مع مستقبلك، تصور ذلك، ولا تنس قراءة مخططة كفك وتذكر محدودية تلك بالقراءة بتشابهها مع مخططات العدد الكبير من الناس الذين يحملون ذات المخططة الكفيّة ويجب، تبعاً للرابطة المقامة والمشار إليها، إن تشابه مستقبلك نظيره لأولئك الناس وإن يساوقه. عاين ٱلآن حياة بعض المقربين منك، بعض أهلك اللذين قد تتشابه معهم في المخططة الكفية، تتضح لك ترهية الإدعاء بصحة الرابطة المقامة بين مخططة الكف ومستقبل الفرد، وتتمزق أقنعة الزيف عن أسلوب قراءة المستقبل من الكف. فانس للحظة أثر تشعبات الكف في مستقبل الناس

وتناسى يد المصور الذي خَطّ تلك الوسمات في عين له على مستقبلك، واسأل إن كان خطك يماثل خطوط أسلافك أو إن كان سيماثل خطوط أحفادك الذين يحملون ذات الوسمات. انس ذلك كله للحظة، واسأل لماذا أقام المصور الخالق رابطة مخططة الكف المستقبل، وكيف أقامها ولماذا أغفل فيك وظيفة أخرى أنيط بها تحديد المستقبل وصنعه. تلك الوظيفة هي قدرتك العقلية. اسأل الخالق كيف وضع فيك القدرة العقلية التي من شأنها التفكير والتخطيط وجعل حياتك محكمة مقدرة مخططة كفك. أليس ذلك تجن على الخالق وكفراً بعطائه أو جحوداً.

تعال الآن إلى الأبراج، واعلم أن ما يربط من الأبراج بحياتك إنّما هو حال الكون في أيام معينة، فيقال إنّ من ولد في فترة العقرب وما بها من حال كونية فريدة سيصيبه من الحياة «كذا» وإن من ولد في فترة الثور بحالها الكونية المتميزة سيناله من الحياة «كيت».

لنسأل بقدر كبير من الجدية كيف حدث لتلك التغيرات الكونية أن اختزنت فيك وأثرت في (عضويتك وعقلك وروحك أو أي شيء أخر فيك) المباينة لحياة الآخرين (عضوياتهم وعقولهم وأرواحهم أو أي أشياء أخرى فيهم) أثراً واحداً فوحّدها وماثلها. أليس كان يجب لحياة مختلفة عن حياتك بعضويتها وعقلها وخواصها وأي شيء آخر فيها أن تتلقى الأثر بشكل مختلف عن طريق تلقي حياتك له، أم أنك ترى للأثر المذكور قوة خارقة وشدة تفاعلية مذهلة تمحو حياتك وحياة الأخر وتضع فيهما شيئاً جديداً لم يقم إلاّ في عقول مستشيري الأبراج. أما عقول من ولد في ذات البرج وأجسامهم وأرواحهم فمتباينة وقد يكون تشابهها مع بعضها الآخر أقل من تشابهها مع أبناء الأبراج الأخرى. ثم ولننقل الأمر بشيء من التفكهة، يقول برجك لهذا اليوم: ستواجه خلافاً مع الحبيب وستصلك رسالة من طريق وستغضب وستحضر حفلاً راقصاً. . و. . . و. . الخ هذا ما يقوله برجك لهذا اليوم وهو ذات ما يقوله لطفل أو شيخ أو لمريض يعاني سكرات الموت أو لكسيح لم يحلم قط بحفل راقص. فماذا تقول عن مقاربة تقول أشياء بذلك المعنى لإنسان لا يملك مقومات تحقيقها أو لا يحلم بتحقيقها. كان بودي أن أقول الكثير في نقد

الأبراج كأسلوب مقاربة للتنبؤ بمستقبل الفرد غير أني أكتفي بالإشارة إلى أنني شخصياً أقرأ ما يكتبه البراجون. ويغمرني الإرتياح أو الضيق وأفرح أو أتألم، وأبقى أتابع ما يقوله البراجون. فأتفاءل وأنجح انْ قال البرج خيراً وأتشاءم وأفشل انْ قال البرج شراً، أو أختلف في سلوكي هذا عن سلوكي في التحدث إلى الناس ألاطفهم وادفعهم إلى ملاطفتي واحترامي ومديحي جراً للارتياح إلى نفسي وخلقاً للتفاؤل في حياتي الذي يجرّ إلى النجاح. قد تكون ملاطفة الناس لي رياء خالصاً وقد يكون احترامهم لي خبثاً دنيئاً ومديحهم تملّقاً بشعاً إلّا أنني أنفتح على الحياة وأبادرها بثقة واطمئنان. ومع المبادرة الواثقة المطمئنة أحقق النجاح المرجو، وأفشل وتسوّد الدنيا في وجهي وأقعد عن المبادرة لإهتزاز ثقتي بنفسي انْ قابحني الناس وشتموني واتهموني. ان ما يحدث لي مع الأبراج هو ذات ما يحدث لي مع الناس فإذ ا أطالع البرج طمعاً في الثقة وسعياً إلى التفاؤل وجراً للنجاح. أليس تكفي الأبراج وظيفتها تلك؟.

جوهر الأمر أن مطالعة الأبراج وقراءة الكف تعجزان عن أن تكونا باباً لفهم الشخصية أو للتنبؤ بمساراتها وتبقيان باباً لفهم الضعف ينخر صروح قمم القوة الشامخة والعنفوان ولفهم اهتزاز الثقة بالنفس ومداوراتها وأفانينها في تحقيق النجاح. كثيرة هي الأوقات التي تضعف فيها الذات وتهتزّ ثقتها بنفسها وكثيرة هي المناسبات التي تلجأ فيها الذات إلى خمرة النجاح تلهمها وتقضي على ترددها فتدفعها إلى المغامرة فالنجاح. تلك هي وظيفة مطالعة الأبراج وقراءة الكف، ولنعم الوظيفة انْ حُدّت في أطرها الالهامية المشار إليها.

فأي أُسلوب وأية مقاربة، إذن، لفهم الشخصية والتنبؤ بمساراتها المستقبلة انطلاقاً مما يشخص فيها من سمات ودوافع واتجاهات؟ و... و... و...؟ يعمل اثنان من الأساليب الاسقاطية الشهيرة على تشخيص أعماق الشخصية. انهما أسلوب بقع الحبر أو الرورشاخ وأسلوب تلمس الموضوع أو تي إي تي لمواري، ولكل منها دلالته وأهميته ويكاد ان يتوازيان في الأهمية. يقوم أسلوب بقع الحبر على مواجهة المبحوث بمثير غامض معدوم الشكل والمعنى والدلالة فيرى المبحوث المعنى والدلالة فيما لا معنى

ولا دلالة له في الأصل وتتباين ردود المبحوثين على المثير الواخد (اللوحة الواحدة) وعلى مجموع المثيرات (اللوحات العشرة) مؤشرة الرابطة الرمزية الدلالية الخاصة التي قامت في حياة المبحوث ووجوده. تتركز مهمة الباحث في قراءة تلك الرابطة وتحويل المجرد الرمزي منها إلى مشخص تجاربي. قد يرى المبحوث في عمق اللوحة المثير سواداً كالحا ترتجف له مفاصله وهو يعيش الموقف الأسود الكالح ويعبر عن معاناته تلك بخوفه وارتجافه وانحراف فعل إدراكه سواء باصطفائه الإدراكي لذلك الجانب من اللوحة المنير أو «بتعيينه» موضوعات تفعل أمراً ماله أو حوله مما يفيد في «كبت مقومات أعماقه وتحويرها وقاية لنفسه المرتجفة أمام السواد. في عيش المبحوث للموقف المذكور أشياء مشخصة في داخله تسقط على جانب من اللوحة المثير بلونه أو بشكله أو بانسجامه مع الأشياء الأخرى. اللون والشكل والانسجام في اللوحة مثيرات ترمز وتؤشر للخوف المكبوت في أعماق المبحوث لارتباطها الإشراطي القديم بالخوف. هنا إذن، رموز مؤشرة وموضوعات مؤشرة تعمل وتتفاعل في ذات المبحوث. انّه يرى الرموز وما تؤشره ولكنه يخاف افتضاح أمره فيلجأ إلى تشويه ما يرى فينكر ويكبت ويبرر عبر فعله إعادة تعيين الموضوعات المؤشرة. يتمعن المبحوث السواد المؤشر فيتذكر غيرته من إخوته أو أو ديبيته المكبوتة فيخاف وترتعد فرائصه وتتالى سلاسل المعاناة ويتتالى قلبها وتحويلها فتنفتح مغاليق حياة المبحوث.

يختلف أسلوب تلمس الموضوع أو استشعاره قليلاً عن أسلوب بقع الحبر. الأسلوبان اسقاطيان. إلا أن مثير أسلوب تلمس الموضـوع يتخد «بعض» الشكل ويبلو بعض الوضوح ويتشخص دون أن تعرف هوية الشخص وما يفعل. يتطلع المبحوث إلى لوحة اختبار تلمس الموضوع وقد طمست أو أخفيت هويات أشخاصها وأفعالها وماعت أدوارهم أو غامت إلى تصور هويات أولئك الأشخاص وأفعالهم وأدوارهم. والتصور إسقاط يلقي عبره المبحوث هويات أشخاص عالمه الخاص وأفعالهم وأدوارهم على أشخاص اللوحة أيختلف فعل المبحوث هنا عن فعله في الرورشاح؟ هل يمتاز أسلوب على

آخر في الكشف عن أعماق المبحوث وبأية صيغة أو شكل؟

الحركة السيكولوجية المنطلقة في أعماق المبحوث واحدة في أسلوبي بقع الحبر وتلمس الموضوع: إنطلاق بين الرمز المؤشر والموضوع المؤشر وما يرافق ذلك الإنطلاق من كبت ونكران وتبرير وفضح لأعماق الذات وكشفها أمام اذني الباحث. أليس هناك، إذن، من خلاف بين الأسلوبين؟ نعم وهو في غموض مثير الرورشاح الذي يعمل مكبحاً لجموح الخيال ولمشاعر الحذر من أن الذات المبحوثة تطلق ما رغبت في إبقائه سراً. أما في اختبار تلمس الموضوع فيكون المثير أقل غموضاً ولأشخاصه هويات توحي بحركات ووظائف تسهّل إنطلاقة الحركة السيكولوجية لأعماق المبحوث وتخفف من مشاعر الكبح المضادة للتعبير والمشددة للكبت، إذ لا يخشى المبحوث، هنا أن يرشق ما يحسه لاطمئنانه إلى أن ما يراه ويدركه ويطلقه إنما توجيه اللوحة لعلّ المبحوث يحاورُ مُباحِثه قائلاً «لست أنا، ألا ترى ذات ما أراه؟» ميزة لوحات اختبار تلمس الموضوع، إذن، تسهيل حركة الإنطلاقة السيكولوجية لأعماق المبحوث وفي لجم المشاعر الداعمة أو المشددة للكبت. أما نقيصته، فتبقى في قيام جانب ما من الإنطلاقة الحركية السيكولوجية رداً موضوعياً على المثير الزاخر بهويات مؤشرة الوظائف مما يضيق في المجال أمام مفسّر الاختبار في سبر مكنونات أعماق المبحوث.

يرجع جانب من اختيارنا لإختبار تلمس الموضوع بدلاً من اختبار بقع الحبر أو الرووشاح، لاعتقادنا بأن المبحوث يشعر، لدى سؤاله تصور ما في اللوحة أنه أمام مدرك صحيح ومثير موضوعي معقول مما يضعف من رغبته لكبت ما يراه، ويريحه ويطمئنه إلى أنا إنما نطلب إليه تصوير وإدراك شيء حق هناك، ويغيّب شعوره بأنّه إنّما يدفع لرؤية شيء موهوم وأنه إنّما يُسخَر منه. تدفع العوامل السابقة المبحوث للتعبير بحرية عما يشعر ولإسقاط ما يعانيه بأدنى حد من الوجل والتوجس من أن يمسكه الباحث. لكل ذلك فضلنا اختيار تلمس الموضوع.

عمدنا، الدكتور عبد الرزاق وأنا، خلال وجودنا في المغرب العربي إلى تطبيق الإختبار على فئات من التلاميذ التي عاقدت الإضطراب في المدرسة.

غلب على عيّنتنا في تلك المرحلة الغرباء لأسباب عدة منها معاناتهم من اضطراب نفسي طويل واندفاعهم، خلافاً للمواطنين، لإيجاد العون الفني المنهجي من العاملين في حقل المساعدة السيكولوجية، ومنها إلفة أولئك الغرباء بأدوات القياس التي لم تشعُ بعد في مجتمعاتنا بالإضافة إلى تشوش الأمر لدى مواطنينا العرب وخلطهم لممارسات التبصير وقراءة الفنجان والغيب والكف بالأساليب العلمية في التعرف على الشخصية.

عدّت معاناة المبحوث من اضطراب نفسي معروف والتشخيص المسبق لذلك الإضطراب معياراً حاسماً لصدق إختبار تلمس الموضوع، شريطة حجب وقائع ذلك التشخيص عمن يناط به إعطاء اختبار تلمس الموضوع وتفسيره.

فوجئنا، لدى إجراء البحث، بفئة كبرى من مواطنينا العرب تخلط قياس أعماق الشخصية بالشعوذة المميزة لقراءة الفنجان والكف والغيب. لم يختلف المثقفون من هؤلاء عن الناس العاديين أو الأميين. كان الباحث يعرف الوقت والجهد عادّاً أنه يقوم «بعمل علمي» مع مواطن مثقف، معتقداً أنّ الأمور تمشي وفق توقعاته، إلا أنّه قبل انتهاء إجراء الروز، كثيراً ما كان يفاجأ بالمبحوث يسأله إنْ كان ما قرأه له صحيحاً مضيفاً أنه سبق لجانب مهم منه أن تحقق، وينهي صلواته باستجداء أن تبّصر له ثانية.

دفعتنا تلك الحال إلى الثقة بما نفعل، أولاً، وإلى إبعاد المبحوثين العرب من الدراسة في مرحلتها الحالية على الأقل. انّ مواطنينا لم يألفوا هذا النوع من الإختبار وهم أميل لعدّة ضرباً من قراءة الغيب والمستقبل، لقد طالما شعرنا أن بعضهم كان يردّ علينا بطريقة قارئة الفنجان، فيقول «هنا رسالة من غائب»؛ فعلاً. لكل تلك الأسباب رأينا استحالة التوصل إلى إقامة معايير استجابية محددة في هذه المرحلة من التطور الاجتماعي العلمي لبلادنا وقررنا تأجيل وضع الاستجابات المعايير التي تقارن بها فئات الناس، بل واكتفينا بتحليل استجابات الأجانب الغرباء.

عرضنا الصور على المبحوثين مذيلة برموزها المؤشرة لهويتها وبشرح

شفوي بسيط يصفها ويشير إلى فئة صنف المبحوثين الذين تستخدم معهم، أهم من الذكور أو الإناث، من الأطفال المراهقين أو من جميع الأعمار.

وانتقلنا من ذلك إلى طريقة التطبيق مؤكدين الأهمية البالغة لكسب ثقة الأطفال الصغار سلفاً وذلك بالسماح لهم في أن يلعبوا، أو يرسموا، أو يعبثوا بالمعجون يصنعون منه ما شاؤوا من النماذج قبل إعطائهم الإختبار. ثم شرحنا العوامل التي تجب مراعاتها في التطبيق من مثل المدلول والإرادة الحسنة والتعاون وموقف المبحوث والفهم والإدراك والتفسير وبناء القصة والتعبير التفهمي. أشرنا، أخيراً، إلى عدد الجلسات وسبل استخدامها ومشينا، من هناك، إلى تفسير الإختبار فأولينا الأهمية القصوى للقصة والممارسة والعمل أو الرغبة الدائمين لتحسين واكتشاف الخطأ.

كانت خطواتنا حتى تلك اللحظة «إعدادية» تتناول مبادىء التطبيق أو خطواته، وتركزت خطواتنا اللاحقة في الممارسة الفعلية لتفسير قصص المبحوث حول الصور مما يجعلنا نصفها «بالتفسيرية» أو بالجوهرية. شرحنا، هنا، آلية الإضفاء عبر جميع الصور، فانتقينا بعض قصص المبحوثين رويناها كما سردها أصحابها، وحللناها في إطار التجربة الفردية لعناصر القصة فردية كانت تلك الأصول، أو إجتماعية، أو فردية إجتماعية أو إجتماعية فردية. نذكر، في هذا السياق بالقصة التي أرجعت إلى أسطورة العصيان والخروج من الجنة، والتي غلّف فيها إطار الإستناد الإجتماعي للفكر تجربة الفرد وعلاقته بأمه وبأسرته.

جمعت تلك المحاولة في كتابنا «شخصيتي أعرفها» وهو يأتي بعد سلفه «شخصيتي كيف أعرفها»، فيجيب عن السؤال ويبلغ الطريق ويحقق الهدف، وكان أحرى به أن يعنون «شخصيتي أتلمسها» لأن التلمس أقوى من المعرفة دون أن تنزل الأخيرة عن رفعة طورها وسمو مكانها أو تتخلى عن دورها الفاعل في نظم «لقيات»[1] الحياة. أنه سير حياتي يا لأرجل جافية فوق الجمر واكتواء

(١) مفهوم عربي يراد له أن يعبر عن الكلمة الإنكليزية Findings ومفرده لقيه.

مباشر بلهيب اللقى. أما المعرفة فإنعال للأرجل الحافية بالإنزواء في ركن قصي ورصد اشتعال الجمر من ذاك الركن ووصف سلوك الإشتعال من تصور حركة ذاك السلوك بلغة رمزية تترك الكثير من حركة إشتعال الجمر في مواقد الاحتراق تتصوره ولا تعانيه، تمسك بعضه ويفرُّ منها أكثره. فالتلمس اكتواء للمدلول بالدلالة وإقامة للرمز من لهيب المرمز. إنه أقوى من مجرد التأمل وأصدق من مجرد التصور إنه تصور متأمل لمواقد الجمر من مواقد الجمر، إنه المعرفة الحقة.

يبقى، برغم ذلك، عنوان كتابنا «شخصيتي أعرفها» وإن كان حرياً به أن يكون شخصيتي أتلمسها. وعسى أن يألف القراء ما توحيه معاني التلمس، فيدفعوننا إلى إصلاح ما قد يكون فسد.

المؤلفان

مدخل

نحن لا نعرف شيئاً عن الناس الآخرين اللهم إلا سلوكهم ، أي مجموعة المواقف التي يتخذونها في وضع معين والتي تمكن ملاحظتها . فاذا اكتفينا بتسجيل الوقائع التي نلاحظها فقط فإننا لن نتخطى عتبة علم النفس ، كما أننا لن نستطيع فهم سلوك الفرد ، ذلك السلوك الذي لا تمكن معرفته إلا حين نخلق له مثيراً نفسياً يمكن فهمه وتأويله . ومن المناسب أن نلاحظ أيضاً أن الظاهرة النفسية ليست في متناول الملاحظة المباشرة إلا إذا كان الأمر يتعلق بنفسنا ذاتها ، أما فهم سلوك الآخرين فيظل غير مؤكد إلى حد بعيد .

لنأخذ مثلاً بسيطاً جداً يوضح فكرتنا : سائل يقف في الشارع ماداً يده . حين يمر أشخاص آخرون بالقرب منه نجده يدمدم ببعض الكلمات الغامضة . يفتح بعض الأشخاص الذين يمرون من ذلك الطريق ، محافظهم ويمنحونه شيئاً من المال . هذه هي الوقائع التي نلاحظها . فاذا حاولنا فهم سلوك السائل وسلوك المحسن فما علينا إلا أن نتساءل « **عما يجري في نفس كل منهما**: فالسائل مثلاً يمكن أن يكون شقياً تعساً بسبب اضطراره إلى مد يده إلى جماعة غرباء عنه ، وربما لم يلجأ إلى هذه الوسيلة إلا بعد أن ناقشها طويلاً بينه وبين نفسه وبعد أن رأى أولاده يتضورون جوعاً دون أن يتمكن من العثور على وسيلة أخرى توفر لهم الغذاء . ولهذا ربما كان يشعر بالخجل . ومع ذلك ربما كان هذا السائل انساناً كارهاً للعمل كسولاً يفضل اللجوء إلى السؤال على العمل المنظم . أما المارة فمنهم من يحسن إليه استجابة لعاطفة الشفقة الصادقة ، ومنهم من يفعل ذلك خوفاً من سلاطة لسانه ، بينما يرغب ثالث في التظاهر بأنه مستعد للقيام بالتضحية والبذل ، وأما الرابع فهو فريسة لشعور خفي بالذنب يدفعه إلى لوم نفسه وتقريعها لأنه يعيش في ظروف أحسن من ظروف ذلك المسكين ، والخامس ربما كان يعتقد أنه باحسانه يقوم بواجب يفرضه عليه الدين ، وشخص آخر

يفعل ذلك لأنه عرف الشقاء ، وغيره يريد أن يبرهن على طيبته . . . فكيف تمكن معرفة ما يدفع الإنسان إلى اتخاذ سلوك معين نستطيع ملاحظته في موقف معين ؟ .

إن سلوك الإنسان رهن بالموقف الذي يوجد فيه كما أنه رهن بشخصيته . ولنطرح الآن جانباً ما يتعلق بموقفه لكي نصبّ اهتمامنا على الأمور المتعلقة بشخصيته التي يمكن أن نصنفها تصنيفاً جوهرياً في منظومتين متعارضتين من العوامل : **العوامل الثقافية والعوامل الإنفعالية** . ويعير أغلب الناس أهمية قصوى للعوامل الثقافية ويقدرون أن السلوك يتحدد بواسطتها بالدرجة الأولى . وهذا وهمٌ ، بالغ الأهمية . ذلك أن السلوك الإنساني يحدد بالإنفعالية بالإضافة إلى الفكر . وفي أغلب الأحيان لا يتدخل الفكر في الأمر إلا ليفسر السلوك تفسيراً خارجياً .

إن الحياة تلح علينا دائماً بأن نمتلك تصورات عن الآخرين وأن نعرف ما يخفون وراء مواقفهم الظاهرية . ونحن ، بتكويننا رأياً ، لا نشعر ، بصورة عامة ، بما يدفعنا لتكوين هذا الرأي المعين عن كائن آخر ولكننا نفهم هذا الكائن بصورة « حدسية » . ويمكن أن تكون الصورة التي نكونها عنه صحيحة ولكنها ، في غالب الأحيان ، خاضعة لبعض الأوهام لأنه ليس من الصحيح أبداً أن نبني معرفتنا للآخرين على الحدس وحده . وهنا أيضاً يستطيع العلم أن يسعفنا ويقودنا إلى ما هو أبعد من ذلك .

كانت الأبحاث الأولى المهتمة بالشخصية الإنسانية تهدف إلى تقدير الذكاء مدفوعة بهدف نظري هو دراسة مختلف أشكال الذكاء أو فصل بعض عناصره أو معرفة تطوره ، أو ساعية خلف اعتبارات تطبيقية مثل اصطفاء الأطفال الموهوبين أو الأطفال والمراهقين ضعاف العقول . وكان المرء في تلك التجارب ، يجهد في اقصاء اسهام الوظائف العقلية الأخرى ، قدر امكانه ، لكي لا يهتم إلا بالذكاء وحده . ثم أصبحنا بعد ذلك مرغمين على الإعتراف بأن ذلك ممكن أيضاً ، إلى حد ما ، وبأن تحقيق بعض التجارب البسيطة ، كما هي الحال في الروائز ، متأثر بعوامل انفعالية . ولا يمكن أن تحذف هذه العوامل من أي فحص ومن أية فعالية من فعاليات الحياة . وعلى هذا فان المردود المدرسي لا يتعلق بذكاء التلميذ وحده بل بمراكز اهتمام الطفل وحماسته للعمل أو بكسله وحاله الذهنية ووجود حالات الكفّ الإنفعالي المحتملة ، وضروب الصراع والعقد التي يمكن أن تضر بعمله . وسواء

كانت فعالية امرىء ، يشغل منصباً معيناً ، خصبة أو غير خصبة فانها لا تتعلق بذكائه وحده أو بالمواهب الخاصة التي تتطلبها مهنته ولكن بالعوامل الإنفعالية التي تكون غالباً ذات شكل أكثر تحديداً . والمسألة إذن هي معرفة فيما إذا كانت هذه العوامل الإنفعالية ، كما هي الحال في الذكاء ، تمكن دراستها دراسة تجريبية وبطرق خاصة .

وهنا تتدخل روائز من نوع جديد . وتنضاف إليها طرائق عديدة لفحص الشخصية وضعت موضع التنفيذ . ونحن نرى أنه يمكن تصنيف هذه الروائز في مجموعات ثلاث رئيسية . تضم المجموعة الأولى منها الطرائق التي يمكن وصفها بأنها طرائق ذاتية وهي مبنية على التحليل الذاتي الذي يقوم به الشخص الذي نهتم بأمره على أساس الإستبطان أو النقد الذاتي ، وهي تستند على استجوابات أو على سمات توضع بعد دراسات نفسانية متعددة وتجارب تمهيدية . ومن هذا النوع روائز كاتل وكذلك روائز الطبع التي استخدمها هويير ومساعدوه والتي تتكون من عدة روائز أمريكية مختلفة ، واستجواب وود وورث ـ ماتيوس الذي يعدّ أهم رائز في هذه المجموعة ، والرائز الذي يدرس المشاعر الطباعية والذي وضعه ماي وهارتشورن وغير ذلك .

وقد اعترض على هذه الروائز غالباً بأن انساناً ذكياً بقدر كاف يستطيع أن يعرف ما هو الحل « الجيد » أي الجواب الذي يعطي عنه أفضل انطباع فيجيب حينئذ تبعاً لهذا الإعتبار . ولنلاحظ مع ذلك أن هذا النمط من الأجوبة أقل مما نظن . ولكن هذا الرائز يستلزم معرفة الشخص لذاته ونقداً ذاتياً حسناً . وينبغي أن تسمح لنا النتائج أن نعرف فيما إذا كان الفرد مخدوعاً فيما يتعلق بنفسه أم لا .

وسنقدم الآن بعض الآراء حول موضوع المجموعة الثانية من الطرائق التي نصنفها في جدول الطرائق الموضوعية ففيها لا يطلب إلى المرء أن يقدم لنا تقديراً ذاتياً لنفسه بل يطلب إليه أن ينفذ عملاً معيناً حيث تلعب العوامل الإنفعالية دوراً رئيسياً . إن تنفيذ العمل وملاحظة الفرد أثناء ذلك يساعداننا على استخلاص بعض النتائج حول انفعاليته . ومن هذه المجموعة بعض الروائز التي طبقها هنري آ . موراي ومساعدوه في دراسة واسعة للشخصية . وعلى هذا النحو يتضمن أحد الروائز تجميع الأجزاء في كل « متكامل ذي معنى » . حسب قواعد معينة . وفي أثناء بعض الأعمال يسمح للفرد المفحوص أن ينظر إلى الحلول المكتوبة في دفتر موجود على الطاولة ، وقد

يمنع آخرون من ذلك منعاً باتاً . أما الفاحص فانه يلاحظ المفحوص دون أن يراه هذا الأخير . ومن ملاحظة سلوكه يمكن أن نستخلص ليس فقط النتائج عن « أمانته » بل مقارنة هذه الملاحظات بغيرها كما يمكن أيضاً الحصول على بعض المعطيات الجوهرية عن نموه الإنفعالي وتأثير كبت الذكريات الماضية والشعور بالذنب وغير ذلك . وهنا نستطيع أن نقول أن الأمر يتعلق بربط الطرائق الذاتية بالطرائق الموضوعية .

وفي مجموعة الطرائق الموضوعية نضع أيضاً رائزاً خضع في الوقت الحاضر ، لعدد كبير من المناقشات وهو رائز « زوندي » . هذا الرائز يطلب إلى الفرد المفحوص أن يختار ، (من بين ست مجموعات من الصور ، تضم الواحدة منها ثماني صور) الشخصين اللذين يبدوان له أكثر الشخصيات لطفاً والشخصين اللذين يبدوان له أكثر الشخصيات عداوة . والصور هي عبارة عن صور تمثل أشخاصاً مصابين باضطرابات عقلية مختلفة أو إذا شئنا استخدام تعبير « زوندي » نفسه ، أنهم أشخاص مصابون باضطرابات (دوافعية) مختلفة . وأن تأويل النتائج وتقديرها ، حسب ما اقترحه « زوندي » ، يسمحان باجراء « تشخيص دوافعي » .

وليس من السهل دائماً ايجاد حدود دقيقة واضحة بين هاتين المجموعتين من الطرائق والمجموعة الثالثة التي تعرف باسم « الطرائق الإضفائية أو الإسقاطية » . ففي طرائق الإضفاء أيضاً ينبغي أن ينجز المفحوص عملاً من الأعمال بيد أنه هنا يفترض أن « يضفي » على الحل معضلاته الخاصة ومواقفه وصراعاته وعقده الخ . . . يطلب إليه أن يخترع اختراعاً حراً أي قصة ويقصها بصيغة الشخص الثالث كأن الأمر يتعلق بانسان آخر ، انسان وهمي ، إلا أن هذا الإنسان ليس إلا هو نفسه ، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك ، يقوم بالتجارب التي قام بها هو أو التي يقوم بها في الوقت الحاضر ، يبرهن على ما يبرهن هو ويرغب ويدرك وله الآمال المشابهة لآماله . ولهذا الرائز أيضاً صور تستخدم بشكل واسع وسيلة للإستكشاف في علم النفس . فشخص أو منظر مرسوم من قبل شخص يعكسان بصورة من الصور خبرته ويوضحان أوجهاً هامة من شخصيته . وإلى هذه المجموعة من الروائز ينتمي رائز (رورشاخ) ورائز الألعاب الذي أدخلته مادلين ل . رامبير .

ولكن ينبغي أن نضع في هذه المجموعة ، بصورة خاصة ، رائز فهم الموضوع الذي وضعه هنري آ . موراي الذي يعرف ، في الوقت الحاضر ، باسم مختصر هو

رائز (ت . آ . ت) وهذا الرائز يعدّ اليوم ، بعد رائز « رورشاخ » ، الرائز الأكثر أهمية واستعمالاً في أمريكا وقد بدأ يلعب دوراً متعاظماً في أوروبا . ويبدو لنا أنه قد أخذ يحصل على أهمية خاصة في علم النفس التشخيصي . ولهذا فهو يستحق وصفاً مفصلاً على الرغم من وجود بعض الكتب الأمريكية التي يمكن أن تطرح جانباً في الوقت الحاضر وعلى الرغم من وجود قليل من الدراسات حول مبادئه العامة وطريقة تطبيقه وتأويله ومعناه التشخيصي .

القسم الأول

الوسائل والطريقة

١ ـ الأسس

رأينـا أن الـ « ت . آ . ت » ينتمي إلى روائـز الإضفـاء . وسنكتفـي الآن بـالإشارة فقط إلى أن الأمر في هذا الـرائز يتعلق بـابتداع قصـة تدور حـوادثها حـول لـوحات يقـدمها الفـاحص للمفحوص . ويفـترض أن مؤلف هـذه القصص ، حـين يسردها ، إنما يغوص في أعماق خبراته الخـاصة ويضفيهـا على الخـبرات التي ينسبها إلى أبطاله .

وفي خلال تطبيق هذا الرائـز ينبغي على المفحـوص أن يستخدم اللوحـات نقطة لإنـطلاقه . وبهـذا يختلف رائز الـ « ت . آ . ت » عن القصـة التي لم تكن لها نقـطة انـطلاق والتي تـترك حـرة حسب مخيلة المفحـوص . إلا أننـا ، حتى في هـذه الحـال الأخـيرة ، لا يمكن أن نقول أن المخـيلة حرة تمـامـاً إذ أن سـارد القصـة لا يسـتـطيـع التخلص من ذاتـه بل يـظل متأثـراً بالخـبرات السابقـة والرغبـات والنـزعـات السريـة لشخصيته وصراعاتهـا وعقدهـا التي يعبر عنهـا بسرد القصص . ومما لا شـك فيه أننـا نستطيع أن نقول إن القاص لا يستطيع أن يخلق خلقاً حراً ولكنه يجمع بعض العناصر التي تعرض عليه بشكل جديد كما هي الحـال في الأحلام . حتى الكـاتب نفسه يـظل خـاضعاً لخـبرته . وعـلى هذا النحـو يكـون لكـل عمـل فني معنى مـزدوج : المـوقف الموضوعي إزاء هذا العمل الذي يعدّ العمـل خلقاً مستقـلاً عن المؤلف وحقيقة كـافية بذاتها ، والموقف الذاتي الذي يحاول أن يرى في العمل شخصيـة المؤلف ومعضلاتـه . وفي أغلب الأحيـان نهمـل هـذا الـوجـه الـذاتي لكي نعتـبر ونتـذوق العمـل الأدبي . ويمكن ، مـع ذلك ، أن نسرد عـلاقة بـين العمل الأدبي وبـين مبدعـه وأن نجـد فيـه النزعات الهامة في حياة ذلك المبدع . وقد قـام التحليل النفسي بكثـير من الأبحاث في هذا المجال . وثمة ملاحظة أخرى يمكن أن نذكرهـا وهي أن العمل الأدبي ، كـما هي الحال في الأحلام ، يعبر عن كثير من النزعات التي تظهر ظهوراً متنكراً ومقنعاً .

ومـا قلنـاه عن العمـل الفني ، والأدبي بشكـل خـاص ، يمكن أن نقـولـه عن القصص التي يخترعها المرء اختراعـاً حراً . ونـذكر مثـلاً على ذلـك قصة بنت تبلغ من

العمر إحدى عشرة سنة ذكرت أمها أنها كانت تبدو قلقة منذ بعض الوقت فتنعزل عن رفاقها في اللعب على الرغم من أنها كانت تبدي كثيراً من التذوق والميل إلى اللعب المشترك . كانت الأم تظن أن شيئاً قد حدث لابنتها « وبأن عندها شيئاً ما » دون أن تستطيع أن تذكر لنا ما هو هذا الشيء ودون أن تتمكن من تفسير سلوك ابنتها . وفي خلال استجواب بسيط للفتاة حاولنا أن نحصل منها على أي شيء إلا أنها رفضت وظلت قلقة منكمشة ازاءنا ولكن حين طلبنا إليها ابتداع قصة سردت علينا ما يأتي :

« كانت هناك في يوم من الأيام بنت صغيرة تدعى آرليت . وكانت هذه البنت سعيدة دائماً . وهي تحب الزهور والحيوانات وقطها الصغير والفراشات . وكانت آرليت تفكر في أغلب الأحيان : كم يكون جميلاً لو أنني أملك حديقة كبيرة وكثيراً من الزهور وأرى الفراشات الكثيرة تطير فيها . وفجأة وجدت نفسها ، ذات يوم ، بعيدة عن دارها . وكانت تمتد أمامها حديقة كبيرة جداً مليئة بالزهور والفراشات وحول الحديقة كان هناك جدار . ثم جاء ولد راكضاً وهو يحمل عصا كبيرة بيده وقال لها : هل تريدين أن تذهبي إلى الحديقة لكي تقطفي الزهور وتجمعي الفراشات ؟ يكفي أن أضرب بعصاي حتى ينشق الجدار وندخل إلى الحديقة . لكن آرليت رفضت ، في بادىء الأمر ، لأنها تذكرت أمها التي حرمت عليها الدخول إلى الحدائق الغريبة واللعب مع الصبيان الذين لا تعرفهم . بيد أن إحدى الفراشات اقتربت منها وقالت لها : تعالي خذيني . ومن غير أن تعرف ماذا كانت تفعل جرت . وكان الولد بالقرب منها . جرت مسرعة . ودخلت في الحديقة . وحين أصبحت بعيدة بان عليها الخوف وشرعت في البكاء . ولحسن الحظ وجدت مخرج الحديقة . وفجأة اختفت الحديقة . وعادت آرليت إلى أمها . ولما سألتها أمها : آرليت . . . لماذا تبكين ؟ ظلت صامتة لأن أمها كانت قد منعتها من الذهاب إلى اللعب في الحدائق الغريبة ومع الأولاد الغرباء » .

إن كل من اطلع اطلاعاً بسيطاً على علم النفس الحديث يستطيع أن يجد ، بكل سهولة ، تفسيراً لهذه القصة . فهي ليست سوى شكل آخر للأسطورة القديمة التي تقص الخروج من الجنة ، ولكن بلغة أخرى . ولكنها لا تختلف إلا بشيء واحد هو أن آدم هو الذي أغوى حواء هنا وليست حواء هي التي أغوته . أما دور التفاحة فقد قامت به الأزهار والفراشات ، ودور الحية قامت به الفراشات من ناحية والعصا

السحرية من ناحية أخرى . وبذلك يمكن أن نتخيل ما جرى شيئاً فشيئاً من خلال هذه القصة .

وإذا حاولنا تقريب تأويل هذه القصة من الحوادث التي جرت في حياة هذه البنت الصغيرة فاننا نعرف أنها كانت تعيش مع أمها في الريف ، منذ بعض الوقت ، وأن أمها قد حالت بينها وبين الذهاب إلى الحدائق الغريبة واللعب مع الأطفال الذين لا تعرفهم . بيد أنه كان هنالك أولاد ليسوا مجهولين أو غرباء ، وبينهم ابن عم صغير لها أكبر من البنت بقليل وهو شرس الطباع ومتوحش حتى أن أمها قد نصحتها الإبتعاد عنه واللعب مع غيره . وفي أحد الأيام كانت تقوم بنزهة في الحديقة حين ظهر أمامها فجأة ابن عمها هذا ولحق بها ونجح في أخذها إلى مكان منعزل من الحديقة . فخافت من عبثه وطفقت تصيح وتناضل لتتخلص منه . ولما تركها جرت مسبرعة نحو أمها إلا أنها لم تقص عليها ما جرى لها خوفاً من العقاب . ومنذ ذلك اليوم أصبحت تخاف وتتألم من شعور بالذنب عظيم انتقل ، فيما بعد ، من الطفل والأمور الجنسية إلى مواضيع أخرى .

فآلية الإضفاء تظهر بشكل واضح جداً هنا . والطفلة تعتقد أنها تبتدع بحرية قصة إلا أنها لم تكن تسرد سوى حياتها وتجاربها الخاصة. انها تتحدث عن طفلة صغيرة أطلقت عليها اسم آرليت محاولة بذلك أن تجعل منها شخصاً آخر غريباً . إلا أن هذا لم يمنعها ، مع ذلك ، من أن تحيي ، عند آرليت وبشكل مقنع ، التجارب التي قامت بها هي نفسها ، وبكلمة أخرى إنها أضفت تجاربها على آرليت . أما الحادث الجوهري ، الإغواء الجنسي ، فلم تذكره بشكل صريح ، في قصتها لأنها كبتته وقذفت به بعيداً عن الشعور . ولكننا نجد بعض الرموز التي تساعدنا على التنبوء به . أما ما هو موجود فعلاً فهو الشعور بالذنب والقلق .

والقصة التي يبتدعها المفحوص ابتداعاً حراً تسمح له أن يعبر عن أزماته وعواطفه ورغائبه في القصة دون أن يشعر بها . وثمة رجال كثيرون يبدو عليهم أنهم لا يتمكنون من اختراع القصص اختراعاً حراً دون نقطة انطلاق يستندون عليها . وأن قصة واحدة لا يمكن ، مع ذلك ، أن تكشف لنا عن الشخصية بأكملها . وزيادة على ذلك فان القصص التي يسردها عدة أشخاص لا يمكن أن تقارن بشكل من الأشكال . يضاف إلى ذلك أنه يجب أن نبحث عن بعض الأزمات والعقد

النموذجية . ولكي نبلغ هذا الهدف ينبغي ألا نترك الأمور للصدف كما ينبغي ألا نترك الفرد يختار بحرية مواضيع قصصه بل يجب أن نحاول وضعها ضمن حدود معينة .

هذه هي فائدة الـ « ت . آ . ت » . فالرائز يقدم للمفحوص الأجهزة التي يستعين بها لقدح مخيلته . وينبغي أن نشير أيضاً إلى أن الرائز لا يهمل ، تمام الإهمال ، الإبداع الحر لأنه ، بصرف النظر عن اللوحات التي سنأتي على ذكرها فيما بعد ، فانه يحتوي أيضاً على لوحة بيضاء خالية يطلب إلى المفحوص أن يضفي عليها صورة ويسرد ، بعد ذلك ، قصة مستندة على هذه الصورة المتخيلة أي أنه يطلب إليه أن يخلق بنفسه جهازه ومادته .

وضع رائز الـ « ت . آ . ت » هنري آ . موراي مدير العيادة النفسانية في جامعة هارفارد (ماساتشوستس) . وقد ظهرت أول طبعة له في عام ١٩٣٥ . ولم تمض عليه عدة سنوات حتى أجريت عليه تطبيقات كثيرة وخلق كثيراً من الأبحاث في أمريكا وغيرها من بلدان العالم . وهو ، مع رائز رورشاخ ، أكثر الروائز استعمالاً في أمريكا . ويبدو لنا أن هذا الدور الذي يلعبه له ما يبرره .

ألح موراي ، في بعض التعليمات التي ترافق اللوحات ، على أن الأمر يتعلق هنا بالطريقة التي تسمح بأن تكشف لفاحص مدرب بعض الدوافع والإنفعالات والعواطف والعقد والأزمات التي تسيطر على الشخصية . أما فائدته الخاصة فتكمن في أنه يقذف إلى الخارج كل النزعات المكبوتة التي لا يريد الفرد المفحوص (سواء كان صحيح الجسم يتهيأ للتجربة مختاراً أو كان عليلاً) - أن يعترف بأنها مكبوتة في لا شعوره . إن الرائز ثمين بخاصة في كل محاولة لفهم اضطرابات السلوك وتأويلها وفهم الإضطرابات النفسية الجسمية والعصاب والذهان . وهو مفيد أيضاً لأنه يعدّ مدخلاً للعلاج النفسي . ويمكن أن يعدّ في معظم الأحيان شكلاً من أشكال التحليل النفسي الموجز . وعلى هذا النحو فانه يتخطى اطار الطريقة ذات النظام التشخيصي ليصبح ذا قيمة علاجية في كثير من الحالات .

٢ ـ الأجهزة

رأينا أنه يطلب ، في الـ « ت . آ . ت » إلى المفحوص أن يخترع قصة حول كل لوحة (صورة) تعرض عليه . وسنحاول الآن أن نصف وصفاً موضوعياً ، قدر الإمكان ، هذه اللوحات . ولنلاحظ ، منذ الآن ، أن بعض اللوحات معينة لفحص جميع الأشخاص ، وبعضها للذكور فقط أو للإناث فقط وعدد منها للراشدين من الرجال أو النساء بينما يهتم بعضها بالبنات وبعضها بالصبيان . والأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ الخ تبين لنا نظام عرض الصور للمفحوص . أما الحروف فتبين لنا زمرة الأفراد الذين تعرض عليهم هذه الصور . أما إذا وجدت الأرقام وحدها دون الحروف فمعنى ذلك أن اللوحات معدة لجميع الأفراد مهما كان سنهم أو جنسهم . وهذا هو معنى الحروف :

BM كل فرد ذكر

GF كل فرد مؤنث

M كل فرد ذكر تجاوز ١٤ سنة

F كل فرد مؤنث تجاوز ١٤ سنة

B صبيان حتى ١٤ سنة

G بنات حتى ١٤ سنة

BG صبيان أو بنات حتى ١٤ سنة

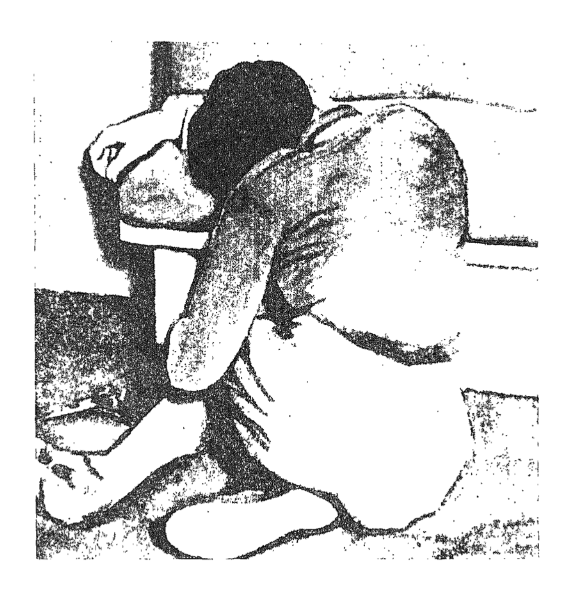
وسنعود فيما بعد إلى هذه المجموعات . أما الآن فاننا سنصف مجموعة اللوحات :



١ - صبي صغير يجلس أمام طاولة وقد تناثر شعره على وجهه وأسند رأسه على ذراعيه ووضع كوعيه على الطاولة . وعلى الطاولة يوجد كمان وقوس وهما أمـام الصبي . وتحتهما فتح دفتر موسيقى . عينه اليمنى مغمضة تقريباً واليسرى نصف مفتوحة .



٢ ـ مشهد في الريف . على اليسار امرأة شابة تحمل كتباً في يدها ويبدو أنها تنظر إلى بعيد وفي اليمين امرأة ترتدي ثياب أهل الريف وتستند إلى شجرة . وفي وسط الصورة ، في الأعماق ، رجل نصف عار ، ويبدو وكأنه يعمل في الحقول . ويلاحظ أيضاً حصان ـ ورأس الحصان ووجه الرجل متجهان إلى الجهة الأخرى . وترى بعض المنازل والهضاب البعيدة .



٣ ـ BM (للذكور) ـ صبي منحنٍ على نفسه (أو على الأقل شخص مذكر شاب) يسند رأسه على ذراعه اليمنى وهو منحن على سرير . لا يرى وجهه . على يسار السرير وفوق الأرضية يلاحظ غرض لا تمكن معرفته بوضوح . ربما يكون مسدساً .



٤ ـ GF (للإناث) ـ بـاب مغلق . أمامـه امرأة شـابة تقف ورأسهـا يميل إلى الأمـام وهي تغطي وجهها بيدها اليمنى . أما اليد اليسرى فممدودة بصورة أفقية تقريبـاً لتسند عليها رأسها وتستند بها أيضاً على اطار الباب .



٤ ـ يوجد هنا أولاً امرأة ورجل . المرأة تنظر إلى الرجل ولكن الرجل يشيح بنظره عنها وقميصه مفتوح . المرأة تحيطه بذراعيها . يدها اليسرى على كتفه الأيمن . وفي الداخل يبدو شيء شبيه بالنافذة . وفي الجانب الأيسر تماماً ، خلف نافذة أخرى ، شخص (من الجنس المؤنث) جالس وقد وضع رجلاً على رجل وارتدى ألبسة خفيفة يبدو منها النهدان . وفوق هذا الشخص المؤنث فراغ أبيض يمكن أن يكون ورقاً مطبوعاً .



٥ ـ امرأة بورجوازية شابة يرى جانب من جسمها . كما ترى طاولة وضع عليها مصباح . بجانبها اناء فيه زهور . وعلى الجدار يلاحظ رف عليه كتب وخزانة صغيرة فوقها بعض الكتب أيضاً . على اليسار باب مفتوح وامرأة من عمر متوسط يبدو أنها قد فتحته تواً لأن يدها لا تزال تمسك بالأكرة وهي تميل قليلاً إلى الأمام وتنظر في الغرفة .



٦ ـ BM (للذكور) ـ امرأة طاعنة في السن ذات شعر رمادي ، في غرفة ، تقف أمام النافذة ، وتنظر منها إلى بعيد نظرة ثابتة . وخلفها يقف رجل أصغر سناً منها ونظره متجه نحونا . يرتدي معطفاً وقبعته في يديه المتدليتين إلى الأسفل . انه ينظر في تأمل .



٦ ـ GF (للإناث) ـ امرأة شابة نسبياً تجلس في زاوية (كنبة) وأمامها طاولة . أدارت رأسها نحو رجل يقف خلفها وعلى يسارها . والرجل ينحني عليها . ويبدو كأنها تسند يدها اليسرى على ظهر الكنبة . الرجل يضع غليوناً في فمه ونظره مثبت نحوها .



٧ ـ BM (للذكور) ـ رجل طاعن في السن ، شعره رمادي ، وشارباه رماديان ، يخفض بصره لكي ينظر إلى رجل أصغر سناً منه ينظر بعيداً نظرة ثابتة .



٧ ـ GF (للإناث) ـ على (كنبة) تجلس امرأة متوسطة العمر وبالقرب منها بنت صغيرة يبدو أنها تجلس على ظهر مقعد موضوع بالقرب من الكنبة . المرأة تضع ذراعها اليمنى على الطاولة وتمسك بكتاب في يدها . انها تنظر فيه ويبدو وكأنها تعلم الصغيرة القراءة إلا أن نظر البنت يتجاوز المرأة لكي يذهب بعيداً . وبيدها لعبة .



٨ ـ BM (للذكور) ـ في اليمين شاب اتجه بنظره نحو الملاحِظ . وعلى اليسار بندقية ترى منها فوهتها . وفي الخلف يرقد رجل على نقالة وهو عاري الجذع . وخلف ذلك يقف رجلان يقبض أحدهما على آلة في يده ويبدو أنه يعالج الرجل الراقد على النقالة . وبالقرب منه رجل يبدو أنه ينظر إليه . والمشهد كله قليل الوضوح .



٨ ـ GF (لـلإناث)ـ امـرأة في مقتبل العمـر تجلس على كـرسي وتسند كـوعها عـلى ظهره . وذقنها على ذراعها اليمنى . انها تنظر بعيداً .



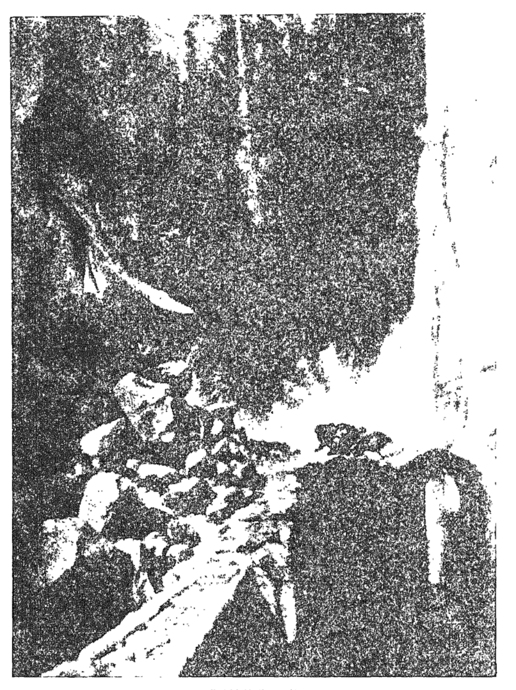
٩ ـ BM (للذكور) ـ ثلاثة رجال يستلقون على العشب ويبدو أنهم نيام . رؤوسهم مغطاة بقبعاتهم . يسند أحدهم رأسه على جسم الآخر . وأمامهم ، على العشب ، شخص رابع لا يرى منه إلا ظهره .



٩ ـ GF (للإناث) ـ يلمح جذع شجرة . أمامه امرأة شابة ترتدي ثوب المساء وتبدو كأنها قد رفعت تنورتها لكي تركض بعيداً . وثمة امرأة أخرى ، خلف الشجرة ، وهي شابة أيضاً ، تنظر اليها وبيدها اليسرى كتاب أو دفتر ، وفي يدها اليمنى غرض يمكن أن يكون محفظة أو أي شيء آخر .

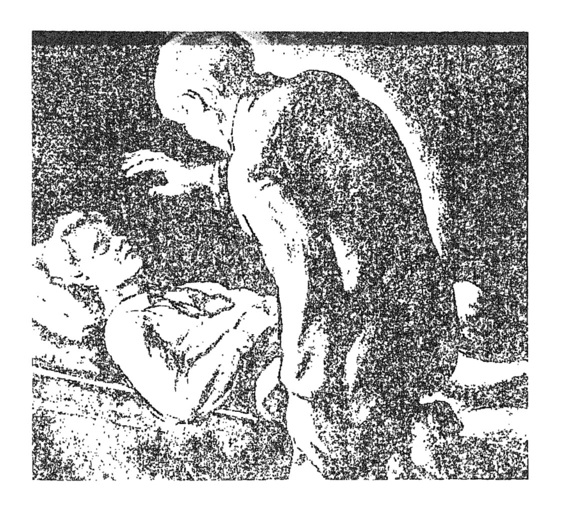


١٠ ـ يلمح شبحان غامضان لرجل وامرأة ولا يرى منهما ، في الحقيقة ، إلا رأساهما . ويبدو أن أحد الشخصين يسند رأسه على كتف الآخر ويضع يده على الكتف الأخرى . وقد أغلق كل منهما عينيه .



الزمرة الثانية

١١ ـ مشهد يمثل جزءاً من أساطير الجن . تلمح صخور وأشجار مظلمة غير متمايزة . على الأرض الصخرية يوجد درب وفي الخلف صخرة أو جدار . ومن الصخرة يمد حيوان جني رأسه وجذعه بينما يوجد حيوان آخر في الموقف نفسه على سطح الأرض .



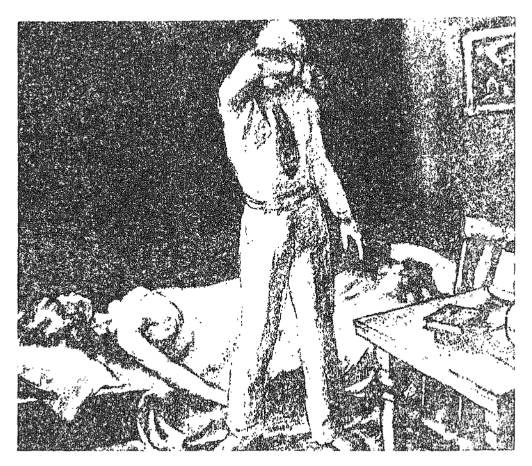
١٢ ـ M (للذكـور الذي تجـاوزوا ١٤) ـ شاب مضـطجع عـلى ديـوان وقـد أغمض عينيه . وآخر يقف بالقرب من الديوان وقد أسند ركبتـه على طـرفه ومـال قليلاً نحو زميله النائم ومدّ ذراعه اليمنى قليلاً . تلاحظ اليـد التي يمدهـا على مقـربة من رأس الشخص النائم .



١٢ ـ F (للإناث اللواتي تجاوزن ١٤) ـ في المقدمة شبح امرأة شابة تدير رأسها نحـو الملاحظ وتنظر نـظرة مبهمة إلى بعيـد . وخلفها امـرأة متقدمـة في السن ، لفّت رأسها بمنديل ورفعت يدها اليمنى إلى فمها ، يبدو وجهها غير متناسق التكـوين وطويلاً . انها تنظر إلى المرأة الشابة .

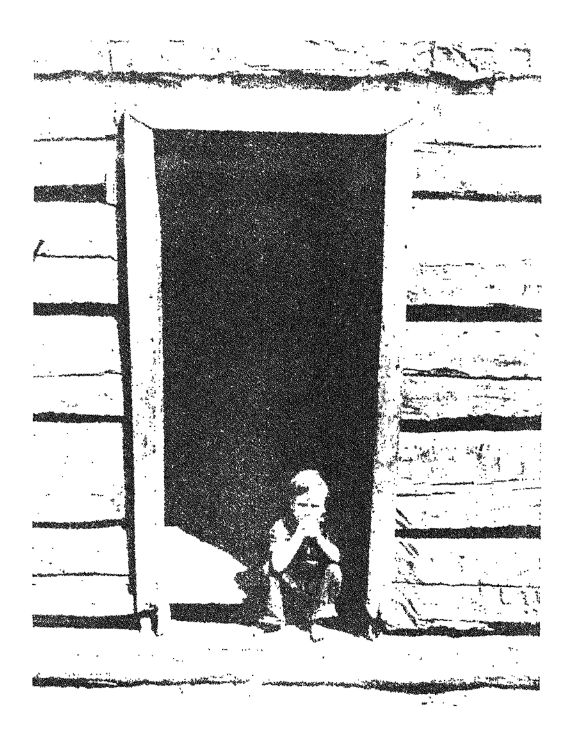


١٢ ـ BG (للصبيان أو البنات حتى ١٤) ـ منظر في مقدمته شجرة مزهرة وفي الخلف شجـرات أخريـات . الأرض مفروشـة بالعشب . ويبـدو أن فيهـا بحـيرة (أو ساقية) (غير أكيد) . عـلى الأرض زورق بدون مجـدافين . وليس ثمـة صورة انسانية .

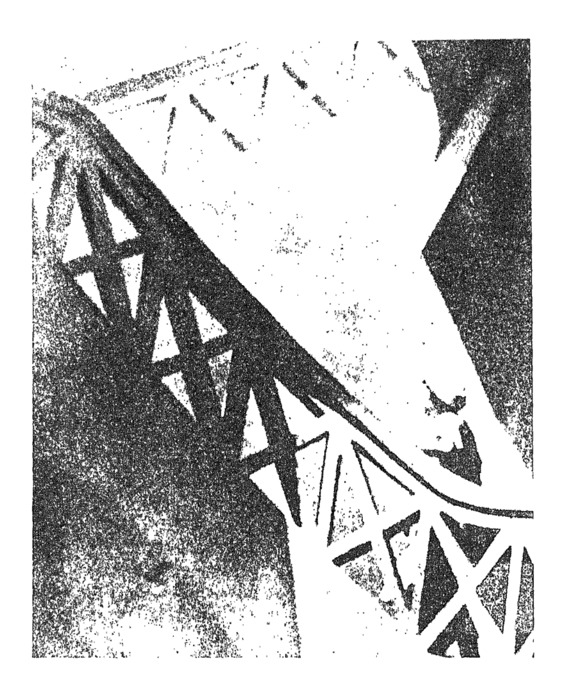


MF - ١٣

(للذكور والإناث الذين تعدوا ١٤) - امرأة أو بالأحرى جسم امرأة ، مستلقية على سرير ، أو ديوان ، عارية الصدر بادية النهـدين ، وقد أرخت يـدها اليمنى من جانب السرير . يبدو أنها ميتة . وأمامها رجل يتجه نحو الملاحظ ، ذراعـه اليسرى على امتداد جسمه بينما يخفي بذراعه اليمنى وجهـه . في الزاويـة اليمنى من الصورة طاولة عليها كتابان ومصباح . وخلف الطاولة كرسي .



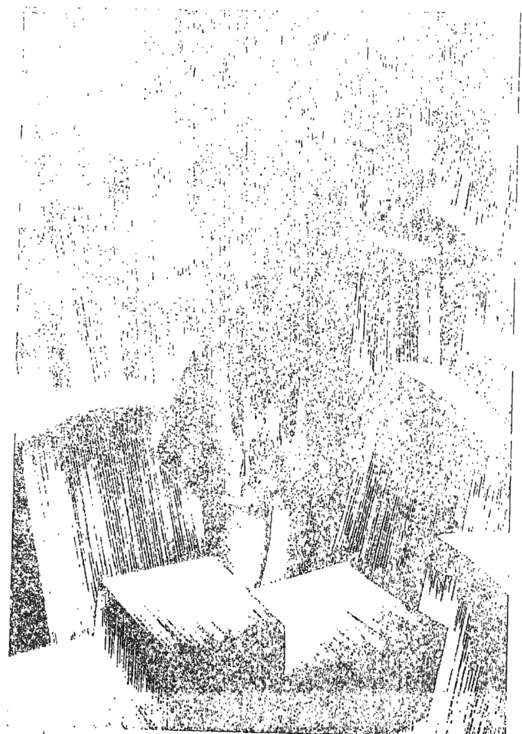
١٣ ـ B (للصبيان حتى ١٤) ـ كوخ خشبي مفتوح بابه . وصبي صغير يجلس على عتبة الباب أسند مرفقيه على ركبتيه . ووضع رأسه بين يديه .



١٣ ـ G (للبنات حتى ١٤) ـ المنظر عبارة عن سلم لولبي . وفتاة تصعد على درجاته ويدها اليسرى على الإفريز .

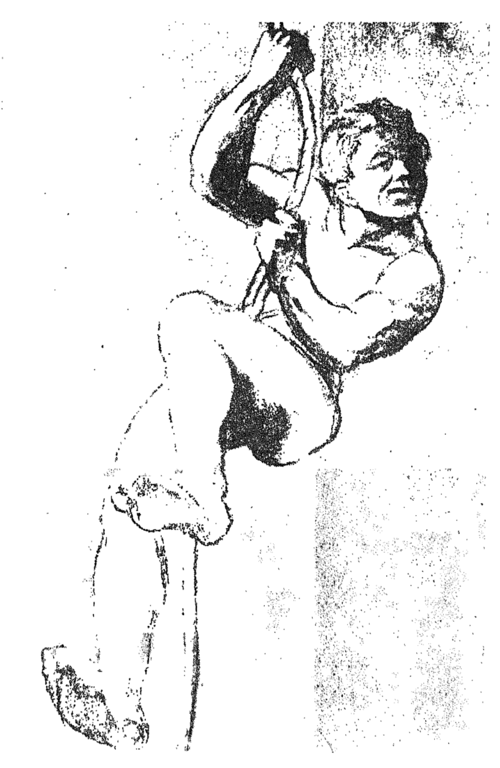


١٤ ـ كل شيء أسود ما عدا نافذة ـ وفي طرف النافـذة شخص يجلس ممسكاً بحـافتها بواسطة ذراعه اليمنى .

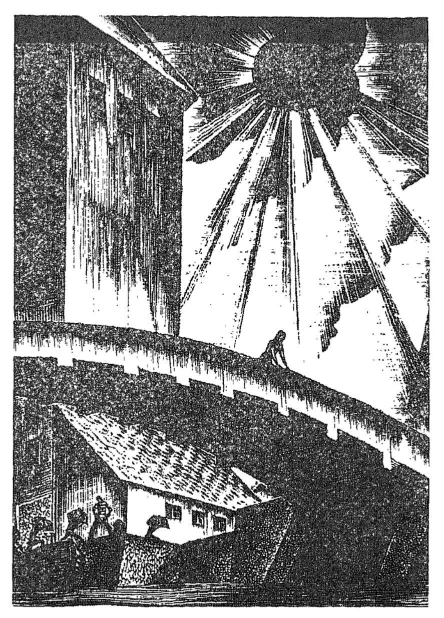


١٥ ـ رسم مـزين للغايـة . تلحظ أشياء يبـدو أنها تمثل أحجـار قبـور وصلبـانـاً . في الوسط ، وفي مقدمة الصورة ، وجه انسان مذكر نحيف . انه غائر الوجنتين ، متدلي الذراعين النحيلين نحو الأرض وهو يضغط إحدى يديه بالأخرى .

١٦ ـ قطعة من المقوى الأبيض بدون أية صورة .



١٧ ـ BM (للذكور) ـ جدار ، أو جزء من جدار ، علق عليه حبل . رجل يمسك به وهو لا يرتدي شيئاً . يصعد عليه أو ينزل منه .



١٧ ـ GF (للإناث) ـ رسم مزين للغاية لا يمكن أن يقال عنه ماذا يمثل بالتأكيد . انه بدون شك يمثل جسراً يعلو مجرى مائياً . وعلى الجسر امرأة في وضع يسمح للمرء بأن يعتقد بأن معها دراجة (الدراجة لا ترى) . وفي أسفل الجسر بيت ، على ضفة الماء ، وزورق . يلاحظ أيضاً زمرة من الرجال يحملون أكياساً ويذهبون من الزورق إلى البيت . أمام البيت رجل يبدو أنه يراقب بقية الرجال . وعلى الجسر يلمح بيت آخر (أو كوخ) . وفي أعلى الصورة لوحة مظلمة تصدر عنها أشعة .



١٨ ـ BM (للصبيان حتى ١٤ أو أي ذكر فوق ١٤) ـ في الخلف سواد . وفي المقدمة رجل مفتوح السترة والمعطف . أدار رأسه إلى اليسار بشكل يجعلنا نرى صورتـه الجانبية . عيناه مغمضتان . تلمح ثلاث أيدٍ احداها على ذراعه اليمنى والأخرى على كتفه اليمنى ، أما الثالثة فعلى ذراعه اليسرى .



١٨ ـ GF (للإناث) ـ سلم يستند عليه رأس يصعب القول عنه انه رأس رجل أو رأس امرأة . أمامه امرأة تحيط عنقه بيديها (في الواقع أننا نرى اليد اليسرى فقط) وتدفعه نحو السلم .



١٩ ـ رسم مزّين جداً من الصعب معرفة ماذا يمثل . يمكن أن يمثل غيوماً أو مجموعات سحب أو جبالاً جليدية . وفي المقدمة شيء ربما يكون كوخاً .



٢٠ ـ فانوس . يستند عليه شخص لا يمكن أن يعرف فيها إذا كان رجلاً أو امرأة لأن وجهه غارق في الظلام . تلاحظ بعض الأشجار .

(ملاحظة أخيرة : هي أن اللوحات جميعاً من شكل واحد تقريباً ٢٣ × ٢٧ سم باطار رمادي وأبعاد متساوية بشكل ملحوظ يجعل الصورة نفسها من قياس ١٥ × ٢٠ سم) .

٣ ـ طريقة التطبيق

لا يتطلب الرائـز استعدادات خـاصة . إلا أنـه من المفيد جـداً ، مع الأطفـال الصغار ، أن نكسب ثقتهم سلفاً وذلك بالسماح لهم في أن يلعبوا أو يرسموا أو يعبثـوا بالمعجون يصنعون منه بعض النماذج . وليس ثمة صعـوبات أثنـاء تطبيق الـرائز عـادة لأن أغلب المفحوصين يبدون حسن نية . وحسن النية هذا أمر ضروري شأنه في ذلك شأن بقية الروائز .

إن تنفيذ الرائز يقتضي جلستين . ونقـدر أن الفرد يحتـاج إلى خمس دقائق لكـل قصـة ، وأنه يجب أن تقـدم إليه عشر لـوحات في الجلسـة الواحـدة التي تدوم حـوالي (٥٠) دقيقة . مع ذلك يلاحظ أن بعض الأفراد يبتدعون قصصاً طـويلة تتطلب وقتـاً أكبر فينبغي عدم توجيه الأسئلة اليهم والسماح لهم باتمام قصتهم ولا ينصح ، عـادة ، باطالة الجلسة أكثر من ساعة واحدة وعلى هذا يمكن زيادة عدد الجلسـات إلى ثلاث أو أربع حتى يتم تنفيذ الرائز .

تقـدم للفـرد عشرون لـوحـة إذن ، ويـطلب إليـه أن يسرد عشرين قصـــة مـع مـلاحظة أن اللوحـات يجب أن تناسب سنـه وجنسه ، وأن تعـرض بـالـترتيب الـذي وضعنـاه . ويجب أن يجلس الفـرد جلسـة مـريحـة في مقعـد أو حتى أن يستلقي عـــلى ديوان . وينصح « موراي » الفاحص بأن يدير ظهره إذا كان المفحوص راشـداً ثم أن يلقي عليه التعليمات التالية :

الشكل ـ آ ـ : للمراهقين والراشدين ذوي الثقافـة والذكـاء المتوسـطين : « إن هذا الرائز يقوم بفحص مخيلتك التي تمثل جزءاً من الذكـاء . سأعـرض عليك طـائفة من اللوحات الواحدة بعد الأخـرى . وعليك أن تخـترع قصة لكـل منها . عليـك أن تذكر كيف وصلت الأشياء إلى ما تراه وماذا يجري في هذه اللحظة وبماذا يفكـر ويشعر أشخاص الصورة . ثم عليك أن تتخيل نهايـة للقصة . اذكـرها كـما ترد عـلى خاطرك هل فهمت؟ عندك خمسون دقيقة لكل اللوحات فتستطيع إذن أن تخصص خمس دقائق لكل واحدة منها» .

ويمكن تعـديل كلمات هـذه التعليمات حسب الفـرد المفحوص ودرجـة فهمـه .

ويلح « موراي » على القول للمفحوص أن هذه التجربة فحص للتخيل العفوي. والسبب في ذلك أن عدداً كبيراً ممن اطلعوا على بعض المفاهيم في التحليل النفسي يترددون معتقدين أنهم سيخضعون لتحليل نفسي وذلك يؤثر في إبداعهم للقص ، وبالتالي يسبب الخطأ في نتائج الرائز . ويحتاج الأمر عادة إلى بعض الوقت للتلاؤم والتكيف فالقصتان الأولى والثانية تكونان ، في الغالب ، قصيرتين ودونما قيمة تشخيصية . وينصح« موراي »بجذب انتباه الفرد ، حين ينتهي من القصة الأولى ، نحو أخطائه ، على الشكل التالي : « إن قصتك في غاية الأهمية ، ولكنك لم تذكر شيئاً عما يفكر فيه الصبي أو يشعر به ازاء الكمان ، كما أنك لم تذكر أيضاً كيف يمكن أن تنتهي القصة » . ويمكن أيضاً أن يقال له انه لا مانع من اطالة القصص وتفصيلها .

أما خلال القصص التالية فينصح الفاحص بالإقلال من نقده ، قدر الإمكان ، بل ، زيادة على ذلك ، ينبغي تشجيع المفحوص على اتمام كلامه حين لا يعرف ماذا يقول ، أو بجذب انتباهه نحو أحد التفاصيل في الصورة ، أو أن يطلب منه بأية لحظة أو لماذا تصرف البطل هذا التصرف أو ذاك وكيف ستنتهي القصة . ولا ينصح بالقيام بأي نقد أو توجيه أي سؤال آخر . ولا ينبغي على الفاحص ، في أي حال من الأحوال ، الاندفاع في مناقشة الفرد مطلقاً .وينصح « موراي» بتشجيع المفحوص ، من وقت لآخر ، بأن يختصر حين يلاحظ أن قصصه طويلة جداً تهتم بالتفاصيل . ويبدو أن من الأفضل ترك المفحوص حراً في التعبير لأن التفاصيل يمكن أن تعطي ، غالباً ، بعض المعلومات الهامة . ويصدف ، أحياناً ، ألا يعرف المفحوص أحد التفاصيل معرفة واضحة لذا نجده يسأل عنه فينبغي أن يقال له حينذاك أن عليه أن يراها كما هي وكما يستطيع أن يفهمها بشكل يساعده على اتمام قصته . وعلى المفحوص ألا يسرد عدة قصص للصورة الواحدة . لذا يجب على الفاحص أن يلح في الحصول على قصة واحدة مسهبة . وينصح« موراي »، فيما يتعلق بالأطفال ، أن نعدهم بمكافأة إذا هم « سردوا علينا قصصاً جميلة » .

إن القصة المتوسطة تضم عادة حوالي /٣٠٠/ كلمة عند الراشد ونصف هذا العدد عند الطفل الذي يبلغ من العمر عشر سنوات . ونضيف إلى ذلك أن طول القصص يختلف من فرد إلى آخر كما يختلف عند الفرد نفسه . ويجب أن تسجل

القصة بأمانة . وذلك أمر صعب إذ أنه يحتاج إلى جهاز كاف من المختصين ووسائل تنسيق وآلة تسجيل . ولهذا يستطيع الفاحص أن يسجل المذكرات بيده شريطة أن يرجو المفحوص أن يتكلم ببطء .

وينصح «موراي» أيضاً ألا نقول للمفحوص ، في نهاية الجلسة الأولى ، إننا سنطلب منه أن يقص علينا قصصاً ، في الجلسة القادمة ، كي يتجنب محاولة تركيب بعض القصص مسبقاً . وقد لوحظ دائماً أننا حين نطلب اليه العودة فانه يسأل : « وهل سيكون علي أيضاً أن أخترع قصصاً ؟ وهل ستعرضون عليّ صوراً أخرى ؟ » . وهنا يكون من الخطأ أن نجيب بالنفي بل علينا أن نكتفي بالقول : « انتظر وسوف ترى » . وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بعلم النفس المرضي . ومع ذلك فليس الأمر خطيراً للغاية ما دامت صور الـ « ت . آ . ت » مجهولة لدى المفحوص .

أما فيما يتعلق بالزمرة الثانية فقد جعل «موراي» التعليمات كما يلي :

الشكل ـ آ ـ : للمراهقين والراشدين من ذوي الذكاء والثقافة المتوسطين : « إن ما سأطلبه منك ، هذا اليوم ، مشابه لما طلبته في المرة الماضية . إنما تستطيع اليوم أن تتصرف بكل حرية في مخيلتك . قصصك العشرة الأولى كانت ممتازة . ولكنها كانت ، كلها تقريباً ، متعلقة بالحياة الجارية . أريد أن أرى الآن قدرتك على التحرر من هذا الأمر وقدرة مخيلتك على إبداع أمور تشبه الأسطورة أو الرمز أو قصص الجان . إليك اللوحة الأولى » .

الشكل ـ ب ـ : للأولاد والراشدين من ذوي الذكاء والتعليم المتخلفين أو المرضى عقلياً : « سأطلعك اليوم على بعض الصور أيضاً . وفي هذه المرة تكون مهمتك أكثر سهولة لأن الصور الموجودة عندي اليوم أحسن وأهم . في المرة الماضية سردت عليّ مجموعة من القصص الهامة . لنر الآن فيما إذا كنت قادراً على خلق بعض القصص الأخرى . حاول أن تسرد قصصاً أكثر حياة تكون كالحلم أو قصص الجن . هذه هي الصورة الأولى » .

أما اللوحة /١٦/ البيضاء فثمة تعليمات خاصة بها يقول فيها الفاحص : « لنر ماذا تستطيع أن تتخيل حول هذا المقوى الأبيض . تخيل صورة يمكن أن تكون مرسومة على هذا المقوى وصفها لنا بكل تفصيلاتها » . وحين يفشل المفحوص يقول له الفاحص : « اغمض عينيك وتخيل أية صورة » . وحين يصف ما استطاع تخيله

يقول له الفاحص : « والآن اسرد قصة حول ذلك » . ويصغي إليه دون أن يتدخل أبداً .

وبعد انجاز العمل يمكن أن يطلب إلى المفحوص أن يبين مصادر قصصه لأن ذلك قد يكون نافعاً ، في كثير من حالات التأويل . ولا يسمح أبداً بطرح الأسئلة بعد كل قصة لأن ، في ذلك خطر تحديد مواضيع القصص التالية .وينصح «موراي» بأن نقول للمفحوص ان الفاحص يهتم بالعوامل التي تتدخل في عملية الخلق والإبداع الأدبيين وأنه يسعى في الإحاطة بهذه المشكلة من خلال هذه الوسيلة . وليس من الضروري أن نعطي مثل هذه الشروح ، وخاصة عند المرضى ، لأنها لا تكون ذات قيمة . أما الأشخاص المرضى نفسياً ، مهما كان نوع مرضهم ، فانهم لا يطلبون عادة السبب في سرد القصص أو محاولة تأويلها أو توجيه الأسئلة حولها . بل أنهم يكتفون بالشرح البسيط الذي يعلل لهم الأمر على أنه وسيلة لإستكشاف نفسياتهم . وبعض المرضى ، الذين تكون اضطراباتهم من نوع عضوي ذي أصل نفساني والذين يفحصون برائز الـ « ت . آ . ت » ، لا يرون ، بشكل عام (وخاصة حين يتعلق الأمر بأفراد قليلي الثقافة أو سذج) ، أية علاقة بين الإضطرابات التي قادتهم إلى الطبيب وبين هذا الفحص . في هذه الحال ينبغي أن نشرح لهم أن كثيراً من الإضطرابات العضوية يمكن أن يكون أصلها نفسياً أو عصبياً ولهذا فان معرفة الأسباب يمكن أن تلعب دوراً في حل مشكلاتهم عن طريق وسائل البحث ومنها هذه الوسيلة . وبصورة عامة يقدر المرضى هذا التفسير ويقبلون به .

وبعد الفحص ، يمكن أن نترك المفحوص يتكلم بحرية ، كما هي الحال عند تفسير الأحلام . وبذلك تكون القصص نقطة الانطلاق في التحليل النفسي . ونظراً لأن الأمر يتعلق بقصص خلقت خلقاً حراً ، في أثناء السرد ، فان من الممكن مقارنتها بالتداعي الحر الذي انبثق بفضل بعض المنبهات الخارجية . وهذه القصص تحتوي أيضاً ، كما هي الحال في الأحلام ، على عناصر الذكريات والنزعات اللاشعورية . واستخدام القصص ، بهذا الشكل وباعتبارها نقطة انطلاق في تحليل نفسي ، يتعدى اطار التشخيص الذي يعتبر الهدف الرئيسي لدراستنا .

لنضف أيضاً أننا ، في كثير من الحالات ، عرضنا على المفحوص ، بعد أن قدمنا له صور زمرته ، لوحات مخصصة لجماعة أخرى (مثلاً اللوحات ١٢ BG و ١٣

B و ١٣ G المخصصة للصبيان والبنات أو لمجموعة منها عرضت على الراشدين الذين وجدت عندهم نوازع صبيانية . واللوحة ٦ GF تعطي كذلك نتائج هامة عند الأشخاص الذكور واللوحة ٦ BM عند الراشدات من الإناث . واللوحة ١٧ GF لها نتائج هامة عند الذكور واللوحة ١٨ BM عند النساء. وكذلك اللوحة ١٨ GF فهي تعطي نتائج قيّمة عند الذكور) . وإذا استطاع المرء ، في المجموع أن يتقيد بعدد الصور التي اقترحها «موراي» في مجموعة معينة فانه يحصل ، في بعض الحالات ، على معطيات هامة حين يضيف بعض اللوحات الإضافية ، وخاصة في الحالات التي يكون فيها التشخيص غير واضح . وسنعود إلى هذه النقطة .

القسم الثاني

تفسير الرائز

٤ ـ مسائل عامة

لا يثير استخدام الرائز وتطبيقه أية صعوبات فأغلب المفحوصين يتقدمون طائعين للتجربة ، وعدد كبير منهم يؤديه باهتمام بالغ ، بعد التغلب على المقاومة التي تظهر عنده في البدء . أما صعوبته فلا تبدو إلا عند تفسيره . ويشير «موراي» نفسه إلى ذلك ملحاً على ضرورة ممارسة التفسير بكل فطنة . وكلما مارس المرء تطبيق الرائز تحسنت طريقته في التفسير . وإن الإلمام الحسن بعلم النفس العام والطب العقلي لا يسهل التفسير فقط بل أنه ليبدو شرطاً جوهرياً له .

ونحن لا نؤيد وجهة النظر التي تبناها أغلب علماء التحليل النفسي والتي ترى أن التحليل النفسي وحده له الحق في أن يكون علم النفس والطب العقلي ، أما بقية المذاهب الأخرى فهي ضلال . ولهذا نجدهم يحتقرون جميع اولئك الذي لا يتحمسون لمفاهيم فرويد واولئك الذين لا يكوّنون جزءاً من طائفتهم . بل أنهم ليرون في كل نقد نية سيئة أو مظهراً من مظاهر العقد النفسية . وعلى هذا ينبغي الإعتراف بأن علم النفس لا يمكن أن يوجد ، في الوقت الحاضر ، من غير معرفة عميقة بالتحليل النفسي وبالنظريات التي ترتبط به . وأن معرفة عميقة للتحليل النفسي تبدو ضرورية أيضاً لتفسير الـ « ت . آ . ت » بصورة خاصة .

لنلاحظ أولاً أن علينا أن نبدأ بفحص الأشخاص الذين يحيطون بنا والذين نعرف حياتهم بأوسع خطوطها ، أما حياتهم الداخلية فلا نعرف إلا جزءاً يسيراً منها . وبذلك نستطيع أن نحاول ايجاد ارتباط بين مختلف القصص والحياة وطبع الفرد ، ثم الانتباه إلى أي مدى تحمل هذه القصص آثار أحداث حياتهم وسمات طبعهم ونزعاتهم العميقة . ويمكن إذن أن نناقش قصص الرائز مع الفرد الذي يتهيأ للتجربة ، وبذلك نعمق التفسير ونصحح الأخطاء إذا كان هنالك ثمة أخطاء . وإذا كانت الفرصة سانحة فيمكن أن نخضع أنفسنا للرائز أمام فاحص مدرب مدة طويلة .

يلح «موراي» على أنه لا مفر للفاحص من معرفة بعض دقائق المفحوص قبل المباشرة بتفسير الرائز : مثل السن والجنس ، ومعرفة الأبوين ، إذا كان ذلك ممكناً ،

هـل هما عـلى قيد الحيـاة ، هـل يعيشـان سـوية ، أم أنهما منفصـلان ، سن الأخـوة والأخـوات وجنسهم ونشاطهم المهني ، هـل هم عـازبـون أم متزوجـون ، أرامـل أم مطلقون . كل ذلك ضروري لتحليل القصص ويمكن أن يرشد الفاحص .

وهناك سؤال أول يجب أن نجيب عنه وهو : ما هي الوظائف النفسية المريضة التي يهتم بها الرائز ؟

ولنفكر مرة أخرى بما يطلب من الفرد المفحـوص : خلق قصص خلقاً حـراً ثم سردا .

واننا نستطيع أن نميز عدة عوامل في تنفيذ الرائز :

١ ـ **فهم المدلول** ـ ينبغي أن نلح على المفحوص أن الأمر ليس إلا تجربة وأننا نريد أن نطبق هذا الرائز عليـه وهو رائـز يهتم بقدراتـه الخياليـة على خلق القصص . . . الخ . . . ينبغي أن يفهم المفحوص هذه التعليمات . وهـذا يتطلب درجـة عاليـة من الذكاء . ولهذا السبب فان تطبيق الرائز يصبح مستحيـلاً عند ضعـاف الفكر وبعض المرضى .

٢ ـ **الإرادة الحسنة والتعاون** ـ ينبغي أن نتـذكـر أن « الإرادة الحسنـة » للمفحـوص تلعب دوراً هـاماً في انجـاز الرائـز . وحتى في خـلال الـ « ت . آ . ت » ينبغي على المفحوص أن يسهم في الرائز ، وأن يريد حلّه بشرف . وأن عـدداً كبيراً من المفحـوصين يجهلون هـدف الرائـز ويظنـون أن الأمر يتعلق بفحص المخيلة بينـما يفهم آخرون الهدف فهماً جيداً أو يشكون بأن له هدفاً آخر . وفي أغلب الأحيـان ينبغي ألا نكتفي بالتفسير الذي كنا قد ذكرناه . فان مريضاً ، يشكو اضطرابـات في قلبه ، لا يمكن أن يفهم لماذا يفحص خيـاله ، وكـذلك الأمـر بالنسبـة للرجل القلق والممسوس . في هذه الحال ، نقدر أن من الـواجب تفسير الأمـر للمريض وتـوضيح الهـدف من عملنا لـه . وفي كثير من الحـالات ، نجد الفـرد ينـزع إلى « اخفـاء شخصيته الحقيقيـة » وسرد قصص لا علاقـة لها بحـوادث حياتـه ، لذا نجده لا يبدي أيـة عاطفـة خاصـة به . ولكن ، حتى في هـذه الحالات القليلة ، يصعب اخفاء السمات البارزة للشخصية .

ينبغي أن نعـترف إذن بمقدار الكسب الـذي يقدمـه الفرد الـذي يتهيأ للتجـربة طـوعاً ويسرد قصصـه سرداً عفويـاً . وقد نصت التعليـمات على هـذه الناحيـة وألحت

عليهـا وخـاصـة فيـما يتعلق بـالسرد العفـوي للقصص كـما تـرد إلى ذهن المفحــوص مباشرة .

٣ ـ **موقف المفحوص** ـ إن موقف المفحوص ازاء التجربة موقف انتظار وتـوتر وقلق . ويمكن أن يتخـذ أشكـالاً مختلفـة حسب الأفـراد . ولهـذا ينبغي اقـلال هـذه الحالات ، قدر الإمكان ، وجعل المفحوص في مزاج حسن وتـذكيره بمهمتـه التي ينبغي أن يقوم بها وأن يتقيد بالصورة .

٤ ـ **الإدراك** ـ الأمـر هنا متعلق بـالعمليـة الحسيـة وهي رؤيـة الأشيـاء والأشخـاص المرسومين على اللوحة .

٥ ـ **الفهم** ـ الإدراك وحده لا يكفي لفهم معنى وجود الأشخاص والأشياء التي يـراها المفحوص في اللوحة . وهنا تدخل عناصر ذاتية كثيرة كالمعرفـة والتذكـر والمواقف الانفعـاليـة لهـذا الإنسـان الـذي يـدرك الشيء أو الشخص . ومن المعـروف أن أشخـاصاً مختلفـين يدركـون الشيء ذاته بصـور مختلفـة جـداً وقـد يهملون بعض العناصر التي تجذب انتباه غيرهم . وكلما كانت الصورة رجراجة خلقت امكانات مختلفة لفهمها .

٦ ـ **التفســير** ـ ينبغي أن نفهم هنـا المعنى الــذي تقـدمــه اللوحـة ووضعيــة بعض الأشخاص وحالهم النفسية . . . الخ . . . ويتغـير ذلك لـدى مختلف الأشخاص المجرب عليهم تغييراً هاماً . والتعليـل الذي يثـيره الرائـز يبدو أهم الـوظائف . فالمسألة هنا تتعلق بعملية نفسية معقـدة جداً تسهم فيهـا عوامـل مختلفة شعـورية (ولا شعورية خاصة) . وأن التعليل الذي يقدمه الشخص المفحـوص يكمن ، في جزئه الأعظم ، في التعليق على مغزى المشهد وسير الأفعال النفسيـة ، والفكر والإنفعـالات والرغـائب والنزعـات وغير ذلـك لدى الأشخـاص الذين يـرون في الصور . . بيد أن ثمة خلافـاً يحدث في تـأويل صـورة واحدة من قبـل أشخاص مختلفـين كما يحـدث مثلاً بـالنسبة للصـورة ١٨ التي تمثـل شخصـاً واقفـاً مغمض العينين مفتوح المعطف والسترة وأيد ثلاثة موضوعة عليه ، كما رأينا ، وهذا نموذج لبعض التفسيرات :

ـ « لص يقبض عليه » .

ـ «سكير لا يستطيع الوقوف وحده » .

- « مريض يجب أن يسند » .

- « انسان تعب من الحياة يراقبه أصدقاؤه ليحولوا بينه وبين محاولته الشروع في الإنتحار » .

- « انسان يحاول الهرب ، وآخرون يصلون إليه في الوقت المناسب ويلقون القبض عليه».

- « انسان اتخذه الآخرون سخرية لهم » .

- « كابوس » . . . الخ . . .

٧ - **بناء القصة** - تأتي أهمية بناء القصة في الدرجة الثانية بعد التفسير . والواقع أن المجرب عليه يبني القصة بدءاً من التفسير . وهنا أيضاً نشير إلى أن العملية النفسية المعقدة حصيلة عدة وظائف نفسية . فالخبرات السابقة وذكريات الحوادث الماضية والأشياء المرئية أوالمقروءة والإنطباعات الجديدة والقديمة والنزعات اللاشعورية تلعب دوراً بالغ الأهمية هنا ، وهي العناصر التي سنناقشها حين نحاول تعليل القصص .

٨ - **التعبير الشفهي** - لا يطلب إلى المفحوص أن يذكر لنا تصورات داخلية بل حكاية أي تعبيراً شفهياً عن انطباعاته . وهذا التعبير ذو أهمية لتقدير نتائج الرائز . شكل الجمل وبناؤها واستخدام بعض المجموعات من الكلمات أو اغفالها ، وغنى اللغة أو فقرها ، وطول القصص ، وغير ذلك ، كل هذا ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في تقييم الرائز عند تفسيره .

وينبغي أن نهتم الآن بتقييم الرائز . اقترحت طرائق متنوعة لذلك تبعاً للمؤلفين . وسنعرض الآن عرضاً مختصراً الطريقة التي وضعها «موراي» نفسه. ونستطيع أن نبين مسبقاً أن التحليل فيها يعتمد ، بصورة خاصة ، على مضمون القصص . فهو يميز أولاً **العوامل الباطنية** عند البطل ثم **العوامل الخارجية** التي يقدمها المحيط للبطل ثانياً .

وحينذاك تصبح القضية متعلقة بفحص الوجه الذي اختاره المفحوص بطلاً لقصته . انه يختار ، بصورة عامة ، شخصية تشبهه كثيراً أو قليلاً ، ثم يتقمصها بهذا الشكل أو ذاك . إن وجه البطل مرتبط ، بشكل واسع ، بوجه القاص ، كما أن تصوير الوقائع يشبه وقائع حياته الخاصة ولنلاحظ أيضاً أن المفحوص يتقمص ،

بصورة عامة ، أبطاله من جنسه . ويندر أن نجده متقمصاً شخصية من الجنس الآخر .

ويسهل تحديد بطل القصة في أغلب الحالات . إذ أن عدداً لا يستهان به من القصص لا يحتوي إلا على شخصية واحدة أو أن شخصية واحدة تلعب الدور الأول بالنسبة للشخصيات الأخرى . وفي حالات أخرى نجد شخصين أو عدة أشخاص في المقدمة يتقمص القاص شخصية واحد منهم ، أو أنه يتذبذب بين واحد وآخر . ويشير «موراي »إلى أن النزعات المتضاربة الموجودة عند الفرد يمكن أن تعرض بشكلين مختلفين كالنزعات الإجرامية عند شقي من الأشقياء ، والوعي عند رجل الشرطة والقاضي . والأب يمثل غالباً الأنا العليا عند الفرد .وفي هذه الحال يتكلم«موراي »على « فكرة نفسية داخلية يمثلها بطلان جزئيان » . ويلاحظ أيضاً ، في بعض الأحيان ، أن بطل القصة نفسه يسرد قصة أخرى يتدخل فيها شخص آخر .وهنا يميز« موراي » بين بطل أولي وبطل ثانوي . كما يمكن أن يحدث أن انتباه المفحوص يتوزع حول عدة أبطال « جزئيين » أو أن الشخصية الرئيسية في الحكاية لا تمثل القاص نفسه بل شخصاً من محيطه بينما لا تتدخل شخصية القاص في القصة أو أنها لا تلعب فيها إلا دوراً ثانوياً .

وحين يلاحظ الفاحص الشخصيات التي تمثل القاص ، في كل قصة ، أي الشخصيات التي يتقمصها ، يسعى في استخلاص الأسباب التي تحرك البطل في القصص العشرين واستخلاص مشاعره وفكره ونزعاته . وبدراسة هذه المعطيات عليه أن يبحث ، بصورة خاصة ، فيما إذا كان البطل يمثل بعض خصائص مرض من الأمراض العقلية أو انحرافات طبعية أو أية سمة غير عادية أو إذا كانت بعض السمات بارزة بصورة واضحة أو خفية عنده . . ويركز« موراي» تعليلاته على نوع من الرواسم (المخططات) . ويميز ثماني عشرة حاجة مختلفة أو اندفاعاً ، منظمة حسب اتجاهها أو هدفها الشخصي والمباشر .إن قوة كل حاجة وكل نمط من الإنفعـ « موراي» بدرجات مبتدئة من (١ ـ ٥) حسب شدتها ومدتها وتكرارها ومدلولها في القصة . ثم تجمع درجات كل عامل وتقارن النتائج في جدول مقنن . كما أن موراي يقيّم ويقدر عدد الكلمات . إلا أن فن هذه الطريقة لا يذكره لنا بشكل مفصل في النص الذي يرافق لوحاته .

وبين العوامل النفسية التي يعبّر عنها في القصص والتي هي هامة جداً للتقدير

يشير « موراي » إلى ما يلي : صغر الـ « هو » عند المفحوص ، الخضوع إلى الواجب ، الإنسحاب والتراجع تجنباً للتقريع ، العقاب ، الآلام ، الموت ، قبول ضغط خارجي مناف من غير تمرد ، أو قبول الظلم والتهجم والفشل ، الاعتراف ، الدفاع ، الوعد بالمكافأة ، الرغبة في التوبة ، الخضوع لظروف لا تحتمل تقريباً ، المازوشية .

السعي نحو التكامل ـ متابعة مهمة عظيمة باندفاع وتصميم . محاولة انجاز شيء هام . الرغبة في ادارة مؤسسة من أي نوع كانت أو الرغبة في اقناع رهط من الناس بادارتها ، الرغبة في خلق أي شيء ، الظهور بمظهر الطامح في أثناء النشاط .

العدوانية :

أ ـ في الإستجابات الإنفعالية واللغة : البغض (المعبر عنه لفظاً أو بكلمة لا) ، الغضب ، المناقشة الحادة ، السباب ، النقد ، الحط من قيمة الإنسان ، التحقير ، اثارة العدوان ضد الآخرين بنقدهم في العلن .

ب ـ من وجهة النظر المادية الإجتماعية : ويكون ذلك بالضرب والقتل دفاعاً عن النفس أو عن شخص محبوب ، إو للإنتقام من التهجم أو الظلم ، القتال في سبيل الوطن أو في سبيل قضية عادلة ، معاقبة التهجم بالرد عليه ، ملاحقة مجرم أو القبض عليه وسوقه إلى السجن .

ج ـ من وجهة النظر المادية وغير الإجتماعية : ويكون بتوقيف رجل ومهاجمته وتعذيبه أو قتله في ظروف منافية للقانون ، اثارة عراك دون أسباب كافية ، الانتقام من الظلم بشكل قاس ، النضال ضد السلطات القائمة ، التمرد ضد بلاده الخاصة ، السادية .

د ـ الميل للتخريب : مهاجمة حيوان أو قتله ، القضاء على كائن حي وحرقه وتحطيمه .

الميل للتصغير ـ محاولة التأثير في السلوك والمشاعر والفكر عند الآخرين ، البحث عن مركز يمنح السلطة على الآخرين وقيادتهم والسيطرة عليهم والتحكم بهم، ممارسة الضغط على الآخرين، وحرمانهم من حرياتهم وسجنهم.

الفظاظة الموجهة نحو الذات ـ تقريع الذات وتعذيبها بعد ارتكاب خطأ أو حماقة أو فشل . احتقار الذات ، التألم من عقد النقص ، والشعور بالذنب وتبكيت الضمير ، معاقبة النفس والانتحار .

نزعات التعاطف ـ التعبير عن التعاطف في أفعاله ، أن يكون محبوباً ، احترام مشاعر الآخرين ، الإشفاق على الأقران ، ودعمهم وتقديم العون لهم وحمايتهم والدفاع عنهم ونجدتهم .

السلبية ـ محبة الهدوء والإنفراج ، والنوم . الشعور بالتعب بعد مجهود صغير . اتخاذ موقف سلبي تأملي ، محبة الخشوع ، محبة تلقي الانطباعات الحسية ، ترك الأمور للآخرين بسبب عدم المبالاة أو الكسل .

المعطيات الجنسية ـ السعي نحو رفقة فرد من الجنس الآخر والتمتع بذلك ، الحصول على علاقات جنسية ، الوقوع في الحب ، الزواج .

الحاجة إلى النجدة ـ السعي للحصول على النجدة والراحة من الآخرين ، والحصول على التشجيع أو الصفح . طلب الدعم والحماية والرعاية والارتباط ، الإنشراح بسبب تلقي العطف والغذاء والهدايا النافعة ، شعور المرء بالعزلة حين يكون وحده ، الحنين إلى الوطن البعيد ، الانزعاج في موقف حرج ، ويرتبط بهذا أيضاً الشعور بالإشفاق على النفس والشعور بشيء من اللذة في العذاب الخاص . البحث عن عزاء في الكحول والمنبهات .

ومن بين الحاجات الأخرى التي يشير إليها« موراي» يحسن أن نعدد رغبة التملك والإسهام في كل شيء ، والحاجة إلى الإستقلال والرغبة في تجنب النقد ، والرغبة في المعرفة والخلق والإحترام ، والبحث عن الإحساسات ، والرغبة في الظهور وتجنب المصاعب .

ومن بين الحالات الداخلية والعاطفية يشير«موراي » إلى ما يلي :

الصراعات ـ حالات عدم الوثوق ، وعدم القدرة على التصميم ، والتشوش والتشتت في الذات ، بشكل طارىء أو مستمر ، في الانـدفاعات والحاجات والرغائب ، أو الأهداف المتعارضة ، الصراعات الخلقية ، الكف الذي يشوش الفرد .

التبدلات الانفعالية ـ خبرة في تعديل واضح في المشاعر ازاء الآخرين ، أن يكون الإنسان ذا مزاج متقلب غير ثابت ، غير مستقر في عواطفه ، ابداء تغيرات في المزاج والطبع ؛ وجود مثير عقلي في القصة الواحدة أو كبت ، عدم القدرة على تحمل

الشكل الوحيد الرتيب ، وعدم القدرة على الاستقراء ، البحث عن (تجارة) الأشخاص الجدد ومراكز الإهتمام والميول الجديدة .

الكبت ـ القنوط ، والشعور بصعوبة زوال الأوهام ، الوقوع فريسة الحزن بدون سبب واليأس والقلق والآلام والشعور بالتعاسة .

ثمة حالات أخرى داخلية منها القلق والإثارة والحسد والحذر .

وفيما عدا البطل، ينبغي اللجوء إلى تحليل الجوّ الذي يعيش فيه البطل والعلائق التي توجد بينه وبين بيئته ، والموقف الذي يوجد فيه . وهنا يجب أن ننتبه فيما إذا كان القاص يستخدم عناصر موجودة في اللوحات أو عناصر جديدة يضيفها إليها أو شخصيات جديدة غير موجودة في الصور بصورة خاصة . وزيادة على ذلك ينبغي أن نرى كيف يصف الأشخاص في العالم المحيط بهم وما هو موقفهم ازاء البطل ؟ هل هو موقف قبول ؟ وهل تظهر الشخصيات من الجنس المؤنث بموقف أفضل من موقف الجنس المذكر ؟ وينبغي معرفة السمات التي يرسم بها النساء والرجال الكبار (وجوه الآباء أو الأمهات) .

وقد أعدّ «موراي» راسماً (مخططاً) قدّر بواسطته النتائج من (١ ـ ٥) حسب شدتها ومدتها وتكرارها ومعناها العام في القصة . ولنعدد الآن المعطيات التي نأخذها بعين الإعتبار دون أن ننشغل بالتقدير الكمي .

النزعات الإجتماعية :

أ ـ الترابطية : للبطل صديق واحد أو عدة أصدقاء . هو جزء من رهط من سنه أو طبيعته .

ب ـ الانفعالية : وجه آخر يحب البطل (أبوان ، أفراد العائلة ، خطيبة) للبطل مغامرة حب (متبادلة) أو أنه يتزوج .

العدوان :

أ ـ انفعالي أو شفهي : شخص يكره البطل أو يغضب منه . ينقد . يعاقب . يعذب . يحقر ، يلعن . يهدد . شخص آخر يغتابه . مناقشة حادة .

ب ـ مادي أو اجتماعي : البطل يرتكب ظلماً (عدواناً) أو (جرماً) . واحد يدافع عن نفسه ضده ، فيهاجمه بدوره ويلاحقه ويقذف به في غياهب السجن أو يقتله . سلطة شرعية (أسرة ، شرطة) تعاقب البطل .

ج ـ مادي ومناف للمجتمع : مجرم أو عصابة من المجرمين تهاجم البطل فتجرحه أو تقتله . شخص آخر يبدأ قتالاً معه ، والبطل يدافع .

د ـ تخريبي لملكية البطل : أجنبي يخرب أو يهدم أملاك البطل .

نزعة السيطرة :

أ ـ ضغط خارجي : أحد الأفراد يحاول ارغام البطل على القيام بأي عمل . يؤمر أو تفرض عليه بعض الأمور بالقوة .

ب ـ تقييد حريته : أحد الناس يحول بين البطل وبين التصرف على هواه . تقلّص حريته أو يسجن .

ج ـ التأثير والإغراء : أحد الناس يسعى لاجتذاب البطل عن طريق الصداقة أو الذكاء أو التشجيع والإغراء كي يتصرف أو لا يتصرف بشكل معين .

د ـ الحاجة إلى المعونة : امرؤ يغذى ، يحمي ، يشجع ، يساعد البطل ويعفو عنه .

هـ ـ رفض قبول البطل : شخص يرفض قبول البطل ويحتقره ويعذبه ويرفض مساعدته ويهمله أو يبدو غير مكترث به . شخص محبوب لكنه خائن . البطل لا يتمتع بشعبية . والمركز الذي يرغب فيه لا يستطيع الوصول إليه فيفقده .

الحرمان والضياع :

أ ـ الحرمان : البطل محروم مما هو بحاجة إليه لكي يعيش وينجح ويسعد . انه فقير بدون عائلة ، أو مركز ، أو تقدير ، أو تأثير . ينقصه الأصدقاء ، وكذلك الأمر بالنسبة للاهتمامات الترويحية والتقدم في الحياة .

ب ـ الضياع : هنا يفقد البطل أشياء أو كائنات يمتلكها أو هي غالية عنده (موت حبيب) في أثناء القصة .

الخطر المادي :

أ ـ الفعال : البطل معرض لأخطار مادية من قوى غير انسانية كالحيوانات المفترسة

أو انزلاق القطارات ، وصاعقة ، وعواصف في البحر ، وقصف قنابل .

ب ـ فقدان الدعم القوي : البطل معرض لخطر السقوط والغرق ـ سيارته تنـزلق ، زورقه يغوص . طيارته تتعطل . يوجد على شفا الهاوية .

الجـروح المادية ـ البطل يهـاجمه شخص (عـدوان) أو حيـوان ، أو يجـرح في حادث (خطر مادي) . يعذب في جسمه أو يشوّه .

وحين يعتبر البطل منفصلاً عن محيطه ينبغي أن نفحص حينئذ العلاقات التي توجد مع هذا المحيط والوسائل التي تعترض ذلك فاذا نجح ، بصعوبة أو بسهولة ، في أن يسيطر على هذا المحيط والتلاؤم معه وتخطي الصعوبات ، أو إذا كان الأمر على العكس فانه يستسلم لوطأة المحيط . ماذا يعمل لاجتياز الصعوبات ؟ هل يتعاون مع غيره أم لا ؟ هل يدع الآخرين يربحون أو يستثمرونه حتى النهاية . هل يكون سلوكه فاعلاً أم منفعلاً . ما هي الشروط الضرورية لنجاحه وبأي الظروف يفشل ؟

هل ارتكب جريمة وأصبح يشعر بأنه متهم ؟ هل طلب إليه أن يقدم حساباً ؟ هل يعاقب ؟ هل يعترف ؟ هل هو غير مكترث ؟ أو هل يميل نحو لوم نفسه ؟ هل يحاول أن يتوب ؟ هل يحاول تصفية عمله لكي يتخلص من العقاب ؟

ويرى «موراي» أن الفاحص ينبغي أن يسعى في استخلاص الفكرة الرئيسية والأفكار الثانوية . فما هي الصراعات والصعوبات التي تشغله في المرتبة الأولى ؟ هل هناك سلسلة من الأفكار تنـزع إلى العودة ؟ البحث عن حماية ، وجود خصومة ، البحث عن حب ، الإحباط (الخيبة) إكراه أو تقييد الحرية ، اعتداء وعقوبة ، رغائب متناقضة ، رغبة في المعرفة ، في الحرب ، الخ . . . ومن المهم ، بصورة خاصة ، أن نأخذ بعين الاعتبار الدور الذي يلعبه ، في القصة ، الرجال والنساء الكبار في السن (الأباء والأمهات) ، وجوه الجنس أو الجنس الآخر (بعضها يمكن أن يصور الأخوة أو الأخوات) .

يمكن أن تضم القصص عناصر مختلفة : وقائع لاحظها المفحوص نفسه ، وأمور قام بها أو يحب القيام بها ، ونزعات لا شعورية ترجع ، في جزء منها ، إلى طفولته ، ومشاعر ورغائب يعبر عنها ، في وقت الفحص ، تطلع نحو السلوك المقبل ، أمور ينبغي أن يقوم بها أو يتجنبها . أما فيما يتعلق بروابطه مع المحيط ، فيمكن أن

ترسم القصص مواقف يأمل فيها البطل أن يجد نفسه أو يشك في ذلك ، مواقف يرى فيها ، في الوقت الحاضر ، أو أنه سيوجد فيهـا في المستقبل .كـما يرى «موراي» أنه في خـلال تقديـر القصص ينبغي أن نعتـبر هـذه القصص عـلى أنها يمكن ان تكـون غـير شخصية ومحددة بالصور جوهرياً ، وفي حالات أخـرى يمكن أن تنتج أشيـاء مقروءة ، وأحداثاً من العالم الخارجي أو من الفكر الحاضرة .وقد لاحظ «موراي »أن حوالي ٣٠٪ من القصص هي من طبيعـة غـير شخصيـة . ولكن ينبغي أن نعـترف هنــا ، بـدون شك ، أن وسائل هذه الزمرة تشكل ، في نصف الحالات ، صفة مميزة للمفحـوص . وفضـلاً عن ذلك يجب أن نـلاحظ أن جميع مـظاهـر الشخصيـة لا ينبغي أن تنكشف بالضرورة في عشرين قصة .

ويميز «موراي »بين مستويين وظيفيين : المواقف المادية والتعبير الشفهي من جهة ثم الأفكار والمشاريـع وأحلام اليقـظة والنوم المعـبرة عن السلوك من جهة ثـانية . وأن سلوك الفرد حيال الفاحص يربط بالمستوى الأول بينما تربط قصصه بالمستـوى الثاني . وتعبر القصص عن شخصية معظم الأفراد أكثر مما يعبر سلوكهم .ويفرق«موراي» بين ثلاثة أنمـاط من الحياة النفسيـة نجد تعبيـراً عنها في الـرائز : النمط الأكـثر عمقاً وهـو النمط الذي يمثل النزعات المكبوتة ولا يعبر عنها في أفكـار الفرد أبـداً ، وقد يعـبر عنها بشكـل تقريبي فتمثـل النمط الثاني حينئـذ ، أما النمط الثـالث فهـو نمط الفعـاليـة . وقصص الـ « ت . آ . ت » ترجع إلى النمط الثاني أو الثالث ، والصورة التي تقدمها عن الفـرد المفحوص تختلف غـالباً عن الصـورة التي تقدمهـا عنه الملاحـظة في الحيـاة العادية أو عـما يعبر عنـه تعبيراً شفهيـاً أو عما يقـوم به . ويعـود ذلك إلى أن النـزعات المكبوتة أو المنسية تبرز هنا بروزاً أكبر وبشكل أوضـح . ومع ذلـك ينبغي ألا ننسى أن سلوك الفرد في الحياة يمكن أن ينعكس في قصصه .

إذن فلكي نؤول تأويلاً صحيحاً ينبغي أن تكون عندنا معطيات عن حيـاة الفرد وجنسه وعمره ومركزه الحالي الخ . . .ويحـذر« موراي»من « التأويل الأعمى » . وهـو يهتم بصورة خاصة ، خلال التأويل ، بمضمون القصص بينما يهتم غيره ، مثل«يات»، بـالجانب الشكـلي منها . كـما أنه يجب أن يؤخـذ بعين الإعتبـار مدى انتبـاه الفـرد إلى الصورة ونسبة ذلك الانتباه ، وفيما إذا كان يبتعد عنها ، وفيـما إذا كان للقصص بعض الخصائص الغريبة أم أنها تظل مطابقة لخصـائص معظم قصصـه ، كما ينتبـه أيضاً إلى

الإسهام الفعال لراوي القصة . ويـرى آخرون ضرورة دمـج التأويـل الشكلي بتـأويل المضمون ، بينما يرى غيرهم ضرورة تنوع الصراعات التي تظهر في الرائز .

وسنلخص الآن عمل «تومكينز» الذي قدم وصفاً لطريقته الخاصة . انه يميز ، في تقديره لكل قصة ، بين أربع منظومات هي : الاتجـاهات ، والمستـوى ، والشروط ، والخواص المميزة :

١ ـ **الاتجاهات** : ويقصد بذلك « الاتجاه النفسي المميز للسلوك » والنزعات والرغائب وإمكان شيء أو انسان تحـرير بعض الاستجـابات أو المشـاعر . و **يذكر**«تومكينز» تسعة اتجاهات ، وهذه الاتجـاهات غـرضها الأشخـاص الآخرون و (أنـا) الفرد المفحوص والمؤسسات الاجتماعية والأشياء المادية والأفكار ، وبالإجمال كل الأشياء التي يمكن أن تقدم فائدة انسانية :

آ ـ اتجـاهات التعلق والتبعيـة : التعلق بالأشيـاء ، طلب النجـدة ، البحث عن النجـدة ، والإعجـاب بشيء ، مـلاحـظة التعلق ، تعلق المـرء بنفسـه ذاتهـا وبالمؤسسات والأفكار . الخ .

ب ـ اتجـاه التملك : جر مكسب ايجـابي من الأشيـاء ، كسب المـال أو جمعـه ، التعلم ، محاولة المرء جعل نفسه محبوباً ، أو الحصول عـلى انفعالات جمـالية واغرائية ، الأكل ، واغناء التجارب الخ . . .

ج ـ اتجـاه التمتع : التقـرب من الأشياء ذات القيمـة الإيجابيـة ، والتمتع بهـا ، اللعب مع الآخرين ، تكـوين علاقـات جنسية ، الضحـك مع الأتـراب ، واقتسـام الأمور الـودية معهم ، والتعـاون واياهم ، الإسهـام في الطبيعـة ، الاهتمام بالذات .

د ـ اتجاه النجدة : أعطاء قيمة ايجابية لـلأشياء الأخـرى ، مساعـدة الأخرين ، اصلاح الأشياء وصنعها ، مساعدة الذات .

هـ ـ اتجاه التسلط : التحكم بالأشياء والسيطرة على الأشياء أو المـراكز ، اجتيـاز الحدود:ابقاء الأشياء على حالها أو تغييرها ، قيادة سيارة ، مراقبة الذات .

و ـ اتجـاه قبول السلطة : الخضـوع للأشيـاء ذات القيمـة السلبيـة ، الانـدمـاج

معها ، الخضوع للأشياء المخيفة ، الخضوع للأنا العليـا المثاليـة ، أو إلى أنا عليا منافية .

ز ـ اتجاه الإعتراف بالقيم : الخضوع للأشياء ذات القيمة الإيجابيـة ، الاندمـاج بشيء محبوب ، أو ظروف سعيدة ، التلاؤم مع أنا عليا ، أو أنا عليـا مقبولـة من الفرد .

ح ـ اتجاه الهرب : تجنب غرض ، الهرب منه أو تركه ، هجر المنزل ، الحذر من الأخطاء ، الإبتعاد عن الشقاء ، والتهديدات الصادرة عن الأنـا الخاصـة ، توقف المشاعر ، نسيان الأحداث المنافية .

ط ـ اتجـاه التهجم : مهاجمـة الأشياء ، المسـاس بالقـانون ، التمـرد ، مهـاجمـة الآخر ، دفعه أو تحقيره ، التخريب ، نقد الذات ، الانتحار .

٢ ـ المستـوى ـ يصنف«تومكينز» تحت هذه العبـارة الـوظـائف النفسيـة التي تتجـلى في القصص :

أ ـ وصف الأشياء : مثلاً : على اللوحة يلمح حقل .

ب ـ ذكر الأحداث : مثلاً : هذا عيد ميلاده .

ج ـ السلوك والنشاط : مثلاً : يزرع حقله .

د ـ الإدراك : مثلاً : ينظر إلى الحقل نظرة غامضة .

هـ ـ الانتباه : مثلاً : يسمع ضجة .

و ـ الأهتمامات : مثلاً : كان فضولياً .

ز ـ النية : مثلاً : كان في نيته أن يقوم بهذا العمل .

ح ـ العواطف : مثلاً : كان موقفه دينياً .

ط ـ التفكير : مثلاً : انه يفكر بهذه المسألة .

ي ـ الانتظار : مثلاً : كان يظن أن السماء ستمطر .

ك ـ الرغبة : مثلاً : كان يتمنى لو قام بهذا العمل .

ل ـ الإنفعالات : مثلاً : كان غاضباً أو قليل القيمة .

م ـ الإنطباعات المادية : مثلاً : ضرب ذراعه .

ن ـ الذاكرة : مثلاً : انه يتذكر (من) طفولته .

س ـ حلم اليقظة : مثلاً : تصور أنه عازف كبير للكمان .

ع ـ حلم النوم : مثلاً : انه كابوس .
ف ـ حالات خاصة : مثلاً : لقد تسمم .

هـذه الوظـائف المختلفة يمكن أن تكـون لها أغـراض أو بالعكس . وعـلى هـذا يستطيع الفرد المفحوص أن يقول : إن الطفل يحلم بعينين مفتوحتين .

٣ ـ **الشروط** ـ يقصد «تومكينز» بهذه العبارة ـ ونحن نؤيده ـ الحـال النفسية والاجتماعية والمادية والتي ليست سلوكاً أو رغبة أو نزعة نحو أي شيء . فاذا فقد البطل أبويه فان ذلك يكون أمراً واقعاً وليس نزعـة . وكذلـك الأمر حـين يفكر البـطل بأنـه أخرق . وثمة أحوال داخلية أو عـواطف يمكن أن تصبح شروطـاً أيضاً . فحـين يشعـر البطل أنـه تعس فـان الأمـر يتعلق بشروط وليس بـأهـداف أو رغـائب . والشرط يمثـل ، مع ذلـك ، موضـوع رغبـة . مثـلاً : يـرغب البـطل أن يكـون سعيداً .

ويعدد «تومكينز» الشروط التالية :

آ ـ شروط ذات معنى سالب :

١ ـ حـرمـان أو قصـور أو نقص : مثـلاً : نقص القـدرة والاستقـامـة والإهتـمامـات والعـواطف والمعـارف والفعـاليـة والضبط والإصرار والشجـاعـة والصحـة والـذهن والنجـاح والـطرف الثـاني في الحب أو الجنس والأصدقاء والنصائح والمساعدة والتقدير والمودة والحماية والأبوين والإنتسـاب للجماعـة ومراكـز الاهتمام والـثروة والمال والـزمـان والمكـان والمحيط المشابه له .

٢ ـ الضياع : مثلاً : العناصر السابقة نفسها التي جاءت في الفرة (١) .

٣ ـ الإفـراط : العناصر السـابقـة ولكنهـا مقـدرة بشكـل سـالب : للبـطل أصدقاء عديدون وكثير من المال والقدرات والنجاح مما لا يحتاج إليـه في اهتماماته .

٤ ـ الخطر : مثلاً : خطر الغبن والضياع والإفراط ، جرح مادي ، غرق ، حريق ، حيوانات ضارية الخ . . .

٥ ـ البنية : مثلاً : أن تكون المراكـز غير مقـدرة تقديـراً كبيراً وكـافياً أو لا تعرف الإستقرار .

٢ ـ ارضاء : الأشياء نفسها المذكورة سابقاً مع فرق بسيط هو أن المفحوص يتقبل قبولاً حسناً مندفعاً الأشياء ذات القيمة .

٣ ـ اعتدال : الأشياء السابقة إلا أنها لا ترد بنسبة كبيرة بل بنسبة كافية .

٤ ـ أمان : مثلاً : بعد عن كل تهديد بالخطر والحرمان والفقدان أو الإفراط .

٥ ـ تكوّن : مثلاً : مراكز مقدرة تقديراً حسناً أو غامضاً ، مستقرة أو غير مستقرة . والبطل راض .

٦ ـ أحوال النفس : مثلاً : تفاؤل ، شعور بالسعادة وبالثقة وبالأمن الخ .

٤ ـ **الخواص المميزة** ـ يقصد«تومكينز» بهذه العبارة المظاهر النوعية للاتجاهات أو المستوى أو الشروط ويصنفها كما يلي :

آ ـ خواص الزمان :

١ ـ متى يحدث الفعل ؟ في الماضي أو الحاضر أو المستقبل (مباشر ، قريب ، بعيد) مثلاً : كان يحبها ، يحبها ، سيحبها ، التقى بها أمس ، منذ عدة شهور ، منذ وقت طويل .

٢ ـ ما هي مدة الحوادث ؟ هل هي عابرة أم أنها ذات فترة متوسطة أو طويلة ؟ مثلاً : كان يحبها ثم هجرها ، تعارفا منذ بعض الوقت ، أحبها طيلة حياته .

ب ـ درجة الوثوق : إلى أي مدى كان الأمر مؤكداً ؟ هل هو ممكن ، محتمل ، مؤكد ، مستحيل ، غير مؤكد؟ مثلاً : كان بوسعه أن يقوم بهذا العمل ،

٦ ـ أحوال النفس : مثلاً : نكوص ، قلق ، شعور بالذنب ، حياء ، عدم وثوق ، أزمة ، يأس .

ب ـ شروط ذات معنى ايجابي أو حيادي :

١ ـ الإفراط : مثلاً : الأشياء نفسها المذكورة في الفقرة (حرمانات) مع اختلاف واحد هو أنها توجد هنا بكثرة زائدة .

من المحتمل أن يقوم بـه . من المؤكد أنـه سيقوم بـه . لن يفعل . انـه لا يعرف فيها إذا كان سيفعله .

ج ـ الشدة : ما هي شـدة عواطفـه ؟ ضعيفة ، متـوسطة ، قـوية ، مثـلاً : انه يحبها حباً قوياً . لقد وهب نفسه لها .

د ـ النفي : طـريقته في دفـع شيء من الأشياء ، ومهـاجمتها . فقـوله : « انـه لا يستسلم لأحـلام اليقظة » يمكن أن يـأتي بالشكـل التالي : « أحـلام اليقظة » بوضع قوسين حول كلامه . أو أن يذكر كلامـه بشكل منفي : « انـه لم يكن يود القيام بذلك الأمـر » أو « هذا لا يحـدث على حـين غرة » أو « لم يحصـل على ما كان يرغب فيه » .

هـ ـ نزوع نحو هدف : كل علاقة بـين وسيلة وهدف . مثـلاً : كان يـرغب في الحصول على المال لكي يساعد أصدقاءه (يشير إليها تومكينز بالحرف C) .

و ـ السببية وعلاقات السببية بالنتيجة : (يشير إليها تومكينز بالحرف e) مثـلاً : إن قدراته تمكنه من بلوغ النجاح .

ثم يقـدم «تومكينز» بعض الأمثلة المفصلة عن تحليـل القصص . ولبلوغ هــذا الهدف نراه ينسخ القصة كلها ثم يقسمها إلى سلسلة من الأفكـار الصغيرة التي يحللهـا تحليلاً منفصلاً . وهذا أنمـوذج بسيط لجزء صغير من تحليله لقصـة صغيرة حـول اللوحة ذات الرقم (١) : (صبي أمام كمان) : « إن هذا الـطفل الصغـير يكره العـزف على الكمان ، بيد أن أمه أرغمته على دراسة الموسيقى ظناً منها أنه سيكون في يوم من الأيام مـوسيقياً بـارعاً . فغضب غضبـاً شديـداً وحطم كـمانه . ثم حـزن لأنـه عـرف بـأنـه سيضرب . وهذا ما سيحدث بكل تأكيد . فهو شبيه بستراديفاريوس الحقيقي » .

نسـخ «تومكينز» القصة عـلى النحو التـالي : الأم ، أملاً منهـا بـأن يصبـح ابنهـا مـوسيقياً بـارعاً ، أرغمتـه على الـدراسة . الصبي الصغـير يكره العـزف على كـمان . غضب غضباً شديداً . حطّم كـمانه . وحـين عرف بـأنه سيضرب حـزن . فهو شبيـه بستراديفاريوس الحقيقي . وهذا ما سيحدث بكل تأكيد .

ثم أخـذ ينظر إلى كـل جملة على حـدة مفتشـاً عن مختلف الـزمر ، عـلى الشكل التالي :

١	٢	٣	٤
١ ـ الكمان			
٢ ـ الأم	الفاعل (هي)		
٣ ـ الولد	مفهول به : (جملة : أن سيكون)		
٤ ـ الإتجاهات			
٥ ـ المستويات	الرغبة (أملاً)	حادث : (أن يكون موسيقياً بارعاً)	
٦ ـ الشروط		افراط	
٧ الخواص المميزة	للزمن : الماضي القريب، الإحتمال : تأكيد ، الشدة : متوسطة	للزمن : مستقبل بعيد (لأنها تأمل) (ذات يوم) احتمال : مؤكد	C

ثم يقدم تومكينز تعليقه المستند إلى هذا التحليل : في العمود الأول كتبنا كلمة « فاعل » في السطر الثاني لأن الأم هي التي تأمل أن يكون ابنها موسيقياً كبيراً . وفي السطر الخامس يكون المستوى (الرغبة) لأنها هي التي تأمل . وفي السطر السابع الخواص المميزة للزمن هي الماضي القريب لأن رغبتها تسبق قليلاً العمل الرئيسي في القصة . أما الاحتمال فهو مؤكد لأن أملها ليس محدداً تحديداً كبيراً على الرغم من أن الفعل سيقع في المستقبل . وشدة رغبتها تعتبر متوسطة لأنها تبدو قوية بصورة خاصة أو ضعيفة بصورة خاصة .

في العمود الثاني كتبنا « المفعول به » على السطر الثالث لأن الابن هو موضوع أمل الأم .

وفي العمود الثالث كتبنا « حادث » في السطر الخامس لأن معنى « يصبح موسيقياً بارعاً » لا يعطينا أية فكرة عن سلوك المفحوص . وكتبنا كلمة (افراط) في السطر السادس لأن « يصبح موسيقياً كبيراً » تدل على أكثر من النجاح المتواضع . أما

في السطر السابع فقد وصفنا الخواص المميزة بالمستقبل البعيد لأنها تأمل أن يبلغ هذا الهدف « يوماً » . ولكن على الرغم من أنها تفكر بالمستقبل البعيد إلا أنها واثقة. والدليل على ذلك هو أنها تقدر بأنه « سيكون » موسيقياً كبيراً وليس أنه « قد يصبح » موسيقياً كبيراً .

وكتبنا C في السطر السابع من العمود الرابع لكي نشير إلى أن التتمة هي محصلة الشروط السابقة .

ويحلل «تومكينز» كل أسطر القصة تحليلاً مماثلاً وبذلك يقدم لنا في هذه القصة تسعة تحليلات . فاذا عرفنا أن كل فرد يسرد عشرين قصة ، هي أطول من هذه القصة في الغالب ، وإذا قدرنا بأن كل قصة تضم بين خمس عشرة جملة أو عشرين جملة أو أكثر ، وأنها كلها يجب أن تحلل كان معنى ذلك أن هذا العمل يتطلب كثيراً من الوقت يمكن أن يصرف لإجراء دراسة حول قيمة الرائز العلمية ، الأمر الذي يستحيل عمله في العيادة . إن العمل بهذا الشكل يتطلب كثيراً من الوقت بالإضافة إلى أنه معقد ولا فائدة منه . ويجب الاعتراف بذلك . إن ما يهمنا أكثر من تفصيلات التحليل المتعددة ، التي يقدمها «تومكينز» ، إنما هي الصراعات والعقد الموجودة عند الفرد المفحوص الذي نجرب عليه هذا الرائز . وقد رأينا من الأفضل أن نعرض عرضاً مفصلاً طريقة «تومكينز» لأنه يبدو لنا أن من المستحسن بالنسبة للمبتدىء بالتحليل أن نقوم بذلك كي يتلاءم مع متطلبات الرائز ويقدر ما ينتظر منه . وزيادة على ذلك فان التمييز بين مختلف العوامل (الاتجاهات ، المستوى ، الشروط ، الخواص المميزة) يقدم لنا معلومات ثمينة ، حتى لو لم نتقيد بحرفية طريقة تومكينز .

ومن ناحية أخرى يبدو لنا أن «تومكينز» قد طوّر تقدير نتائج الرائز . ففي الجزء الثاني من كتابه نراه يناقش تشخيص الشخصية بالاستناد إلى القصص المسرودة . ويميز في ذلك بين أربعة مجالات أو مجموعات من المعضلات تؤثر تأثيراً فعالاً في حياة الفرد : العائلة ، الحب والعلاقات الجنسية والزواج ، العلاقات الإجتماعية ، العمل والنشاط المهني . يذكرنا هذا التمييز بنظريات «ألفريد آدلر» التي ترى أن كل فرد يحل ثلاث معضلات جوهرية طيلة حياته : تكوين بيت والاستمرار في حياة عائلية ، والعيش في مجتمع ، ثم القدرة على التلاؤم مع متطلبات المجتمع والحصول على نشاط مهني . ولنفحص الآن عن كثب هذه النقاط المختلفة على ضوء تطوير «تومكينز» لها:

آ ـ **العائلة ـ** يحدد «تومكينز» بهذه العبارة ، قبل كل شيء ، العلاقات بين الأبوين والأولاد . فمن المهم إذن أن ننتبه إلى القصص لنرى ما نستطيع أن تقدمه لنا حول هذا الموضوع . فالمواقف التي ترسم هل يمكن أن تؤول على أنها علاقات بين الأبوين وأطفالهم ، ووجوه الآباء هل أضيفت ، والأشخاص الطاعنون في السن الموجودون في الصورة هل أهملوا ، وإلى أي مدى توجد الصراعات بين الآباء والأولاد ؟ هل يسعى الآباء للتأثير بأبنائهم حتى لو كان ذلك مخالفاً لرغباتهم وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الهامة التي تمس حياتهم مثل اختيار مهنة أو صديق أو رفيقة أو رفيق ؟ هل يكون الآباء من النوع غير المكترث ، وهل يتركون الطفل يتصرف حسب هواه أم أنهم خاضعون له ؟ هل يقبل الولد تأثير أبويه أم أنه يرفضه ؟ إلى أي مدى يختلف عن أبويه ؟

وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً طول القصة التي تدور حوادثها حول العائلة وأن نقارنها بطول القصص التي تدور حول مواضيع أخرى .

ب ـ **الحب والجنس والحياة الزوجية ـ** الأشخاص المختلفون يتصورون الحب بصور مختلفة . فبعضهم يراه في السيطرة على المحبوب أو الخضوع له ، أو التعلق بشخص آخر والعناية به ، أو امتلاك أحد واقتسام المودة معه ، بينما يبحث غيرهم عن ارضاء الحاجات الجمالية ، والمشاركة أو عدم المشاركة في هذه العاطفة أمر بالغ الأهمية . والحب يتعلق بدرجة نضج الرجال ، لذلك تكون له شدة مختلفة ومدة مختلفة ، فلماذا ينقطع حبل الود؟ وما هو أثر التهديدات فيه؟ وكيف يتصرف الرجل ازاء هذه التهديدات ؟ هل توجد امكانات التصالح بعد انقطاع حبل الود ؟ هل يرجع سبب الجفاء إلى غرض آخر في الحب أو إلى أسباب أخرى ؟ والرجل يستطيع أن يبحث عن ارضاء نفسه في الانفصال . وهنا يتدخل نوع جديد من العدوانية الذي يمكن أن يتحول إلى رغبات في الموت ازاء الشخص المحبوب أو الالتفات نحو الذات وخاصة عند الانتحار . وأن لكل حب أساساً جنسياً ، لذا ينبغي أن نفرق ، على الأقل ، بين الحياة الجنسية والحب . كما يمكن أن توجد رغبات بالجنسية المثلية وحدها أو مع نزعات جنسية أخرى . ورغبة المرء في أن يكون من الجنس الآخر يمكن أن تظهر أيضاً . وشدة الحاجة الجنسية واللحظات التي تتجلى فيها يمكن أن تختلف . وهنا أيضاً تكون

مشاركة العلاقات ومدتها ذات أهمية . ويمكن أن يعتبر التجافي العاطفي أقل قسوة من التجافي الجنسي . والقيم والأوهام الاجتماعية ذات أهمية بالغة أيضاً . ويجب أن نذكر بالإضافة إلى ذلك ، شدة الكف والعجز عن الحصول على الارتواء الجنسي الطبيعي ، والخوف من الجنس حين يذكر المفحوص غالباً القلق والشعور بالذنب المرتبط باللذة الجنسية . وينبغي أن نشير أيضاً إلى أثر الجنس في موقف الفرد ازاء الحياة والعالم . ومختلف القصص ينبغي أن تفحص من وجهة النظر هذه .

جـ - **العلاقات الإجتماعية** - لا يقصد «تومكينز» بهذه العبارة فقط الموقف العام للفرد حيال الآخرين والمجتمع ، بل أنه يقصد ، بالدرجة الأولى ، النزعات المناهضة للمجتمع التي تبدو في القصص ، لذلك نجده يفحص مختلف أشكال السلوك المناهض للمجتمع ودوافعه التي تعبر عن نفسها بالقصص . فالعدوان يمكن أن يكون نتيجة لعقد النقص أو للحسد أو يمكن أن يحدث أيضاً نتيجة للرغبة في عدم مساعدة الآخرين من الأقران . يمكن أن يوجه السلوك المناهض للمجتمع نحو بعض الأشخاص أو نحو طبقة أو نحو النظام الاجتماعي . والبطل يمكن أن يكون محرضاً على أعمال مناهضة للمجتمع كما أن دوره قد يكون أقل فعالية وقد يكون هو نفسه تابعاً لغيره . يمكن أن يشعر بالذنب أولاً ، أو يتحمل المسؤولية في أعماله أو يرفضها ، ويمكن أن يتصرف في بيته تصرفاً شاذاً ، أو يقوم بنشاط ذى أصول عميقة جداً في شخصيته . فماذا ستكون نتائج سلوكه ؟ هل تكتشف ؟ هل يعاقب ؟ هل يلوم نفسه ؟ هل يتألم منها ؟ ما هو العقاب الذي فرض عليه ؟ وما هو موقفه ازاء العقاب ؟ هل يقبل به أم يتمرد عليه ؟ هل يشعر بالارتياح ؟ هل هو مسالم أم عدواني ؟ هل يعترض ؟ هل يرغب في تعديل موقفه وهل يفعل ذلك ؟ هذا التعديل ، هل يأتيه من الخارج أم من نفسه ؟ وهل هو عرضي أم أنه طويل الأمد ؟ فينبغي أن نفحص إذن ، وبصورة عامة ، مدى ذكر السلوك المناهض للمجتمع في القصص . كما ينبغي معرفة الدور الذي يلعبه ذلك السلوك بالنسبة لمجموع القصص . وفضلاً عن ذلك ينبغي أن نفحص فيما إذا كانت القصص تمثل وقائع مرتبطة بالماضي أو بالعكس مشاريع مستقبل أو أحداثاً متوقعة .

د ـ **المهنة والعمل** ـ هل للمهنة والعمل معنى ايجابي أو سلبي عند الفرد المفحوص ؟ إن الإنسان يمكن أن يكون غير راض ، وألا يشعر بالأمن في المركز الذي يحتله ، وقد لا يرضيه العمل ، والتعب ، والمحصول السيء ، ومن جهة أخرى يمكن أن يكون سعيداً بخلق شيء من الأشياء ، أو بالنجاح أو بالشهرة في العمل . يستطيع أن يحلم بكل الأحلام الممكنة والمتعلقة بعمله ، والنزوة يمكن أن تكون أيضاً جزءاً من عمله وتعطيه جاذبية خاصة ، وفي العمل المبدع يمكن للمخيلة أن تسبق العمل والخلق ، وثمة أمر هام يكمن في اختيار الوسائل الكفيلة بانجاز العمل ، وتصور الوسائل ، لبلوغ الهدف ، قضية هامة في تقدير التبرير العقلي لدى الفرد المفحوص . وتعقد العمل وتنظيمة أو بساطته ، لدى الفرد المفحوص دليل قدراته . فهو يستطيع مثلاً أن يقوم بمشاريع طويلة الأمد أو مشاريع مبسطة أو ناقصة التنظيم . فقد يكون دؤوباً أو غير دؤوب في جهده لتحقيق أعماله ، أو يعدل مشاريعه ويكيفها حسب الظروف . وهنا يمكن الانتباه إلى النقاط التي تتغير في القصة التي تحمل فكرة العمل وعلاقاتها مع مجالات النشاط الأخرى . وثمة أسئلة مثل أسئلة العلاقات مع الزملاء في العمل والرئيس والروابط التي تربط بينهم ، يمكن أن تعالج في القصص كما هي الحال بالنسبة للمعضلات الأخرى (مثل الأجور المنخفضة ، ومواقف التمرد الخ . . .) .

ويمكن أن تضاف إلى مجموعات المشكلات التي ذكرها «تومكينز» مجموعتان اخريان تتعلقان بالأنا والموقف الميتافيزيكي للفرد المفحوص . ما هو موقف الفرد ازاء نفسه ؟ كيف يحكم على نفسه ؟ ما هو رأيه حول نفسه ؟ هل يثق بنفسه ؟ وأخيراً ، ما هو موقفه ازاء المسائل الدينية والمسائل العامة المتعلقة بالحياة ؟ ماذا تنبئنا قصص الرائز « ت . آ . ت » حول هذا الموضوع ؟

وأخيراً نحب أن نسترعي الإنتباه حول مخطط التقدير الذي اقترحه مؤخراً شارل آلدونات ليون والذي يسعى إلى جمع مختلف الطرق ، ليلخص الجوهري منها في قصص كل فرد مفحوص ويضعه في لوحة . وهو يريد ، قبل كل شيء ، أن يجمع بين التفسير الشكلي وتفسير المضمون . ويقترح لذلك اللوحة التالية :

١ ـ موضوع القصة
٢ ـ التفسير الشكلي

آ ـ الموقف العقلاني
ب ـ الموقف الإنفعالي
٣ ـ تفسير المضمون
آ ـ البطل
ب ـ الموقف
ج ـ الحل
٤ ـ ملاحظات حول القصة وموقف المفحوص

وفي كل عمود يأخذ على عاتقه أن يحتفظ ، قدر امكانه ، بعبارات المفحوص وبما هو جوهري في القصة لكي يتمكن من استخلاص النتائج . ونحن نرى أن نضيف إلى هذه الطريقة بعض الملاحظات حول العلاقات بين اللوحة والقصة وحول البناء الشكلي وعلاقات مختلف العناصر فيما بينها . وينبغي ألا يضم هذا الجدول تفاصيل كثيرة تعرقل العمل بل ينبغي أن نشكل نقطة ارتكاز في تقدير القصص ويكون تقدير مختلف أنواع المعضلات مرتبطاً بهذا الجدول مما يسمح باستخلاص النتائج من القصص .

ولنذكر ، بهذه المناسبة أيضاً ، طريقة موريس . ي . ستاين في التفسير . انه يقسم كل قصة إلى عدة جمل ويحاول تحليل كل جملة على حدة لكي يستخلص النتائج حول معنى هذه القصة . هذه الطريقة ممتازة لكنها طويلة بالنسبة للعمل العيادي . لنأخذ مثلاً على ذلك قصة سردها أحد الأشخاص المفحوصين .

القصة (GF ٧) كما سردتها فتاة عمرها (١٥) سنة

خلال الباب الزجاجي كانت الطفلة الصغيرة تنظر إلى طفلة أخرى تحمل بين يديها لعبة بديعة في نظرها ، انها كبيرة وذات شعر جميل وثوب طويل وأزرق . وكانت تنظر معجبة إلى اللعبة وإلى لعبتها الصغيرة وتقارنها بلعبة رفيقة لها . إنها حزينة حين ترى الأخرى وهي تلعب . تصل أمها بهدوء وتلاحظها وتسألها عن سبب لعبها . حينئذ تعبر الطفلة لأمها عن رغبتها في الحصول على لعبة جميلة . كم ستكون سعيدة إذا حصلت عليها . كم ستناغيها وتداعبها وتهتم بها . وهنا تذكرها أمها بأن عندها لعبة . ولكن ، للأسف ، تجيب البنت : إنها لا تساوي اللعبة التي أحلم بها والتي أراها من خلف الباب .

التفسير : إنها تلاحظ مشهداً من خلال بـاب زجاجي لكنهـا لا تساهم بـه هي نفسهـا ، بـل هي تشعـر أنها مبعـدة . إنها تعجب بمنـظر اللعبـة التي تحملهـا الـطفلة الأخـرى . إنها تتحدث عن طفلة صغـيرة . ونـظراً لأنها تجـاوزت هـذا العمـر فـاننـا نستطيع أن نرى هنا علامة نكوص .

إنها تصف مطولاً لعبة الطفلة الأخرى . من المحتمـل أنها لا تملك أشياء تشبـع رغبـاتها . إنها تقـارن ما تملك هي بمـا تملك تلك الطفلة الصغـيرة ويبدو أنها مستـاءة وحاسدة لها . واستياؤها وحسدها تشير اليهما ثانية وانها لتشعر بالتعاسة .

يبدو أن أمها لطيفة ، محبة ، تهتم بابنتها وبشواغلها وتريد أن تكون سعيدة .

إنها تعبر بصراحة عن رغبتهـا في الحصول عـلى الغرض الـذي تفكر فيـه . ولا تعرف التراجـع عن ذلك وإلا فقـدت سعادتهـا . إنها بحاجـة للتعبير عن لـطفها وعن عاطفة الأمومة عندها أيضاً .

أمها تحاول أن تعيدها إلى الواقع حين تشير إلى أن عندها واحدة .

تعبر بصراحة عن استيائها وحسدها . وفي هـذه الجملة يظهـر لوم خفيف لـلأم التي لا تستـطيع أن تقـدم لها لعبـة جميلة . وحين تتكلم عن لعبـة أحلامهـا تظهـر لنا أنها ، على الأقل ، تراها في أحلامها لا في الواقع . الحلم والواقع مفصـولان بواسـطة الباب . وهي بهذا إلى أن أحلامها تختلف عن الحقيقة .

وخلاصة القول بالنسبة لهذه الفتاة أنها تبدو في مركز وضيـع ، من وجهة النـظر المادية أولاً ، كما يبدو أنها لا تملك وسائل ارضاء رغباتها ، وهي تشعر بـذلك دون أن تقبل به . إنها تحسـد كل من يملك أكـثر منها . يبـدو عندهـا ذوق للأشيـاء الجميلة . ويبـدو أنها تعترف بمـوقف الود عنـد أمها ولكنهـا تلومها ، في الـوقت نفسـه ، لأنها لا تستـطيع أن تقـدم لها أشيـاء جميلة . يمكن أن تعتبر القصـة جميعهـا حلم يقـظة ولكن القاصّة لا تفقد الإتصال بالواقع .

والقصص العشرون لفـرد من الأفـراد ينبغي أن تحلل بـالشكـل نفسـه ، وكـل المعطيات التي تستنبط منها ينبغي أن تجمع في النهاية . وبهذه الطريقة يمكن أن نحصل على نظرة شاملة حول الحياة الإنفعالية والصراعات لدى شخص من الأشخاص .

أمثلة عن قصص سردها أشخاص عديدون حول لوحة واحدة

إن الأمثلة التالية يقصد منها فقط توضيح طريقة تفسير القصص . سوف نـذكر بعض القصص بشكل منعزل ونحاول تفسيرها من غير أن نشغل أنفسنا بعـلاقتها مـع القصص الأخـرى التي سردها المفحـوص نفسه ، بـل سـوف نختـار قصصـاً ذكـرهـا أشخاص مختلفون حول لوحة واحدة وبذلك يبدو الطابع الفردي للقصص .

ونقدم مثالاً على ذلك قصة سردتها فتاة تبلغ من العمر (١٦) سنة حول اللوحة الثانية (مشهد في حقل) : « ها هم الفلاحـون . وهذه فـلاحة وامـرأة أخرى ليست فلاحة كما يبدو . إنها تحمل بيدها كتباً وتفكر بها . ويبدو أن الحياة في الريف لا تروق لها . لذا فهي تحلم وتفكر بأنها تستطيع أن تعيش في مكان آخر تحيا فيه حيـاة أبسط . ويبـدو أن الشخصين الآخـرين راضيان بعملهـما في الأرض . وهما يفكـران ، بـدون شك ، في أن الأرض تدر عليهما الخير الكثـير . أما الفتـاة فقد جـاءت إلى الريف لأن والديها كانا فقيرين ولأنها لم تكن تستطيـع البقاء في بـاريس . ولذا فهي ضجـرة الآن وتنظر في كتبها . وهي تأمل أن تعود قريباً إلى تلك المدينة العظيمة » .

نستطيع أن نعتبر الفكرة الرئيسية هنا هي استياء الفتاة من الحياة في الريف ومن العمـل في الأرض . أما الفكـرة المساعـدة فهي رضى الآخـرين بعملهم وبحيـاتهم . والفتاة الموجـودة في مقدمـة الصورة هي التي يمكن اعتبـارها بـطلة القصة . ويبـدو أن فتاتنا قد تقمصت شخصيتها .

لنـذكـر الآن بعض العنـاصر الشكليـة . فـالفتـاة تـلاحظ ، قبـل كـل شي ، الأشخاص بينما هي تهمل الحقول والبيوت وما هو موجود في أعماق الصورة . وهي لا ترى مجمل الصورة ولكنها تـذهب ، في وصفها ، من الأشخـاص المختلفين : « هـذه فـلاحة وهـذه امرأة أخـرى يبدو أنها ليست فـلاحة » . ولا تهتم بـالـرجـل ، بصـورة خاصة ، ولكنهـا تذكـره ، في أثناء سردهـا ، حين تتحـدث عن الشخصين الآخـرين فتقابلهما بالفتاة . أما بناء القصة فيمكن اعتباره حسناً . ولنلاحظ أخيـراً أن لغة فتـاتنا ساذجة . فهي تسرد الجمل المختلفة دون أن تربطهـا ربطاً متيناً فيما بينهـا .

لننظر الآن إلى موقفها العقلاني بمواجهة العناصر التالية : موقف القاصة نفسهـا

كما هي وموقف بطلتها . انها تسرد قصتها سرداً منطقياً ، فهي فطنة ، وتصيغ حكمها حين تقول عن حياة الريف « يبدو أنها لا تروق لها » أو حين تقول عن الشخصين الآخرين « يبدوان راضيين عن عملها في الأرض » . وبطلتها « تفكر بكتبها » «وتحلم وتبكي» والآخرون يظنون أن الأرض تدر عليهم الخير الكثير . أما حضور الفتاة إلى الريف فقد فسرته بأن والديها فقيران وبأنها لم تكن تستطيع الإستمرار في الحياة في المدينة . ولهذا فهي تسأم الآن .

أما الموقف الإنفعالي للفتاة فيبدو أقل وضوحاً ، فهو فقير دون أي مظهر عاطفي . ولا تشير مؤلفة القصة إلى أية ملاحظة يمكن أن تسمح بعقد مساهمة أعمق . فالبطلة مستاءة ضجرة ، تأسف لحياتها السعيدة السابقة في باريس و « تأمل » أن تستطيع العودة اليها قريباً . ولا تظهر ، في أي مكان ، حركة أقوى أو رغبة أشد .

لننظر الآن إلى مضمون القصة . لقد لاحظنا آنفاً أنه كان يجب أن نعتبر الفتاة الموجودة في مقدمة الصورة بطلة للقصة . وقد وجد بجانبها أشخاص آخرون إلا أنها لم تهتم إلا بالفلاحة . وينبغي أن نلاحظ أيضاً أنه لا توجد بينها وبين الآخرين أية رابطة في القصة ، فهي منعزلة عنهم ، حتى أنها لم تقل فيما إذا كانت تنظر إليهم وأنها تهتم بما يجري في المحيط . في أي وضع توجد البطلة ؟ إنها موجودة هناك ، وتظل مستاءة من وضعها و « تسأم » .

والقصة لا تقدم أي حل بالمعنى الحرفي للكلمة لأن البطلة لا تفعل شيئاً للخروج من وضعها أي العودة إلى باريس . ولكنها « تأمل » أن تستطيع ذلك قريباً . هذا كل ما في الأمر .

ما هي المعضلات التي تلعب دوراً بارزاً في هذه القصة ؟ إن مؤلفة القصة تربط ربطاً ضعيفاً قصتها بالمحيط العائلي حين تقول : « كان والداها فقيرين » ولكن ليس ثمة علاقة بوالديها وأخوتها وأخواتها . أما مسائل الحب والجنس والزواج فلم تذكر أبداً . وينبغي أن نشير إلى أن الرجل لم يكن مذكوراً وأن الرجل والمرأة لم يعتبرا زوجين . بل كان الأمر على العكس من ذلك إذ أنها نوهت ، عدة مرات ، بميدان العمل والنشاط المهني . حتى هي نفسها كانت ترغب في العودة إلى كتبها ، بينما كان الأثنان الآخران راضيين بعملهما ويفكران بأن الأرض تدر عليهما ربحاً وفيراً . ثم أنها

تتحدث عن فقر الوالدين ، وبذلك تتعرض لوقائع من طبيعة اجتماعية . يضاف إلى ذلك أننا لم نعرف موقف البطلة ازاء نفسها . فكيف تحكم على نفسها ؟ وهل هي شجاعة أو واثقة بنفسها ؟

وأخيراً إذا حاولنا استخلاص الجوهري استطعنا أن نميز هذه المعطيات بما يلي :

لقد ألفت القصة من تفصيلات لم تستخدم فيها بعض عناصر الصورة . علاقات القصة والصورة جيدة وكذلك الأمر فيما يتعلق بربط عناصر القصة فيما بينها . العنصر العقلي مسيطر . القصة جافة . بين العناصر التي ينبغي أن نشير إليها ، من الناحية الإنفعالية العاطفية ، ينبغي أن نذكر ، قبل كل شيء الاستياء من الوضع والأسف لأنها أرغمت على هجر حياتها السعيدة في المدينة العظيمة ، ويضاف إلى ذلك كله الملل . وهذا الاستياء يشكل الفكرة الأساسية في القصة . للبطلة علاقات قليلة مع الآخرين . ولها علاقات أضيق مع الوالدين . المعضلة الجنسية لم تذكر ، على عكس النشاط المهني والعمل وميادين الحياة الأخرى التي ظهرت واضحة في القصة .

وثمة ملاحظة أخيرة وهي أن القصة ناقصة ولا تسمح بالتشخيص أو تقديم تحليل لطبع الفتاة المفحوصة . كما أن القصة تحتوي ، بدون أدنى شك ، على عناصر محددة في اللوحة : العمل في الأرض ، اهتمام البطلة بالكتب ، بيد أننا لا نستطيع الإدعاء بأن الأمر هنا يتعلق بحكاية فيها شيء من القسوة أو أنها تتصل بحياة الفرد نفسه . وكذلك فاننا لا نستطيع أن نستخلص أية نتيجة عن سلوكها ازاء عائلته أو محيطه بالإستناد إلى هذه القصة ، إذ ينبغي أن نفحص مجموعة قصصها كلها لكي نصل إلى هذا الهدف .

لنذكر الآن قصة أخرى حول اللوحة نفسها سردها رجل عمره /٣٢/ سنة : « إن المنظر جميعه يمثل الحب في الريف . ففي الريف يقوم الرجل بعمل مرهق فهو يزرع الحقول ، أما المرأة فتقف إلى جانب هذا الرجل ، وتبدو حبلى . وثمة فتاة جاءت متأخرة لكنها دخلت في حياة هذا الرجل . وهذا الرجل طائش يحب النساء كثيراً . ومع ذلك فان ما يهمه الآن إنما هو عمله . أما الفتاة فيبدو أنها فهمته وأشاحت بطرفها عنه . وقد خرجت زوجه ظافرة من المعركة لأنها ستحتفظ بزوجها بالقرب منها » .

إذا حاولنا تحليل هذه القصة ، كما فعلنا بالأولى ، فاننا نلاحظ رأساً أنها تختلف

عنها تمام الاختلاف . فهذا المفحوص يرى المنظر كله على اللوحة (المنظر جميعه يمثل الحب في الريف) ، وهو يحدد ، في الوقت نفسه ، فكرة القصة التي(سينميّها) وسيغنيها والأشخاص الثلاثة يتدخلون في القصة وتتكون بينهم علاقات ، وثمة مؤامرة تطبخ . فالحكاية أكثر حياة ، والجمل أكثر طولاً ، واللغة أغنى ، وفي الوقت نفسه تبدو العلاقات بين الصورة والقصة أكثر غموضاً . إذ أن تفصيلات هامة قد أهملت : مثل الكتاب بيد الفتاة ، وسن الفتاة الذي قدر تقديراً سيئاً ، بل انه قد زاد فيه . أما بناء القصة فهو حسن .

القاص نفسه يسهم في الأحداث ، ويقدم القليل من التعليقات ، ويحاول أن يهتم بربط القصة بالصورة حين يصف ، في عدة مناسبات ، عبارة (يبدو) . الرجل عنده يعتبر أن (أهم شيء عنده عمله) والفتاة أيضاً تطرق الأحداث بأسلوب عقلاني (ويبدو أنها قد فهمته) . ومع ذلك فان المشاركة الانفعالية أكثر أهمية مما رأينا في القصة الأولى . وهناك قضية أخرى وهي طيش الرجل وخفته ، وسعادته بالعمل وخيبة الفتاة . ليس ثمة تفصيلات حول الصراع بين المرأتين ، ومع ذلك فليس ثمة عاطفة قوية في هذه القصة .

من هو الشخص الذي يمكن أن يعتبر بطلاً هنا ؟ هل هو الرجل أو الفتاة التي توجد في المقدمة ؟ يصعب الجزم بذلك في الحال . فنحن نستطيع أن نعطي الرجل المقام الأول كما نستطيع أن نعطيه للفتاة على حد سواء ، ومع ذلك فان من الممكن القول إن الرجل أهم شخص في القصة وإن القاص يتقمص شخصيته . وعلى العكس من ذلك ، فان الموقف محدد ، بشكل واضح ، حين فهمت الفتاة أن ليس لها مكان في حياة الرجل وأن زوجة قد تمكنت من الاحتفاظ به . وهنا نجد ، على عكس القصة الأولى ، حلاً مناسباً وهو (أن المرأة ستحتفظ بزوجها قريباً منها) . وينبغي أن نلاحظ أن هذا الحل موافق للأخلاق الشائعة أي أنه منسجم مع مبادىء السلوك العامة .

أما فيما يتعلق بمختلف المعضلات التي تعرض لها ، مثل حياة العائلة ، فلم تذكر (علاقات الأبوين بالأولاد والأخوة وبالأخوات) ، وعلى العكس من ذلك نجد أن المعضلات التي هي من نوع حيوي تحتل مكاناً أكبر في القصة : معضلات الحب والجنس والزواج . فالرجل متزوج وامرأة ثانية تتدخل بينه وبين زوجه وهو طائش لا

يتورع من وجهة النظر الجنسية ، بيد أنه ليس متشبثاً بالفتاة تشبثاً شديداً إذ أننا نجده يشيح عنها ليرنو إلى زوجه . والفتاة (شخصية ثانوية) تدخل إلى حياة الرجل ، وهنا أيضاً نجده يركز على الناحية الجنسية دونما مشاركة عاطفية ، وتبتعد عن الرجل دون أن تثير معركة . أما التنويه بالميدان العملي فهو واضح كذلك (إن ما يهمه بالدرجة الأولى إنما هو عمله) .

أما المعضلات السياسية الأخرى فلا تتدخل في القصة التي لا تشتمل على التعبير عن النزعات الإجتماعية أو النزعات المناهضة للمجتمع . بل أن الأمر على العكس من ذلك إذ أن موقف الرجل ازاء العالم والمسائل الأخلاقية محدد بوضوح وخاصة حين يضع حلاً للموقف في القصة .

ولن نحاول أن نقول هنا أيضاً ما هو معنى القصة بالنسبة لطبع الفرد ومركزه الحالي لأننا سنعود إلى هذه القضية مرة ثانية ولا نستطيع أن نلح الحاحاً كافياً على الواقع الذي يقول إننا لا نستطيع ذكر تفسير صريح حول قصة واحدة .

لنذكر الآن قصة أخرى سردتها فتاة تبلغ من العمر ست عشرة سنة حول الصورة نفسها : « يرى هنا فلاحون وحقول وبيوت وفتاتان وتلال وأشجار . المرأة المستندة على الشجرة تتأمل الحقول . والثانية تحمل كتباً بيدها وتدرس الطبيعة . الرجل يقود حصانه ليزرع الأرض . والمرأة ربما تفكر بالحصاد ، أما الفتاة فهي طالبة تفكر بعمل الغد . الرجل زوج المرأة والفتاة ابنتهما . وجميعهم يسكنون هذا البيت ويملكون هذا الحقل . ستكمل الفتاة دراستها وستتزوج فيما بعد . يبدو أن الرجل والمرأة غير سعيدين . إنهما فلاحان » .

هذه القصة يمكن اعتبارها من النوع غير الشخصي حسب رأي «موراي»لأنها تعدد تفصيلات الصورة بشكل لا يمكن معه استخلاص النتائج . ومع ذلك فان لهذه القصة قيمة في دراسة الشخصية . فمن الوجهة الشكلية نلاحظ تعداداً لسلسلة من التفصيلات . وليس ثمة قصة حقيقية أو محاولة لخلق عقدة . التعبير وبناء الجمل بدائيان . أما الشخصيات فقد ربطت الواحدة بالأخرى (بروابط عائلية) . اعتبر الراشدان غير سعيدين . والفتاة تفكر بالعمل ويقال عنها أنها ستتزوج فيما بعد . القصة قليلة الحياة . والمشاركة العاطفية ضعيفة . ليس ثمة تفصيلات حول علاقة

الأشخاص فيما بينهم . وينبغي أن نلاحظ هنا ، بعكس القصتين السابقتين ، إن الوصف لا يشمل الأشخاص وحدهم بل المنظر أيضاً حتى الحصان .

وهذه قصة أخرى سردتها امرأة بالغة من العمر تسعاً وعشرين سنة : « المرأة التي توجد في المقدمة تصلي متوجهة إلى الله . انني . . . انني مؤمنة بالله . واصلي لله لكي يمنحني الصحة ويعيد إليّ ولديّ الصغيرين . أريد أن أشفى . وسوف أشفى . إن ولديّ بحاجة اليّ . وهذا رجل أيضاً . إنه يشتغل في الحقول ، وهذا ضروري لكي يصبح الخبز جيداً ولكي نحصل على ما نقتات به . لم يعلمني أي انسان الصلاة . ولم يهتم بي أي انسان » .

الفرق بين هذه القصة والقصص السابقة واضح . لن نشرح بالتفصيل هنا أن المرأة مريضة ولكننا سنحاول، مع ذلك، أن نستخلص بعض مميزات القصة . فليس من النادر أن نرى في القصص التي سردت حول هذه الصورة إشارة إلى الحياة الدينية، خاصة من انسان ساذج . والكتب التي تحملها الفتاة بيدها اعتبرت كتباً دينية . كما قيل عن الفتاة انها تذهب إلى القداس الخ . . . من أناس آخرين . ولكن الذي يصدمنا هنا بالدرجة الأولى في هذه القصة هو التوزع وعدم الإستقرار في فكر المرأة التي تتكلم ، في فترات مختلفة ، ليس عما ترى في اللوحة بل عن نفسها ، وتدخل في قصتها اعتبارات عامة . في هذه الحال ليس الأمر متعلقاً بقصة ، بالمعنى الصحيح ، بل باعتبارات تثيرها الصورة وتقود المفحوص نحو الرجوع إلى نفسه ، أو إلى اعتبارات عامة تبعده عن القصة . ليس هناك إدراك للكل بل إدراك لعنصرين هما : الفتاة في المقدمة ثم الرجل بعد ذلك . أما التفصيلات الأخرى فظلت مجهولة . ولو قدر لأحد أن يرى هذه المرأة وهي تنفذ هذه التجربة للاحظ القلق الشديد الذي يبرز في كلماتها وطريقتها في التعبير أيضاً . وأن انفصالها عن ولديها أمر صعب للغاية لذا فهي ترغب في العودة إليهما . وإذا هي ذكرت المرض فانها تعني بذلك المرض الجسمي الذي كان سبباً في نقلها إلى المصح ، وذلك لا علاقة له بحالها النفسية . وهي لا تقدر ذلك تقديراً دقيقاً بل نراها تلح على « براءة » المرأة التي تتقمص شخصيتها . ثم تشكو ثانية من وضعها « لم يهتم بي أي انسان » . وبين المعضلات التي يمكن أن نشير إليها في هذه القصة يمكن أن نذكر العائلة : فهي تتهم والديها بأنهما لم ينشغلا بها كما أنها تتحدث عن علاقاتها باعتبارها أماً لأولاد ، وتشكو الانفصال عنهما . المعضلة الجنسية

لم تـظهـر في القصــة بـل ، عـلى العكس ، انها تتعـرض للعمـل ولضرورة العمـل والأرض ، لكي يجد الناس ما يقتاتون به . أما الروابط والعلاقات الاجتماعية الأخرى فليست موجودة هنا . ومع ذلك فقطاع الأنا والقطاع الـديني يلعبان دوراً بـارزاً هنا : الرغبة في الصلاة للتخفيف والتخلص من الشعور بالذنب الذي يبدو عليها على الرغم من « براءة » المرأة التي تلح عليها بصفة خاصة والتي تتقمص شخصيتها . وهنا أيضـاً يجب أن نلح عـلى ضرورة فحص جميع انتـاج المـرأة (القصصي) لكي نتمكن من اصدار حكمنا على انفعالها .

عددنا هنا سلسلة من القصص سردها أفـراد مختلفون حـول لوحـة واحدة لكي نبين طريقتنـا في التحليل والتفسـير . ونعتقد أننـا أوضحنا الفـرق بـين انتـاج مختلف الأفراد وأهمية الرائز ، لأن هذه الفروق تظهر حول تفسير صـورة واحدة . وأهملنـا هنا دراسة المعنى التشخيصي للقصص بالحاحنا عـلى أن هذا الأمـر يمكن أن يدرس عنـدما نفحص مجموع ما يقـدم الفرد الـواحد فقـط على الـرغم من أن قصة واحـدة يمكن أن توجهنا أحياناً في تشخيصنا . كما أننا أهملنا أيضـاً مصادر مختلف العنـاصر التي تبدو في القصص .

وسنذكر الآن قصة سردتها امرأة شابة متزوجة لها ولد عمره خمس سنـوات حول اللوحـة ذات الرقم (٢٠) : « هـذه واحـدة من بـائعـات اللذة . انها تنتـظر عميـلاً . ويمكن أن يكون صاحبها أحد رجال الشرطة يقف معها لحظة خلال جولته الليلية ، أو حارس ساهر . لا . . . إنها مومس . . . ولقد كانت فتـاة من الريف . فقـدت أباهـا باكراً . وكانت أمها لا تـريد أن تـذهب ابنتها إلى المـدينة . بيـد أنها هي كانت تـريد ذلك . اشتغلت في بداية الأمر خادماً . ولكنها ما لبثت أن طردت لكثرة جلبتهـا . ثم اشتغلت في أحد الفنادق الوضيعة . وحالت كبريـاؤها بينهـا وبين العـودة إلى البيت . وكان أن حضر أحد الزبائن إلى الفندق فوعدها أن يجـد لها عمـلاً ملائـماً فتبعته لكنـه أرسلها إلى أحد الشـوارع لتلتقط الزبـائن كما تفعـل بنات الهـوى . وها هي ذي الآن حزينة تفكر بأمها . والحياة التي تعيشها تبعث في نفسها الاشمئزاز . ولسوف يـأتي يوم تنتحر فيه » .

لن نحلل هذه القصة كما فعلنا بالقصص السابقـة ولكننا سنتسـاءل عن طريقـة انعكاس حياة هذه المرأة المفحوصة فيها . ولنلاحظ ، في باديء الأمر ، أن هـذه المرأة

الشابة لم تكن مومساً في يوم من الأيام .وهي الآن متزوجة و تحيى« حياة بـورجوازيـة حسنة » . ومع ذلك فمن المؤكد أنها فقدت أباهـا في طفولتهـا وأن أمها ظلت وحيـدة معها . ولقد لقيت أمها العناء في سبيل تأمين العيش الكريم مع ابنتها الـوحيدة ، إلا أن المرأة الشابة تلح على أن أمها تحمل أفكار « امرأة بورجوازيـة كثيرة التفكـير » . ولم تكن الفتاة تشعر بالراحة في بيتها ، وفي المدينة التي تقطن فيها لم يكن يـوجد إلا قليـل من وسائل التسلية . كانت ترغب في العيش في مدينة أكثر أهمية لتكون مستقلة ولتحيى حياة أقل رتـابة ولتحصـل على قسط كبير من التسلية . رحلت إلى مـدينة أكـبر حيث تعرفت على رجل كوّنت عـلاقة معـه . وحين علمت أمهـا بذلـك الأمر حـدثت بينها مشادّة عنيفة . وانتهى الأمر بـانفصالهـا عن ذلك الـرجل . أو بـالأحرى كـان ذلك الرجل هـو الذي انفصـل عنها و« طـردها » . ثم تعـرفت على رجـل أصغر سنـاً منه وأنشأت معه علاقة جديدة . وحين علمت الأم بالأمر وبختها ثانية . وبعـد مضي فترة قصيرة اختلفت مع هذا الرجل أيضاً فانفصل عنها وقذف بهـا « إلى الشارع » . وطيلة هـذا الوقت كـانت تتساءل فيـما إذا كانت أمهـا ، في الواقـع ، على حق في منعهـا من الذهاب إلى المدينة . ومع ذلك لم تكن تريد العـودة إليها لأنها لا تـرغب في الاعتراف بفشلها . قرّعت نفسها وعاشت وحيـدة ردحاً من الـزمن . ولكن ذلك كـان يبدو لهـا « منفراً » . وبعد مضي بعض الوقت تعرفت بـرجل تـزوجت به وقـالت انها سعيدة في بيتها . لم تكن لديها فكرة عن الانتحـار أبداً لكن أزمـات قلق تمر بهـا ، من وقت إلى آخر ، فتخشى الموت أو حدوث سوء لزوجها .

نـرى هنا إذن مصـادر العناصر التي ذكـرت في قصتها . من المؤكـد أنها لم تكن مومساً في يوم من الأيام بيد أن أمها كـانت قاسيـة في تقريعهـا حتى أنها كانت تصفهـا بالعهر حين تعلم بعلاقتها مع الرجل . وهي نفسهـا تؤكد أنها لا تـوافق أمها في هـذا المفهوم البورجـوازي ونظراً لأن صـديقها الأول كـان متزوجـاً فقد رمـزت إلى ذلك في القصة بوصيفة في عائلة ما تلبث أن تطردها . أما صديقها الثاني فقد كان عزباً وكانت هي تـأمل الـزواج به ، في البـدء ، كي « يسوي » وضعهـا . إلا أن هـذه الـرغبـة لم تتحقق فابتعدت عنه وهذا ما رمزت إليه حين ذكرت أنه أرسلها إلى الشارع لتعمل في الـدعارة . والفنـدق الوضيـع يمثل حكـماً سطحيـاً على هـذا الرجـل . أما أمهـا ، في القصة ، فقد كانت تعارضها في الذهـاب إلى المدينـة ، وهذا أمـر واقع أيضـاً . وهي نفسهـا أيضاً لم تكن تـريد العـودة إلى المدينـة بعد تجـاربها الأولى لأنها كـانت متكبرة .

وحينما وجدت نفسها منبوذة يئست من الحياة وكرهتها وأخذت « تفكر حزينة بأمها » . وقالت أنها لم تفكر قط في الإنتحار . ولكن ليس من المستبعد أن مثل هذه النزعات كانت توجد عندها في اللاشعور . وقد اتضح ذلك عندما مرضت بعد يأسها ، وربما كان ذلك نتيجة قلقها الذي قد يرجع إلى نزعة الانتحار المكبوتة . وعلى كل حال فقد بينا هنا أن مختلف عناصر القصة صادرة عن حياة المفحوصة وأن ذكريات الماضي قد انعكست في الصورة .

وإليكم مثلاً آخر اللوحة (٥) تسرد امرأة في الثانية والأربعين من العمر حولها القصة التالية : « هذا المنظر يمثل صالة بورجوازية . خرجت المرأة منها ثم عادت إليها . وهي تعيسة . لأنها لا تستطيع التفاهم مع زوجها الذي يسيء معاملتها ويضربها . لقد كانت حزينة . لكنها لم تكن تحسن الدفاع عن نفسها . ثم افترقا . وها هي ذى الآن تعود إلى منزلها الذي لا يوجد فيه أحد سواها . إنها وحيدة وخائفة ولا تعرف أين تذهب . وعلى الرغم من كل التجارب التي مرت بها فانها ستحاول العمل على ارجاع زوجها إليها . ولكن ذلك سيكون بدون جدوى لأنه يعيش مع امرأة أخرى . ولهذا فاننا نراها واقفة في مكانها دون أن تعرف فيما إذا كان عليها أن تدخل أو لا . الدموع تسيل من عينيها لأنها لا تستطيع أن تبدأ حياتها من جديد » .

في هذه الحال أيضاً ، نستطيع أن نرجع إلى أصول القصة . الواقع أن هذه المرأة تسرد علينا حياتها الخاصة . فلقد تزوجت وهي صغيرة . ولم تكن على وفاق مع زوجها . لذلك انفصلا . بيد أن زوجها لم يكن فظاً لئيماً . ولم يضربها . وبعد سنوات من الوحدة اتخذت لها عشيقاً واستقبلته في بيتها وعاشت معه . ولا تزال تعيش معه . وكانت هي وحدها التي تتحمل عبء النفقات في حياتها المشتركة . نعم ان صديقها كان يشتغل ولكنه كان يبعثر المال على الشراب . كما أنه كان يخدعها بين الفينة والفينة بدون أدنى شك مع نساء أخريات . وكانت الخمرة تجعل منه انساناً فظاً ، وكثيراً ما كان يضربها وهو ثمل . وحين يثوب إلى رشده كان يعتذر لها . ولكنه أفرط في تناول الخمرة فقررت الانفصال عنه . بيد أنها لم تجد الشجاعة الكافية لتنفيذ هذا القرار لأنها تخاف منه أولاً ، ثم لأنها تخشى الوحدة من جهة ثانية . لقد شاخت هذه المرأة باكراً وأخذت تشعر بالدلائل الأولى لسن اليأس وشرعت تتساءل فيما إذا كان بوسعها أن تجد مرة أخرى من تستطيع العيش معه . حاولت أن تعود إلى زوجها فرفض . في أثناء سرد القصة بكت وقالت : « إن حياتي فاشلة » .

في هذه القصة نجد الوسيلة شعورية ، ولم نعرف الأسباب العميقة لفشل هذه المرأة . والوسيلة كلها تأتي من الطبقة المتوسطة للفكر . ومن المهم أن نلاحظ هنا كيف أن الرجلين لعبا دوراً في حياة المرأة ، وهما يذوبان ليصبحا شخصاً واحداً في قصتها وهذا ما يسمى بلغة فرويد (التكثيف) وخاصة حين يتعرض لتفسير الأحلام ، كما نلاحظ كيف أن الأحداث التي تفكر فيها وترغب في تحقيقها توجد هنا محققة وتدخل في قصتها على أنها وقائع. وهي تتنبأ بأنها حين تنفصل عن هذا الرجل فسوف تخشى الوحدة وسوف تصبح أكثر بؤساً عن ذي قبل . ومن جهة أخرى فان محاولتها لإعادة زوجها إليها ، في الواقع ، تبدو رغبة تقول عنها أنها لن تتحقق . وهي لا تستطيع أن تبدأ حياتها من جديد . نفهم من هذا التحليل إذن أن من الواجب فحص الحوادث المنقولة إلى القصة لنعرف فيما إذا كانت حقيقية تستجيب لبعض الرغائب أو النوايا أو أنها أحداث الماضي تصور هنا وكأنها رغائب .

نعرض الآن قصة مراهق عمره /١٦/ سنة حول اللوحة (١٦) : « كان هذا الرجل ، في الماضي ، سعيداً . فهو يحب ذويه ، ويتمتع بمركز حسن . وهو غني . وكان له ابن أخ منحرف قليلاً وكسول ومتعجرف . وعلى الرغم من جميع هذه المساوىء فقد كان عمه يحبه حباً جماً ويرضي رغباته كافة . وقد نفذ الولد مشاريع دنيئة ازاء عمه يمكن أن يقال عنها إنها مشاريع سيئة واجرامية . وقد كان لعمه ولدان . فكر ابن أخيه (جان) أنه لو قتلهما لأصبح وريثه الوحيد في ثروته الطائلة . إذ أن عمه سيتبناه . وحينذاك سيكون سعيداً وغنياً . اشترى السم وأخذ ينتظر الفرصة الملائمة . وفي أحد الأيام شكا الابن البكر ألماً حاداً في رأسه . فنقل إلى الفراش . لكن حاله ساءت وبدأ يهذي . وهنا ذهب ابن الأخ ، والدموع في عينيه ، إلى عمه ليعبر له عن وده ، ولكنه كان ، في أعماق نفسه ، فرحاً . مات الولد فحزن الأب حزناً عظيماً . ومضى وقت طويل أهمل فيه الأب كل شيء وأصبح لا يفكر إلا في ابنه . ثم بعد فترة قصيرة مات الابن الثاني في حادث دبرّه له ابن عمه اللعين . لم يبق للأب حينئذ إلا أن ينقل كل عطفه نحوه ، ولكنه ، مع ذلك ، كان يكثر من الذهاب إلى المقبرة ويظل فيها ساعات طويلة بالقرب من قبري ولديه ويصلي لله . وشيئاً فشيئاً أخذ ابن الأخ يشعر بالندم حتى أدى به الأمر إلى الاعتراف بجريمته أمام عمه . أحيل إلى المحكمة وحكم عليه بالسجن الشاق . لكن عمه مات متأثراً بهذه الأحداث المحزنة ولحقت به زوجه بعد فترة قصيرة».

هـذه القصة ، عـلى عكس القصص السالفـة ، ليس فيها من حيـاة المفحـوص الفتى أي شيء ولكن فيها مادة لاشعورية وفـيرة استخدمت في بنـائها . لنـلاحظ ، في البدء ، أن المفحوص فتى ذكي موهوب ليس منحرفاً أو كسـولاً وهو تلميـذ مواظب في التجهيز في صف يناسب سنـه . كما أنـه ليس متعجرفـاً ، بل نجـده على العكس من ذلك متواضعاً . إلا أنه يجد صعوبة في الاندماج مع محيطه . فقد هذا الفتى والديـه في سن مبكرة وليس له أخوة وأخوات فوضع في مدرسة داخلية لم يشعر فيها بأنـه على مـا يرام فكان يتمنى الخروج منها . كان له عم يعيش في رغد ويهتم به ويقول إنه يحبه حباً صادقاً . والواقع أنـه ، على الـرغم من المشاعـر التي تجمعه بـه ، نجد عنـده مشاعـر أخـرى ، فهو من جهـة يلوم عمه لأنـه لم يقبله في بيته قبـولاً تامـاً ، ويلومه من جهـة أخرى ـ وإلى حد ما ـ على وحدته التي يعيش فيها ، مادام ليس عمه هو الذي مات ، أو ليست زوجه هي التي ماتت ، بـل أن الموت قـد حلّ بـأبويـه هو . والعم ، وزوج العم لا يستطيعان أن يحلا محل الوالدين .

للعم ابنتان يؤكد المفحوص أنه يحبهما حباً عظيماً في الوقت الذي يغـار فيه منهـما في أعماق قلبه . فهو يحسدهما لأن لهما أبوين ، ولأنهما تعيشان في عائلة ، ولأنهما هانئتان تستـطيعان الحصـول على مـا ترغبـان فيه . فنـراه يبـدي لهـاتـين الفتـاتـين ، بصـورة لاشعـورية ، عـدواناً عنيفـاً ورغبة في إزالتهـما من طريقـه ، وبكلمة أخـرى إنه يتمنى لاشعورياً موتهما . فلو لم تكونا موجودتين لأمكنه ـ كما يظن ـ أن يحتـل مكانهما في حيـاة عمـه وامرأة عمـه . ولكن هذه « النـزعات الإجـرامية » عـلى الـرغم من أنها ستـظل لاشعورية ، فانها ستصبح مصـدراً دائماً لشعـوره بالـذنب والقلق ، مما أدى إلى وجـود نزعة البحث عن عقاب لها عنده . ويبدو سلوكـه وحياتـه محددين ، إلى مـدى بعيد ، بهـذه العناصر . ويجب أن نشـير ثانيـة إلى أن أي شيء من هـذا ليس شعـوريـاً لكنـه موجود مـع ذلك في حيـاته لـذا نجده يعيش في عـذاب مبرح . لنـلاحظ أن الفتاتـين أصبحتا في القصة صبيين ، ويمكن أن نعتبر ذلك نزعة شعوريـة نحو اخفـاء الواقـع . ومن المـلائم أن نشير إلى أن القصـة قد غـذتها نـزعات لاشعـورية ، كـما أن المصـادر الشعورية فقيرة في هذه الحال .

٣ ـ مقارنة بعض القصص المنفردة لشخص بعينه

عرضنا ، حتى الآن ، سلسلة من القصص ، لأشخاص مختلفين ، حول لوحة واحدة ، وحاولنا ، بعد ذلك ، تحليل قصص هؤلاء الأشخاص المختلفين بالنسبة للوحات مختلفة . أما الآن فاننا سنأخذ على عاتقنا مقارنة قصص فرد واحد فيما بينها . إن هذه القصص تتكامل ، وبذلك يمكن تعميق معطيات الواحدة منها بمعطيات الأخرى .

سنسرد الآن سلسلة من القصص ذكرتها فتاة يزيد عمرها على (٢٠) سنة وهي الابنة الوحيدة لأبويها :

اللوحة (١) ـ إنها قصة طفل كان والداه يرغبان في أن يتعلم العزف على الكمان . بيد أنه لم يكن يميل إلى ذلك . والسبب هو أنه كان يفضل التسلية . لكنه لم يكن يريد اغاظة والديه ، في الوقت نفسه ، لأنه يعرف أنهما يرغبان في أن يعزف على الكمان . ولهذا خضع لرغبتهما على مضض . وكان مستاء في أعماق نفسه .

اللوحة (٢) ـ فتاة ليست سعيدة بسبب وجودها هنا في الريف . جاءت من المدينة ولا يسرها أن تكون مع والديها . كان والداها يحبان أن تبقى معهما في الريف وتتزوج من شاب ريفي وتظل لتعمل معهما وتساعدهما في الحقل . لكنها مثقفة وترغب في الزواج من رجل يلائمها ويشبهها في الذوق أكثر من الفلاح الشاب .

اللوحة (٣) ـ فتاة اختلفت مع أبويها وربما كان السبب أن لها صديقاً وعرف والداها بذلك ، أو ربما كان السبب، أنها رفضت الزواج من شاب اقترحاه عليها . وهي لا تعرف ماذا تعمل : هل تصغي لوالديها أم تظل على حياتها الخاصة ؟ على كل حال نجدها قانطة في الوقت الحاضر . ولكنها ستتغلب على ذلك وأظن أنها لن تصغي لوالديها بل ستتزوج رجلها وستصبح سعيدة .

اللوحة (GF ٧) ـ لا يمكن أن تكون هاتان المرأتان إلا أماً وابنتها . ولا يمكن أن نميز بوضوح ما تحمله الأم في يدها . أما البنت فتحمل لعبة ولكنها في الواقع كبيرة ويجب ألا تلعب . وقد وبختها الأم ، بكل تأكيد ، لأنها تبدو غاضبة ومتعكرة المزاج ، ووجهها تعلوه مسحة من الرصانة بالنسبة لسنها . لا بد أن شيئاً يتعبها وربما كان ذلك هو خلافها مع أمها . وهي تحلم بأشياء أخرى ، ربما في توبيخ أمها لها .

أعتقد أنها ستنهض وستذهب على الرغم من أنها لا تريد ازعاج أمها . وستتركها وحيدة .

اللوحة (GF ٨) ـ فتاة حالمة عاطفية تتصور مستقبلها . الحياة التي تحياها الآن لا ترضيها ولا تهمها وهي ترغب في حياة أخرى لتتخلص من القلق الذي يعذبها . وهي تفكر بأنها ليست على ما يرام في الوسط الذي ترعرعت فيه وتفضل أن تحيى حياة أكثر بساطة وأكثر تواضعاً مع انسان يفهمها ويشاركها اهتماماتها ربما كان فناناً أو كاتباً أو ما شابه ذلك ، ولكن عقبات كثيرة ستعترض سبيلها . وسينتهي الأمر بها إلى تحقيق مشاريعها في النهاية .

اللوحة (١٤) ـ شاب جالس على حافة النافذة . الليل مظلم تلمح نجمة بعيدة فقط . الشاب تعيس يفكر ويحلم ويشعر بأنه وحيد منبوذ . تذهب أفكاره بعيداً ويفكر في فتاة يعرفها هناك ويقول لنفسه كم سيصبح سعيداً لو استطاع ضم حياته إلى حياتها . ينظر إلى النجمة التي ترى الفتاة والتي تنظر إليها الفتاة في الوقت نفسه ، ويفكر في المستقبل الممتد أمامه . أتمنى من صميم قلبي أن يتحقق حلمه يوماً .

اللوحة (GF ١٨) ـ أم وابنتها تسكنان بيتاً قديماً التقتا هنا على السلم . يبدو أن البنت تشعر بألم شديد وأن الأم التي حاولت كثير أن تعرف بماذا تفكر ابنتها وما الذي يشغلها تنظر إليها. تجفف الفتاة دموعها والأم واقفة تعزيها وتحاول معرفة سبب شقائها . لكن البنت لا تريد أن تستسلم لأنها تحس أن مسافة تفصلها عن أمها ومع ذلك فهي سعيدة لوجودها بالقرب منها . وأخيراً تكشف عن سرها : إنها قصة سخيفة فهي تحب شخصاً لا تعرف فيما إذا كان يحبها ، وتنصحها أمها بأن تنساه قائلة ان الدنيا مليئة بالشباب وأن في وسعها بالتأكيد أن تعثر على واحد أفضل منه . ولكن الفتاة لا تريد أن تسمع منها مثل هذا الكلام لأنها تحب هذا الشاب وترغب أن يحبها . أعتقد أنها ستنجح . . . أتمنى لها ذلك . . .

هذه إذن سبع قصص من عشرين سردتها لنا هذه الفتاة . وكلها تدور حول موضوع بعينه ، وتتكرر بدون تغيير ونجد فيها قبل كل شيء ـ ما عدا واحدة ـ فكرة رئيسية : فتاة ترغب في الزواج من شاب تحبه دون أن تعرف فيما إذا كان يحبها . إنها من وسط رافه كما يظهر ذلك من اللوحة (GF ٨) ويبدو أن والديها يعلقان أهمية كبرى على المال والجاه بينما تكتفي هي بحياة متواضعة . وفي القصة (٢) تعبر عن استيائها من حياة والديها وترغب في الزواج من شاب من وسط آخر . في الصورة (٢) نجده

شاباً مثقفاً وفي (٨) تجعل ممن تريد الزواج به فناناً أو كاتباً . ويبدو أن والديها لا يقران هذا الإرتباط بل يرغبان بتزويج ابنتهما من رجل من وسطهما يستطيع ، فيما بعد ، أن يخلفهما في ادارة مصنعهما .

يوجد توتر بين البنت ووالديها يظهر جلياً في القصة (١) إذ أن على الفتى أن يقوم بعمل لا يرغب فيه حقاً . يقال أنه لا يريد أن يسبب المتاعب لوالديه ولهذا السبب سوف يتخلى عن هذا العمل . وفي القصة (GF ٧) أيضاً نراها تلح على أن الفتاة لا تريد أن تسبب المتاعب لأمها على الرغم من أنها تنهض لتتأهب للذهاب . يوجد إذن تناقض بين الحلين مما يعطي الدليل على أن المحدثة لا تعرف أي قرار ستتخذ . بل أن عندها رغبة في الإنفصال عن أسرتها وذلك واضح في القصص الأخرى . وقد اقترح عليها والداها ، بدون شك ، الزواج من شاب يلائم ذوقهما (القصة ٣ GF) بيد أنها رفضته مما أدى إلى مناقشات مع والديها . شعرت أنهما لا يفهمانها وأنها بحاجة إلى سند أمها (القصة ١٨ GF) . الفتاة عاطفية انفعالية حالمة تشعر بالوحدة وترغب في أن تكون محبوبة (القصة ١٤) . في القصة (GF ٧) ذكرت ، بشكل غير دقيق ، أنها تحلم « بأشياء أخرى » وهذه الأشياء الأخرى هي جنسية بدون شك ، ويظهر ذلك واضحاً في قولها « لأنها كبيرة ولا يليق بها أن تلعب بالدمية » وكذلك ملاحظاتها حول موضوع اضطرابها وعدم رضاها (القصة ٨ GF) التي تؤيد هذه الفرضية ، فهي تفكر في شاب تعتقد أنه يفكر فيها أيضاً . وهذا الشاب يسكن في أحد الأمكنة بعيداً عن بلادها . وهي تجهل فيما إذا كان يفكر فيها حقاً (١٨ GF) ولكن نصيحة أمها لها بأن تنساه تثير معارضتها . وهي تأمل وتتمنى أن يشاركها الناس في مشاعرها وأن تتحقق رغائبها .

وهاتان أيضاً قصتان أخريان سردتهما الفتاة ذاتها :

اللوحة (٤) ـ شخصان متحابان جداً . إنهما ساذجان وخفيفان . حدث بينهما حادث ، إذ يبدو أنه يريد الإبتعاد عنها وأنها تحاول الاحتفاظ به بأي ثمن . ولكن قراره حاسم . يبدو أن ارادته قوية ، وعلى الرغم من كل شيء ، فهو يتألم من هذا الوضع . أما بالنسبة إليها فهي محطمة تماماً . ولكنها لا تستطيع الإحتفاظ به على كل حال .

اللوحة (٦ GF) ـ شخصان يثيران انطباعاً حسناً . المشهد يحدث في بيته . ويبدو لي أنه يحب مطاردة النساء . أما هي فيظهر أنها مندهشة لذا فهي تمانع . أما هو

فواثق من نفسه . إنه يتخيل النساء جميعاً راكعات تحت قدميه لذا فهو لم يفقد الأمل . إنه واثق من النجاح . وهو يعرف أنه إن لم يحصل عليها هذه المرة فسيكون ذلك في مرة قادمة . سيصل إلى مآربه على كل حال . إنها الآن ثائرة ولكنها ستستسلم . ومع ذلك فان هذين الشخصين يليق أحدهما بالآخر .

في هاتين القصتين يبرز العنصر الجنسي . ونلاحظ أن الأمر لا يتعلق ببيت الزوجية سواء في القصة الأولى أو الثانية بل أنه يتعلق بامرأة وعشيقها . وفي كلتا القصتين توتر بين الرجل والمرأة ، ففي الحالة الأولى يريد الرجل أن يهجر المرأة ، وفي الثانية لم يصل إلى غاياته ، ولكن الفتاة تخبرنا أنه سيبلغها . يبدو أنها حلوة مستعدة للإستسلام ولكنها في الحالين قلقة أو معذبة . العنصر الجنسي واضح إذن في القصص السبع الأولى ولكنه هنا أكثر دقة .

لن نتعرض هنا للقصص الأخرى بشكل مفصل ، ولكننا نلح فقط على أن العناصر الموجودة في القصص الأولى توجد فيها بصورة أكثر دقة . ففي القصة (١٧ GF) نرى أن المرأة « معلقة بين السماء والأرض » وأنها تطير في الهواء وتشعر بالوحدة ولا تعرف أين توجد ، وترغب في الخروج من حالة القلق وعدم الاطمئنان هذه . إلا أنها الآن مرتبطة بوالديها وأهلها . ويتفق هذا مع الوضع الذي وصفته في القصة (١) . أما في القصة (١٦) التي تبتدعها بدون صورة فانها تذكر لنا شاباً تزوج من فتاة على خلاف ارادة والديه اللذين لم يستقبلاه بعد ذلك في بيتهما . يموت الزوج ، ويتركها وحيدة مع طفل ذكي فيعمل هذا الطفل على اصلاح ذات البين بين أمه ووالدي زوجها . فهل هذا دليل على صعوبات الزواج من هذا الشاب الذي تفكر فيه هذه الفتاة المفحوصة ؟ فاذا حاولنا دراسة العلاقات بين مختلف القصص فاننا نلاحظ كيف تتكامل أحداها مع الأخرى وكيف أن كل واحدة منها تعمق المادة التي تقدمها الأخرى . ولن نلح الحاحاً أكبر على مقارنة هذه المادة بالوضع الخارجي أو الداخلي للفتاة التي سردت علينا هذه المجموعة من القصص ولكننا نلاحظ فقط أن علاقة هذا بذاك هامة جداً .

٤ ـ رموز وتفسيرات ترابطية

كانت المادة واضحة ومفهومة حتى الآن ، إلا أن الأمر ليس كذلك بالنسبة لكثير من الحالات . فهناك عدد وفير من القصص تكون مادتها مقنعة بشكل رمز كما هي الحال بالنسبة للأحلام . ولنعط بعض الأمثلة على ذلك :

امرأة في السادسة والعشرين من العمر تقص القصة التالية حول اللوحة (١١) : « نحن هنا في الريف . ألمح بعض الصخور يتخللها ممر وجرفان على جانبيه . أي نوع من الحيوان يمكن أن يكون هذا ؟ يمكن أن يقال عن هذا الشيء إنه كهف من عصور ما قبل التاريخ . إنه حيوان يبحث عن مأوى في هذا الكهف . وفي يوم من الأيام سيأتي منقبون ليبحثوا في هذا المكان وسيدخلون في هذا الكهف ويتابعون فيه أبحاثهم . إنني أشعر بالحزن حين أقول هذا ولكن لا أستطيع أن أقول غير ذلك » .

يخيل إلينا أن من الممكن أن يكون هذا الكهف رمزاً للعضو التناسلي عند المرأة وأن الباحثين الذين سيأتون ذات يوم ليدخلوا فيه يمثلون الرجل الذي يطرق أسرار الحياة الجنسية . وما الانطباع المزعج الذي تتحدث عنه إلا انطباع القلق بدون ريب والشعور بالذنب اللذين تحس بهما حين تفكر بالروابط الجنسية . هذا الفرض تبرره التفصيلات التالية التي قدمتها المفحوصة ، التي ألّفت هذه القصة ، والتي هي « في خجل من الإعتراف بأنها ليس لها عشيق على الرغم من بلوغها السادسة والعشرين » . ولقد قيض لها ، في مناسبات عديدة ، أن تكوّن علاقات من هذا النوع مع رجال لم تمقتهم ولكنها كانت تخاف دائماً فتحجم في اللحظة الأخيرة .

وإذا تساءلنا عن السبب الذي من أجله لم تستطع القاصة « أن تصمم » فاننا نكتشف فقدان الأسباب الدينية أو النظام الأخلاقي عندها . وفي الميدان الشعوري نجدها عاجزة عن تقديم التعليل . وربما كانت القصة التي تسردها علينا حول اللوحة (F ١٢) تعطينا تفسيراً لذلك . وها هي ذي :

« إنني اتساءل عما يمكن أن يكون هذا . يبدو أن السيدة العجوز أم الفتاة التي تظهر هادئة . إنها فتاة عزباء . كما أنها ليست صغيرة السن . لها أم عجوز تعيش

معها . تنقضي أيامها رخية راتبة يشبة أحدها الآخر . وهي تسكن مع أمهـا . أعتقد أن فرصة قد سنحت لها لكي تـتزوج وأعتقد أنها هي التي ضحت في سبيـل أمها لكي تبقى معهـا . إذ أن الأم ليس لها أحـد سواهـا . وعلى كـل حال فهي لن تـأسف على تلك الفرصة التي أضاعتها لأنها لا تبدو تعيسة . ستبقى مـع أمها حتى تمـوت . وبعد ذلك قد تحاول بناء بيت لها » .

من هذه القصة تبدو لنا القـاصة شـديدة التعلق بـأمها ولا تـريد أن تسبب لهـا الشقاء بهجرها وتركها وحيدة .

لنفحص الآن مضمـون القصـة (٥) : « ألمح مصباح طـاولـة عليـه غـطاء . المصبـاح مضيء . في جانب من الغـرفة يبـدو أن هناك رجـلاً لا أراه . تـدخـل المـرأة وتنادي شخصاً لكي يأكل وينام . والشخص الموجود في الغرفة غارق في القراءة بدون ريب لأننا نرى كثيراً من الكتب في الغرفة . وجه المرأة لا تبدو عليه القسوة ويبدو أنها تناديه بهدوء ولطف ولكن منظرها منظر من يعرف أنه يطاع » .

وإذا حـاولنا الحصـول على بعض الـترابطات حـول هـذه القصـة حصلنـا عـلى العناصر التالية :

(**الغرفة**) : « صالة بورجوازية ليست أنيقة تماماً ولكنها مرتبة ترتيباً حسناً كـأنها غرفة انسان يحب تنظيم بيته داخلياً » .

(**المـرأة التي تدخـل**) : « سيدة البيت . ربمـا كـانت الأم . تسهـر في العنـايـة بـالبيت من أجل الآخـرين . وتسيـطر عليهم جميعـاً . ليست شـابـة تمـامـاً . ولكنهـا ناضجة » .

(**الشخص الآخـر**) : « ربما كـان الإبن أو الإبنة وكـلاهما يخـاف الأم وخاصـة البنت . الأم كانت تفضل ابنهـا دائماً . والبنت تخشى أمهـا ولا تجروء عـلى عمل شيء مناف لإرادتها . وحين تحصل منازعات بين الولدين تنحاز الأم إلى جـانب ابنها . فـلا تجروء البنت على أن تنبس ببنت شفة » .

(**الأم**) : « حياتها قاسية بدون شك . ولم تعرف الفرح أبداً . مات زوجهـا في وقت مبكـر . فاضـطرت أن تربي ولـديها . وهي تـريد الآن منهـما أن يعمـلا عـلى أن تعيش . إلا أنها لا تتألم إذا خالفاها الرأي . ولكنهما يخافان منها » .

سؤال : هل تطابق صورة امك هذه الصورة ؟

جواب (مع دهشة) : نعم .

لنـذكر أيضـاً القصة (GF ٤) : « هنـا يمكن إن نقول أن القضيـة تتعلق بفتاة طـردت من البيت وهي تبكي لأنها لا تعـرف إلى أين تـذهب . إنها تتسـاءل عن مصيرها . لقـد كانت تعيش مـع أسرتها . وربمـا ارتكبت هفوة أو سلكت سلوكـاً غير مستحب أو أن رئيسها صرفها من العمل . أسرتها لا تحبهـا وفضلت عليها أخـاها ولا تستطيع تحملها . إلا أنها تناديها الآن حين رأتهـا تبكي ولأنها لا تريـد أن تلقي بها إلى الشـارع . ستقف لحظة . لكن هـذه المشاهـد لا تلبث أن تعـود إلى الـظهـور كـما في الماضي » .

نجد هنا أن التوتر بين الفتاة من جهة وأمها وأخيها من جهة أخرى جلي واضح وسبب التردد أكثر وضوحاً . إنها تخشى أن تعلم أمها بأن لهـا عشيقاً إذا اتخـذت عشيقاً وأن تـطردها فـلا تعـرف إلى أين تـذهب لأنها لم تتعـود الحيـاة المستقلة ولا تتمكن من العيش وحيدة . إنها تخاف أمها وأخاها الذي تقول عنه إنـه سيء الطبـع بصورة أشـد من الأم . وإذا ارتكبت خطأ ، كما هي الحال في هذه القصة ، فذلـك « تحقيق رغبة » في الخيال ، وهذه الرغبة ، بدورها ، تعبر بشكل واضح ، عن النزعات التي لا تجرؤ على إشباعها .

ومع ذلك فان سبباً آخر يتدخـل أيضاً ، فهي تخشى أن تجـد نفسها مخـدوعة في ذات يـوم . وهذا مـا نراه في سلسلة من القصص . وعـلى هذا النحـو نجدهـا تقص علينا حول اللوحة (GF ٩) قصة تمثل صديقتين إحداهما مخطوبة والثانيـة على مـوعد مـع خـطيب الأولى والأولى تنـظر إليهـا وتفـاجئهـا وتنفصـل عن خـطيبهـا المحب لصديقتها . وهي تضيف بعد ذلك أنها لا تـريد أن تلقى المصـير نفسه « الـواقع . . . من المناسب ألا أخطب أبداً أو أرتبط برجل مطلقاً » . إنها لا تريـد أن تغامـر حتى في رابطة الحب .

لننقل الآن قصة طفلة عمرها (١٠) سنوات حول اللوحـة (١٥) : « ماذا يمكن أن تمثل ؟ إنني أعرف . إنها مقبرة . كان هناك صاحب مكتبة يدعى هنري وكانت لـه زوجة وأولاد وعائلة كاملة . وكل أفراد العائلة كانوا مرضى ما عـداه . وهو لا يعـرف ماذا يصنع . يضاف إلى ذلك أنه كان مـرغماً عـلى العمل . جـاء يوم مـات فيه جميـع

أفراد العائلة فدفنوا بـاحتفال مهيب وبـزهور كثـيرة . وبكى هنري بكـاء مراً في أثنـاء الدفن . وكان جالساً بالقرب من سائق السيارة . وحين وصلوا إلى المقبرة التي كان قد كتب عليها اسم عائلة شـارل لوي بن بـارنوان . والمقـبرة كلها كـانت إذن لعائلة ابن بارنوان فقال في نفسه : مـا هذه القبـور السخيفة . ولم يكن مسروراً من ذلـك . نزع الأحجار ورأى الأموات الذين بدأوا يتفسخون . وشيّد لهم قبوراً أجمل . ثم لم يعـرف ماذا يفعل . وهنـا لمح عصـا على الأرض فصـاح : عصا . فلم يـرد عليه أحـد . ثم برزت له جنية وكانت هي التي فقدت العصا . فقالت له : لقد كانت القبـور القديمـة مخيفة . وسألته فيما إذا كان يرغب في رؤية امرأته فأجاب بالإيجـاب . فحركت العصـا السحرية . فبعثت الأسرة كلهـا إلى الحياة بفضـل هذه الجنيـة الطيبـة . كان بـوسعها أيضاً أن تؤمن الطعام فأمنتـه لهم وسألتهم فيما إذا كانـوا يريـدون ألبسة . ثم حـركت العصا مرة ثـانية . لقـد كانت العصـا سحريـة . نعم سحريـة . . . لعمل السحـر . طلب ألبسـة جميلة وأمـوالاً فضربت العصـا عـلى ثـوبهـا ، وبـرز كـل شيء من ثيـاب وأموال . . . الخ . . . ثم اشتروا قصراً منيفـاً . لم يكن أحد في القصر إذ أن كـل من كانوا فيه ماتوا . ضربت الجنية بعصاها عـلى الأموات فـاختفوا جميعـاً . نظّف هنـري وأسرته القصر وعاشـوا سعداء . وحـين حركـوا العصا حصلوا عـلى القوت . وحـين حركوها ثانية اختفى الغذاء . وعاشوا على هذا المنوال » .

لن نـدخل في تفصيـلات أوهام الـطفلة المتعلقة بـالموت والقبـور وتفسخ الجثث فيها . فهي تعبير خاص عن انفعالية مشوشة عند البنت . لنـذكر فقط أن هـذه البنت من وسط سيء ، وأنها فقـدت أمها مبكـراً وأن أبـاهـا يعيش مـع امـرأة أخـرى وهي مضطرة لرؤية هذه الحياة المشتركة والعلاقات الصميمية بينهما . والعصا السحرية رمـز معروف لعضو الذكر التناسلي . وهذا المعنى يبدو واضحاً هنا . صحيـح أن الجنية هي التي تملكها هنا ، وربما كان الأمر متعلقاً بتصورات صبيانية ترى أن المـرأة كانت تمتلك العضو نفسه (عقدة البتر) ولكن استخدام الجنية لها في ضربها ثيابها ، أي جسمهـا ، وجسم الرجل فذلك أمـر يعني أن الطفلة تعـرف طبيعة عـلاقاتهـا . ويمكن أن تكون العصـا في أصـل المعجـزات ، وهي لا تؤمن الغـذاء بـل تسبب المـوت والحيـاة . وبالإضافة إلى ذلك فـالطفلة تعـرف أن الرجـل يقدم « هـدايا جميلة » للمـرأة لقاء مـا تمنحه إياه .

وننشر الآن قصة سردتها البنت نفسها حول اللوحة (GF ١٨) : « كان هنـاك

مرة رجل وامرأة يعيشان سوية . ليس لهما أطفال وليس عندهما مال . كان الرجل يريد أن يشتغل إلا أن زوجه كانت مريضة . وكانت المرأة تقوم عن المائدة متأخرة دائماً . وزوجها يقول لرئيسه إنه لا يستطيع العمل لأن زوجه مريضة . دعا الرئيس الحاكم فقال الحاكم : ماذا هناك ؟ فقال الرئيس : هذا الرجل لا يريد أن يعمل لأن زوجه مريضة . وكان الرجل يدعى موريس . قال موريس : إن زوجتي مريضة ولا أستطيع العمل ، بدونها لا نستطيع أن نحصل على ما نأكل . فقال الحاكم : أريد أن أرى فيما إذا كانت امرأتك مريضة فعلاً . وحين وصل كانت المرأة قد ماتت . حينئذ حكم على الرئيس بالموت لأنه كان مخطئاً . وعاد موريس في المترو وكانت أمامه امرأة جالسة وهي ذات شعر أشقر وعينين زرقاوين وترتدي معطفاً رمادياً وتحمل حقيبة من الجلد الأسود وقفازين أبيضين . فوجه موريس إليها الكلام قائلاً : هل أنت متزوجة ؟ فأجابت : إنني ماضية في البحث عن زوج . وهكذا تحدثا سوية . سألها موريس : لماذا لم تتزوجي ؟ وأجابته : وأنت ؟ لماذا لم تتزوج ؟ فقال موريس : لقد ماتت زوجتي المريضة . ثم عادا سوية إلى البيت . بيت موريس . لم يعجبها البيت . فاشترى لها موريس قصراً . وفي القصر كانا الملك شارل والملكة كاترين . أنجبا بنتاً تدعى اليزابيت وصبياً يدعى جوزوا . دعا الملك الشعب كله إلى الإجتماع . فحضروا جميعاً ما عدا الأمير والأميرة . وأخذ الملك توأميه . وكان يرى بعيداً جميع الشخصيات على هيئة القرود . كانوا يتكلمون سوية . إلا أنه خاطبهم بقوله : لقد ظننت أنكم ضعتم جميعاً . إلا أن الجمهور لم يسمح لهما بالمرور . فحكم عليهم جميعاً . وعذبوا عذاباً شديداً . احرقوا وشنقوا لأنهم لم يسمحوا للأمير والأميرة بالمرور . وماتوا جميعاً ما عدا صبياً كبيراً وصبياً صغيراً وفتاة كبيرة وآخرين . طلب إليهم الملك أن يأتوا إلى القصر لكي يعطيهم جميع ما يطلبون . فأصبحوا أغنياء . ولكن لم يبق على قيد الحياة من الآخرين أحد » .

نقلنا هذه القصة نقلاً مفصلاً لأنها تكمل القصة السابقة ، ولأنها تبين بوضوح أن افتراضاتنا حول الأمور الجنسية لم تكن عبثاً . يستحيل الشك بالطابع الجنسي في هذه القصة الأخيرة . وإنه لمن المدهش فعلاً أن نرى إلى أي مدى تسير معارف هذه الفتاة الجنسية وهي التي تبلغ من العمر عشر سنوات فقط . طريقة البدء بمغامرة في المترو ، والمرأة التي تتبع الرجل وترافقه إلى بيته الذي لا يروق لها ، والرجل الذي يشتري لها قصراً يعيشان فيه عيشة مشتركة ، وانجابهما ولدين ، كل هذا يبين إلى أي

مدى وصلت معارفها . وفي الوقت نفسه يبرز عنصر آخر وهو الذي يسميه التحليل النفسي « رواية العائلة » : فالبنت لا تعتبر والديها الوالدين الحقيقيين لها ، ولكنها تعتقد أنها من أصل أكثر نبلاً . من أصل « ملكي » . فالأب وصديقته لطيفان مع البنت ، وهما يتحولان إلى ملك وملكة هنا ويحبانها أيضاً ولا يتركانها تذهب وحيدة إلى البيت بل يبحثان عنها ويطلبان إليها المجيء معهما ويعاقبان الشعب الذي لا يسمح لها « بالمرور » . أما رؤية الملك لشخصيات تشبه القرود فتصادف كثيراً في قصص الجان ، ومثل ذلك تحول الرجال إلى حيوانات تحررها الأسرة الحقيقية وتعيدها من جديد إلى دنيا البشر .

وهذه أيضاً خلاصة لبعض القصص الأخرى تكمل ما عرضناه هنا : فالقصة التي تدور حول اللوحة (G ١٣) كانت الطفلة فيها عاقة تنهض ليلاً وتهرب على الرغم من توسلات أمها . وحين تعود مساء بهدوء ، لكي لا توقظ أمها ، تلمح فأراً « يقفز فوق أمها ثم فوقها هي ثم ينط هنا وهناك فيؤلمها . ثم تموت الأم » . وتضيف الطفلة بعد ذلك : « لقد كان الفأر أباها » . وهنا أيضاً لا نشك بالمعنى الرمزي للفأر وبمعنى حركاته .

والقصة (GF ٣) تقدم لنا نظرة أعمق عن الوضع العائلي للطفلة : « المرأة أمام الباب لأن زوجها رفسها ، ولطمها ورماها بالحجارة . وفي البيت أيضاً بنت كبيرة كسولة حين يلومها أبوها تقول له : إذا أردت أن تضربني فافعل . . » .

وفي القصة (GF ٧) كانت البنت الصغيرة مختبئة مدة طويلة في جذع شجرة وخرجت من ثقب فيها . وهنا أيضاً معنى الرمز واضح .

تظهر الأمثلة المذكورة ، حتى الآن بوضوح ، أن القصص تضم غالباً رموزاً مماثلة للرموز التي نصادفها في الأحلام ولكنها ، في مجموعها هنا أكثر وضوحاً ، وأسهل تأويلاً من الأحلام التي ننسى جزءاً كبيراً منها في الغالب .

وهاكم الآن قصة سردتها فتاة عمرها (١٦) سنة حول اللوحة (GF ٣) : « هذه بنت طردها أبواها بكل تأكيد . ربما كانت خياطة تشتغل في معمل كبير تعرفت فيه على أحد الشبان وخرجت معه . ثم أصبح عشيقها . وعادت مساء إلى البيت متأخرة . فغضب أبواها وقرّعاها . أين كانت حتى هذا الوقت ؟ طلبت من والديها أن

يحتضنـاها من جـديد شريـطة ألاّ تعود لمثلهـا أبـداً . ولا أدري فيـما إذا كـانت ستفي بوعدها » .

هذه القصة ليس لها مضمون خاص ومع ذلك فقد حاولنا أن نقوم بعملية ترابط حول هذه العناصر :

(الفتاة) : تعمل في الخياطة . وهي مهنة حسنة تدر ربحاً وفيراً . يأتي أنـاس كثيرون إلى المعمل . ويمكن أن تسنح الفرصة فيه للتعرف بأحد الأشخاص .

(الـرجل) : شخص جـاء إلى المعمل مـع امـرأة أخـرى . ولكن الفتـاة حلوة أعجب بها فسألها فيما إذا كـان يستطيـع أن يراهـا . غضبت الثانيـة . فلم يأبـه بها . وذهب إلى موعده .

(الخروج) : حين يشتغل الإنسان طيلة النهار لا بد من أن يخرج . نخرج مرة في الأسبـوع إلى السينما فقط . وأخيـراً نحب أن نرى أشيـاء جميلة أيضاً . ولكن ليس من المستحسن ألا يكـون عند المرء نقود تمنعـه من الخروج كـما يشـاء . مـررت مـرة وصديقة لي أمام ملهى ولكننا لم نستطع الدخول إليه لأننا لا نملك النقود ولأننـا لم نكن نرتدي الثياب الملائمة .

(الـوالـدان) : يـريـد الـوالـدان أن نعمـل دائـماً ونـظل في البيت . إنهما لا يفهمـان . ولكنني لا أستطيـع أن أظل دائـماً معهـما . إنهما يلومـاني دائـماً لأنني أرجـع متأخرة فأمي توبخني وأخي أيضاً يفعل ذلك . لكنه هو يخرج وله صديقة . ويقول إن الأمر لا يعنيني لأنه شاب .

(الصديق والعشيق) : كل بنات الصف لهن صديق يـذهبن معه إلى النـزهة . بعضهن يتحـدث عن ذلـك . وأنـا أيضـاً تحـدثت مـرة ولكنني أسفت لأن ذلـك غـير صحيح . أحب أن أتزوج باكراً . وهذا أفضل من اتخاذ صديق . كـل الفتيات يـردن الزواج . كما أحب أن يكـون لي أولاد . فذلـك أمر جميـل . لا أريد عـدداً كبيراً بـل يكفيني اثنان أو ثلاثة . من الأفضل أن تـتزوج البنت لا أن تتخذ لهـا صديقـاً . أريد صديقاً مثقفاً لا يعمل ، كـما هي الحال عنـدنا في البيت . وأريـد خادمـاً . إنني أحلم دائماً بالزوج والأطفال .

(طردت من البيت) : لو كان لي صديق وعرفت أمي لطردتني . إنها لا تفهمني . لقد تزوجت أمي في السابعة عشرة من عمرها . ومن المؤكد أنه لم يكن لها صديق من قبل ذلك . ولذا فهي لا تفهم هذا . ولكنني أعرف أنني سأعود إلى البيت إذا بكيت . وإذا كانت أمي قاسية فهي ليست سيئة . ولكنني أخشاها .

الفتاة هنا طالبة في إحدى المدارس المهنية (الخياطة) . وهي ذات جسم نام ومهتمة جداً بالقضايا الجنسية . والسبب الجوهري لإحجامها عن ارضاء رغباتها هو خوفها من أمها وأخيها . وفي الوقت نفسه كانت تحلم برجل غني لا يكون صديقاً لها فحسب بل زوجاً . تتذوق الأناقة ولكنها ، في الوقت الحاضر ، لا تستطيع ارواء هذا الذوق فتكتفي بالضروري . إنها مستاءة من الحياة المتواضعة في بيت أهلها . تحلم في أن تربح كثيراً ولكنها تعرف صعوبة ذلك بالنسبة لخياطة . وعملها نفسه لا يسبب لها الفرح وترغب في التسليات والملذات الخارجة عن طاقتها . أمها لا تفهم ذلك وتلومها دائماً . تحسد الفتيات الآخريات اللواتي اتخذن صديقاً لكنها تعرف وضعها العائلي . فأمها تخرج عن طورها حين تعلم باتخاذها صديقاً ولكنها ستصفح عنها في النهاية .

لنذكر الآن قصتين لفتاة عمرها (٢٨) سنة . الأولى حول الصورة (١٤) : « رجل سجين في برج فوقه منارة يراقب حركات البواخر في الميناء . إنه مخلص في عمله . وإن وجوده هناك ضروري لتجنب أقل طارىء يحدث عند خروج البواخر من الميناء . وفي يوم عاصف رأى زورقاً مشرفاً على الغرق فأراد أن ينجده إلا أنه رأى مركباً آخر قادماً . فهل ينقذ الأول الذي لا يوجد فيه إلا شخص واحد أم أنه ينقذ المركب الثاني ؟ لم تكن صرخاته لتسمع . والفتاة الموجودة في الزورق لا تسمع الصوت بسبب العاصفة . إلا أنه استطاع ، بفضل هدوء أعصابه وشجاعته أن يحرك الإشارات بصورة تمكن معها المركب من ملاحظة الخطر في الوقت المناسب فتجنبه . ثم أخذ الرجل وأسرع لنجدة الفتاة . أصيب بكثير من السوء ولكنه أنقذها . وأخذها معه إلى البرج وقدم لها الإسعافات الضرورية مباشرة . وبعد عدة ساعات أفاقت الفتاة وشعرت بالسعادة حين رأت أنها سليمة . وأصبح الاثنان صديقين حميمين وعاشا مدة طويلة سوية . وظلت الفتاة معترفة بجميله لأنه أنقذ حياتها . ثم تزوجا بعد ذلك .

أما القصة الثانية (١٨ BM) فهي (لإتمام القصص الأخرى) : « هذا رجل

يائس يبدو معذباً ومرهقاً . أراد أن يرتكب عملاً سيئاً كالانتحار أو أي شيء من هذا القبيل . توجد خلفه صديقة تحاول اعادته إلى صوابه مبينة له الجوانب الجميلة من الحياة . ولكنه ربما كان يتعذب من الحب . وصديقته تسعى في أن تشرح له أن متاعب الحب لا تساوي هذا العمل ، هذا الانتحار . فهناك دائماً وسيلة لتخطي مثل هذه المتاعب . فسيجد امرأة أخرى يحبها أكثر من الأولى . ولكنه لا يريد أن يسمع شيئاً الآن من نصائح صديقته . إنه لا يرى إلا حبيبته ولا يقبل بسواها . ولهذا فهو سينتحر . بيد أن صديقته تعيده إلى البيت وتعنى به وتهتم بأمره . لكن حبه الأول هذا سيظل يؤثر فيه مدة طويلة » .

هاتان القصتان تبدوان هامتين جداً لأن الفتاة هنا لا تصف إلا وضعها هي . فقد كانت محبة لرجل متزوج أصبحت عشيقته . وكان عليها ، منذ البداية ، أن تعرف أنها لا تستطيع البقاء معه وأنه سيأتي يوم تنفصم فيه علاقتهما لأن صاحبها شديد التعلق بزوجه التي كانت غائبة منذ عدة أشهر . وحين ستعود هذه الزوج فسيكون من الصعب عليها لقاء صاحبها . وفي اللحظة التي كانت فيها هذه الفتاة تفحص أمامنا كانت علاقتهما (وهي الأولى بالنسبة إليها) توشك على الانفصام . لذا فقد كانت شقية ، وحاولت أن تخدع نفسها حول امكان الاحتفاظ به . آملة في أن لا يرغب في هجرها . ولكنها الآن تعرف أن ذلك أمر لا فائدة منه ، وأنها ستفقد صاحبها في المستقبل القريب . وفي القصة (BM ١٨) نراها تتقمص بوضوح شخصية الرجل الموجود في الصورة . ويمكن أن يقال إنه هو هي . وأننا نرى أن التقمص بشخصية من الجنس الآخر سهل وتام أيضاً . صحيح أنه قد بسط ، في هذه الحال ، بالنظر لعدم وجود أحد من جنسها على الصورة ولكنها كانت تستطيع اضافته . فلم تفعل ذلك بل تقمصت شخصية الرجل . تعبر قصتها عن أفكارها في الإنتحار ، وفي الوقت نفسه ،عن رغبتها وجهودها في اجتناب ذلك فهي تريد أن تقنع نفسها أن متاعب الحب لا تستأهل ذلك وأنه يمكن تخطيها ونسيانها . والصديق الذي تتحدث عنه هو في الواقع صديقة تسكن واياها في شقة واحدة وتحاول تعزيتها .

في القصة (١٤) نشاهد ما كانت تأمل فيه . ليس من ريب في أنها ، في هذه القصة ، تتقمص شخصية الفتاة التي يوشك زورقها على الغرق ، وصديقها هو رجل المنارة . تعرفت به في ظروف صعبة من حياتها كانت تشعر فيها بالوحدة

والتعاسة ولهذا استسلمت إليه استسلاماً سريعاً . ولكن ، على الرغم من معرفتها بأنه متزوج ، إلا أنها كانت تأمل في أن تستمر علاقتها . والزورق يرمز إلى حياتها . أما المركب الكبير فرمز لبيته وعائلته والعالم الذي يرتبط به . وهي تعرف أن من المهم عنده « انقاذ المركب الكبير » ولكنها تأمل في أن « يحرك » الإشارات بشكل يؤدي به إلى العودة إليها ليقود زورقها إلى الميناء الذي يرمز ، بدون شك ، إلى الزواج . . .

لنذكر أيضاً أن الفكرة نفسها نجدها عند هذه الفتاة في قصص أخرى ، ففي (٣ GF) نجد الفتاة تعسة تبكي بسبب متاعب الحب دون أن تعرف كيف ستتغلب عليها . وفي (٤) تقول إن المرأة تحب الرجل ولكنها تعرف ، في أعماقها ، أن هذا الشخص « لا يناسبها » . وفي (٨) نجد امرأة تعسة لأن أخرى قد أخذت منها

أما ذكرنا لهاتين القصتين بالذات فلأنها ترمزان بوضوح إلى تقمص المفحوصة لشخص من الجنس الآخر .

القسم الثالث الملاحق

التحليلات

التحليلات

حاولنا ، حتى الآن ، أن نبين ، بالاستعانة ببعض الأمثلة المنفردة ، كيف يمكن تفسير القصص . بدأنا بقصص سردها أشخاص مختلفون حول صورة واحدة لتبيان الفروق بينها ثم ذكرنا قصصاً ألّفها شخص واحد لنبين كيف تتكامل وكيف تقدم لنا المقارنة بينها معلومات هامة حول مؤلفها . يضاف إلى ذلك أننا حاولنا أن نظهر وجود رموز كتلك التي تصادف في الأحلام وحاولنا أن نبين كيفية تفسيرها وتعميق هذا التفسير بسؤال الفرد عن بعض عناصر قصته أو بطريق التداعي الحر .

وفي هذا القسم من دراستنا سوف نذكر قصة واحدة لشخص واحد ، وسوف نتبعها بالتفسير ونقارن هذه القصص بعناصر حياة هذا الشخص . وبذلك نستطيع تبيان أهمية هذا الرائز . فالقصة والمناقشة المفصلة لها وعرض حياة الفرد ومقارنتها بالقصة ، كل ذلك يشغل جزءاً كبيراً من عملنا الذي يبدو طويلاً ومعقداً . لنضف إلى ذلك أن الـ « ت . آ . ت » لا يبدو لنا وسيلة لفحوص متسلسلة فقط ، بل أنه يبدو هاماً لفحص منفرد . ومن جهة ثانية ، حين يعتاد المرء الرائز يكون تفسيره أسهل وبصورة قد لا تظهر في المعطيات التي نذكرها هنا .

سنختار ، في بادىء الأمر ، مثالاً عن انسان راشد ، لأنه كلما كان الإنسان متقدماً في السن كانت الحوادث التي تركت آثارها فيه والتي أسهمت في تكوين شخصيته كثيرة . وبذلك تكون القصص أكثر غنى وتكون قدرتنا على مقارنة معطيات الرائز بمعطيات قصة حياته أوسع . والحالة الثانية ستكون حالة طفل ، ماضيه قصير ، وعدد حوادث حياته قليل ، وقصصه وحياته أكثر بساطة وشفافية .

المثال الأول

رجل يناهز الخمسين ، عزب ، يعيش في ظروف قاسية . سنقدم تفصيلات أكثر عن حياته فيما بعد .

اللوحة (١) - « قدم الوالدان هدية لابنهما وهي عبارة عن كمان ، وهما يرغبان الآن بأن يستخدمها ويعمل بانتظام . ولكن ذلك لم يرق للطفل . نعم . . . انه لو

بـدأ فوراً بمـوزار لكان ذلـك مقبولاً عنـده . ولكن التـمارين المملة . . لا . . . إنها لا تروق له . لقد كاد ينام فوق كمانه ، وهو يفكر بطريقة يفر فيها من هذا العذاب . إنه يريد أن يلعب في الحديقة مع بقية الأولاد . ولكنه يخشى غضب والديه وتكرارهما أنهما يأسفان لأنه أضاع هذه الفرصة ، وأنهما يفعلان من أجله كل ما في طاقتهما لكي ينجح في الحياة . ولكنه لا يفهم كل ذلك لأنـه يعتقد أن اللعب في الخـارج أجمل . وأخيـراً يأخذ الكمان ويجري بعض التمارين . إلا أنه ما يلبث أن يقذف بها في علبتها وينـطلق إلى الخارج » .

اللوحـة (٢) ـ المنظر في الـريف . الرجـل يشتغل في حقله ، والمرأة تشتغل في الفناء وتعنى بالحيوانات . خرجت الآن تنادي الرجل لتنبئه أن وقت الطعام قد حان . البنت معهما وهي تتظاهر بأن الأمر لا يعنيها . تبدو غير سعيدة . إنها ليست على وفاق مع والديها . لقد أرسلها والداها إلى المدينة لتتعلم أي شيء فهما لا يريدان أن تظل في الريف . سيكون الحقل للصبي فما هو دور البنت في البيت ؟ الفتاة تـدرس ولذا فهي ترى نفسها أرفع من أهلها . لا شيء يعجبها في البيت وفي الريف وهي تفضـل الفرار فوراً . ولكن أين تذهب في العطلة ؟ إنها لا تشعر بالاستقرار . وربمـا كان السبب أن لهـا صديقـاً في المدينـة وتخشى أن يعرف أهلهـا ذلك فهم لا يفهمـونها أبداً ويـوبخونها دائماً . كما أنها تفكر أيضاً أن صديقها ربمـا عثر عـلى غيرهـا في أثناء العـطلة . يلاحظ الأب أن ابنتـه ليست على مـا يرام في البيت ويـأسف الآن لأنه أرسلهـا إلى المـدينـة . ولكن ما باليد حيلة الآن . فالفتـاة ستفهم أن أبويهـا ليسا متعلمـين لكنهما شريفـان . وسينتهي كل شيء بالاتفاق » .

اللوحـة (٣) ـ شـاب حـزين لا يعـرف الحيـاة بعـد ولا يعلم أن قلق النـاس واستيـاءهـم أكثر من أفـراحهم بصورة عـامة . كـان يشتغل ، ولكن أزمـة اقتصـاديـة انفجرت فسرح مع مئة آخرين . وكانت له صديقة إعتقد أنها تحبه فعلاً . وحين فقـد عمله ولم تبق لديه نقود انفصلت عنه فأصيب بصدمة لأنـه لم يكن يتوقـع منها ذلـك . اشترى مسدساً وفكر بقتل حبيبته ثم بالانتحار . لكنه لم يجد الشجاعة الكافية فعاد إلى بيته وطرح نفسـه على الأرض فسقط المسـدس من جيبه . وشرع يبكي وينـدب حظه العاثر . إنه لا يعرف أن المرء لا يمكن أن ينتهي إذا هو فقد عمله أو حطم قلبه حبيب خائن . كما أنه لا يعرف أن الإنسان سينسى كل شيء مع مرور الـزمن . غداً سيخف

حزنه وسيقول لنفسه : سأبحث عن فتاة أخرى . سينجح في ذلك وستعود نظرته الجميلة إلى الحياة . . . » .

اللوحة (٤) - هذان الشخصان لا يوحيان بالثقة أبداً : فالمرأة تبدو شهوانية . أما هو فانه زير نساء . المرأة كانت صاحبته ، ثم وجدت غيره فتبعته لا لأنها تحب هذا الأخير بل لأنها شعرت بأنها منبوذة . إلا أن صاحبها لم يعرف ذلك في بادىء الأمر لأنها ظلت تعيش معه مدة من الزمن . لكنه شعر بذلك وأصبح يراقبها . فتبعها مرة ورآها تدخل إلى فندق مريب كأنه بيت دعارة . إذ أن فيه امرأة أخرى شبه عارية تنتظر عشيقها . وقبل أن تدخل إلى الفندق هجم عليها وحاول ضربها . ثم أراد هجرها لكنه رآها مجهدة فأخذ يعتني بها . إنه لم يكن فظاً أبداً كغيره من الرجال . حاولت اللحاق به لكنه ابتعد عنها . إنه لم يكن أميناً لها أيضاً . فهو الذي دفعها إلى أن تخدعه . . . بيد أنه سيقول : سيان عندي . سأجد غيرها فأنا شاب جميل .

اللوحة (٥) - « امرأة ترجع إلى مسكنها بعد أن اشترت بعض الحاجات . في أثناء ذلك كانت تفكر بزوجها وأولادها وتأمل أن تجدهم قد عادوا إلى البيت عند رجوعها . تفتح الباب بهدوء لتفاجئهم . لكنها لم تر أحداً . تنظر إلى الساعة فتجد الوقت متأخراً ، وأنه كان من اللازم أن يحضروا قبل ذلك . فتتساءل عن سبب التأخر فهل عوقب الأولاد في المدرسة ؟ إن ذلك يحدث لأن أولادها كثيرو الشغب وسيئو النظام . وزوجها ؟ أين هو ؟ إنها ترجو ألا يكون قد حدث له شيء . فهي تخاف ذلك . حادث سيارة أو أي شيء مماثل . وخاصة حين لا يكون المرء في مقتبل العمر . فوالدها مات فجأة . وكذلك فقدت أخاها بالطريقة نفسها . إن مخاوفها لا يمكن تبريرها ، ومع ذلك فهي متشائمة وقلقة . من يعرف ماذا سيحدث الآن . وفجأة يقرع الجرس فتشعر بشيء من الراحة . لا بد أن زوجها قد عاد . . . » .

اللوحة (٦ BM) - « مشهد بين ولد وأمه . الأم عانت كثيراً من القلق في حياتها . إنها لم تكن سعيدة في بيتها على الرغم من أن زوجها كان طيباً معها يعنى بشؤونها . لكنه مات فلم تتزوج ثانية . كما أنها لم تكن أبداً من أولئك النساء اللواتي يتخذن لهن صاحباً . فعاشت وحيدة من أجل ولدها . وحرمت نفسها من أشياء عديدة لكي يصبح ابنها انساناً طيباً آملة أن يكون سنداً لها في شيخوختها . وها هي ذى الآن تشعر بالشيخوخة ، ومع ذلك فهي ترى أن ابنها يعيش عيشة مستقلة إذ أنه تزوج من امرأة لا تروق لها ولا تراها إلا نادراً . وابنها الآن غير سعيد لأن زوجه لا

تعنى بشؤون البيت . لكنه ضعيف يترك لها الحرية في أن تفعل ما تشاء . وهو لا يستطيع الانفصال عنها لأنها مسيطرة عليه . استدان لكي يرضيها . وعليه الآن أن يسدد الديون إلا أنه لا يملك شروى نقير . جاء يطلب المال من أمه على الرغم من معرفته بأنها لا تملك الكثير منه . والأم تفكر حزينة وتقرر ألا تعطيه شيئاً لأنه رجل وينبغي أن يدبر أموره ويعيش بوسائله الخاصة » .

اللوحة (BM ٧) ـ هذا الرجل المتقدم في السن الموجود في الصورة يبدو لي سيء الأخلاق وهو يستطيع أن يؤثر تأثيراً سيئاً في هذا الشخص الذي هو أصغر منه سناً والذي هو قلق لأنه ارتكب جريمة ولأن الشيخ المطلع على سير الحوادث يريد أن يستغله . إن الشاب يخشاه . فاذا فتح فمه حصلت له متاعب ربما أدت إلى القضاء على مستقبله . وهو يريد أن يتزوج . أما الشيخ فهو خبيث لا يقول شيئاً ولكنه يوحي إليه أنه واقع تحت قبضته . والشاب لا يقدر أن يفعل شيئاً يدافع فيه عن نفسه . سيحاول التخلص منه ، وسيعمل على تهدئته بأي شكل ، بالمال مثلاً على الرغم من أنه لا يعرف من أين يحصل عليه . إنه يأمل في أن يجد حلاً .

اللوحة (B ٨) ـ « عملية جراحية . المشهد جميعه يسمح لنا بأن نقول إن الحالة ليست « طبيعية » . فلقد نقل المريض إلى العيادة لتجرى له عملية اثر مبارزة جرت بين الشاب الموجود في المقدمة والرجل الممدد على طاولة العمليات . أرادوا ألاّ يعلموه بذلك فنقلوه إلى بيت قريب وشرعوا في اجراء العملية له فيه . لقد تغلغلت رصاصة في جوفه والطبيب يحاول أن يخرجها . إن في القصة امرأة بدون ريب . والرجل الممدد على طاولة العمليات يبدو أكبر من الشاب الموجود في مقدمة الصورة . وهو متزوج وقد خانه الشاب مع زوجه . فشعر بأنه قد جرح في عرضه . أما الشاب فقد شعر بخطيئته وندم . وتمنى لو أنه لم يندمج في هذه القصة . وبينما كان يفكر في هذه الأمور كانت العملية تجري . ولحسن الحظ كان الجرح ليس خطراً وحياة هذا الرجل ستنقذ . سينفصل عن امرأته التي لم يعد يثق فيها ، سيطلقها وسيتزوج أخرى فيما بعد . وفي هذه المرة سيكون الحظ حليفه » .

اللوحة (BM ٩) ـ « هذه عصابة سلب ونهب قامت بعدة غارات سوية مما درّ عليها كثيراً من المال ، وخاصة من المصارف وصناديق الصرافين التي راقبها أفرادها بدقة ولمدة طويلة قبلاً ، إنهم يتحفزون وحين يعرفون أن الرجل يملك كثيراً من المال ينتزعونه منه . وبعد كل هجوم يختفون بعض الوقت من المدينة . أما هذه المرة فانهم

قد جاؤوا من هجوم لم ينجحوا فيه ، فقد دافعت الضحية عن نفسها ووجدوا صعوبة في الهرب دون أن يقبض عليهم . فتركوا المدينة بسرعة قبل أن تعلن حالة الطوارىء وتركوا سيارتهم في أحد الأمكنة . وها هم الآن يستريحون . وهو مكان منعزل لا يأتي إليه شخص . ولكنهم على الرغم من كل ذلك عينوا شخصاً للحراسة خوفاً من مجيء أحد بشكل غير متوقع . إنهم يأملون في النجاح في المرة القادمة » .

اللوحة (١٠) - « هذان شيخان التقيا للمرة الثانية على ما يبدو . وكان تعارفهما في شبابهما فتحابا ورغبا في الزواج . لكنهما كانا فقيرين واعترض أهلهما على هذا الزواج . فرضخا . تزوج الرجل امرأة أخرى غنية بينما تزوجت هي رجلاً آخر يتمتع بمركز مرموق . لكنهما لم يعرفا السعادة . . . ثم مات زوج المرأة بعد أن بلغت من العمر عتياً . وفقد الرجل زوجته أيضاً وظل كل واحد منهما وحيداً دون أن يعرف ما جرى للآخر حتى كان يوم التقيا فيه صدفة . وها هما الآن يتحدثان سوية عما يمكن أن تكون عليه حياتهما المشتركة فيما لو تزوجا . أما في الوقت الحاضر فهما مسنان ولا يستطيعان أن يبدأا الحياة من جديد . مثلت أمامهما ذكرياتهما البعيدة وحبهما القديم . فتعانقا عناقاً وضعا فيه كل حنانهما وحياتهما الفاشلة » .

السلسلة الثانية

اللوحة (١١) - « هل تريدون أن أسرد قصة الجنيات حول هذه اللوحة ؟ ولكن قصص الجان ليست في مقدرتي . غابة غنّاء . كان فيها ذات مرة كائنان شابان وكانت حياتهما ممتدة أمامهما وكانا يظنان أن كل شيء يسير سيراً حسناً . كانا متحابين ويعتقدان أن هذه هي السعادة وأنه لا يمكن أن يكون هناك من هو أسعد منهما . كانا يحلمان بمستقبلهما وكل شيء كان يبدو لهما سهلاً . وهنا وصلت جنية ووعدتهما بجبال من الذهب إلا أنهما أجابا بأنهما لا يرغبان في الجبال الذهبية وأن كل ما يريدانه هو أن يكونا وحيدين في عالم يفنيان فيه غراماً دون أن يأتي انسان يقلق عليهما سعادتهما . فباركت الجنية المكان الذي يعيشان فيه وأحالته إلى غابة ليس فيها روح تعيش . فأعجبا بذلك اعجاباً عظيماً ، في بداية الأمر ، لكنهما ما لبثا أن شعرا بالملل وبدأ الخلاف يدب بينهما . وحينئذ ثارت عاصفة فجأة، فانهارت الجبال التي كانت تفصلهما عن العالم ورافق ذلك الانهيار صوت مخيف ، ثم خرج تنين من بين الصخور بسرعة . إذ إن الأرض انشقت وبرز منها حيوان مخيف . ثم انهار كل شيء . كانا

في خوف مريع من أن يموتا متسممين . وهنا سمعا صوت الجنية وهي تسألهما فيما إذا كانا لا يزالان يرغبان في البقاء وحيدين في العالم بعيداً عن الكائنات الأخرى . فغضبا غضباً شديداً من الجنية وقالا لها إنهما أرادا أن يعيشا وحيدين ولكن ليس في عالم ينهار كله . فسخرت الجنية منهما ولكنها ساعدتهما ، مع ذلك ، على الخروج من بين الصخور . وهنا قالت الفتاة للشاب : ما العمل الآن ؟ ونظرت إليه ثم شرعت بالبكاء . وفجأة استيقظا كلاهما . كان ذلك حلماً ، حلماً سيئاً » .

اللوحة (١٢ BM) - « هذه اللوحة ليست موضوعة لكي نقص حولها قصة من قصص الجان . تجري حوادثها عند مشعوذ يزعم أنه يشفي من الأمراض . هذا الشاب كان مريضاً يجري من طبيب إلى آخر . وكان واحد يقول له الكبد ، وآخر يعتقد أنها الإمعاء ، وثالث يتهم الكلى ، ورابع وجد شيئاً آخر . لكن واحداً منهم لم يساعده ، بل على العكس ، كانوا كلهم يتقاضون أجوراً مرتفعة . لم تختف آلامه بل إنها زادت . فنصحه أحد الناس أن يذهب إلى المدينة حيث يوجد انسان شافٍ تمكن من شفاء عدد كبير من الناس عجز عن شفائهم كبار الأطباء . وفكر طويلاً ثم أزال تردده وقرر الذهاب لرؤيته . فرآه شاباً . إنه يشفي المرضى بوضع يده عليهم وتنويمهم ، فيمدد المريض على أريكة طويلة ويقول له إنه سينام وسيشعر بتحسن بعد اليقظة . استلقى مريضنا . وبدأ الآخر يدمدم ويتكلم سريعاً . وأخيراً نام المريض ولم يعرف كم مضى عليه من الزمن وهو نائم . وحين استيقظ لاحظ أنه وحيد في الغرفة . فلم يفهم معنى ذلك . وأخيراً تساءل فيما إذا كان يشعر بتحسن لكنه لم يشعر بذلك . وحين عاد إلى بيته وحسب نقوده لاحظ نقصاً كبيراً فيها وتساءل فيما إذا كان فعلاً قد صرف هذا المبلغ . لا بد أن ذلك المشعوذ الشافي قد أخذها وترك له قسماً منها . يا له من أحمق . لا شك أن الآخر كان صديقه يقتسم واياه الغنيمة . لقد سقط بين أيدي دجالين . وها هو الآن لا يثق بالأطباء ولا بالمشعوذ الشافي . لقد ضاع قسم من ماله . فما العمل الآن » ؟ .

اللوحة (١٣ MF) - « إن حادثة قتل بفعل الغيرة أو الحب ، قد تؤدي إلى كل شيء ، وحتى إلى ارتكاب جريمة . وهذا يمكن أن يؤدي إلى انتاج أحسن شريط سينمائي . وأذكر أنني رأيت مثل هذه اللوحة في شريط سينمائي ولكنني لا أذكر بالضبط كيف كان ذلك . واستطيع أن أسرد قصة . هذا شاب كان على علاقة مع امرأة كان

يريد أن يتزوجها ولكنه لم يكن يريد أن يرتبط ، في الوقت نفسه ، فهو يريد الحرية في التخلص منها في أي يوم يشعر فيه بالملل معها . وعلى الرغم من كل شيء فانه كان على علاقة مع نساء أخريات . وكانت صاحبته تلومه كثيراً مما سبب كثيراً من الحوادث العنيفة بينهما . كانت الغيرة تزعجه كثيراً وحاول التخلص منها . وحين شعرت بذلك خرجت عن طورها . ولكي تثيره بدأت بتكوين علاقة مع رجل آخر . ولم يكن ذلك إلا لعباً ولهواً منها . إلا أنه شعر بأنه قد جرح ليس لأنه يحبها كثيراً بل لأنه لا يريد أن يكون اضحوكة . فشرع يضربها . وأخذت هي تدافع عن نفسها . أردات أن تهرب لكنه حجزها وفي سورة غضبه الأعمى القاها أرضاً . إنه في أعماق نفسه ليس شريراً وهو يفهم ماذا يفعل . إنه يبكي ويخشى العقاب . بيد أنه يلمحها تتململ وتحرك ذراعها فيشعر بالارتياح . ولقد أغمي عليها فقط ولم تمت إذن . كل شيء يمكن أن يسوى . لقد قرر التكفير عن خطئه . هل سيتزوجها . إذن لقد حصلت على ما كانت تريد » .

اللوحة (١٤) - « يبدو لي أني أرى رجلاً في سجن قد نجح في التسلق حتى بلغ إحدى النوافذ في زنزانته وتمكن من فتحها . وهو الآن يرى أمامه طريق الحرية . إنه لم يرتكب جريمة شنيعة بل إنه اقترف بعض الشذوذ نتيجة لظروف دفعته إلى الحصول على المال من أجل أمه المريضة . وانسان غيره لا يمكن أن يقع مثل وقعته . كان رئيسه رجلاً بخيلاً وسيئاً يستثمر مستخدميه ويحسدهم إذا نالوا أي مكسب ويعاملهم معاملة سيئة أو يفضحهم مباشرة . لم يفهم القاضي وضعه فحكم عليه . وها هو الآن وقد قضى قسماً من حكمه لكنه كان يتعذب ويتألم حين يفكر بأسرته وبالحرية . ولا يقول لنفسه إنهم سيقبضون عليه وسيعاقبونه من جديد . إنه يفكر بالحرية وحدها ، ها هو يقفز إلى أسفل ، فيجرح في فخذه ، ولا يقوى على الهرب . يجده حارس في الفناء ، ونظراً لمعرفته أن هذا الرجل لم يرتكب جرماً كبيراً وأنه كان هادئاً ولطيفاً دائماً لذا فانه لم يفضحه بل قال إنه وقع من النافذة . يؤخذ إلى غرفة المرضى ويعنى به الطبيب وها هو الآن يقول لنفسه إنه تصرف تصرفاً أحمق . ولكنه ، مع ذلك ، يذكر أنواع الفشل التي لحقته في حياته ويفكر في أن من العبث معاودة الكفاح . سينتظر اطلاق سراحه بعد عدة أسابيع . وسيخرج ليبحث عن عمل . إنه يشك بالنجاح » .

اللوحة (١٥) - « إن هذه الصورة مخيفة . رجل مرت عليه كثير من التجارب في حياته . كانت طفولته صعبة فوالداه فقيران لقيا كثيراً من المتاعب . ثم ماتا وتركاه

صغيراً . في البدء مـاتت أمه التي كـان يحبها كثيـراً ثم لحق بها أبـوه الذي كـان يخشاه كثيراً . فذهب إلى عم له اهتم به جيداً وعلّمه . ثم تقدم فأصبح مهندساً يتمتع بمركز مرموق . كان قادراً على ابتداع عدة اختراعات أستفاد منها غيره . تزوج ولكن زواجه لم يكن سعيداً . وولد لـه ثلاثـة أولاد كان يحبهم كثيـراً إلا أنه لم ينجـح في أن يجعلهم يصغون إليه . التقى بـامرأة فـأحبها وأحبتـه . لكن زوجه رفضت الـطلاق . ففشلت جميع مشاريعه . كان له صديق مات بالحمى الإسبانية فحـزن عليه كثيـراً . واحد من أولاده سلك سلوكاً سيئاً ، وابنته سقطت بين أيدي رجال ثم انتحرت . وحين وافقت زوجه أخيراً على الطلاق كانت صديقته قد ماتت . وها هو الآن في المقبرة يفكر بحياته التي خسرها . سيكرس الآن كل حياته لعمله عسى أن يجد فيه العزاء » .

اللوحـة (١٦) ـ /البيضاء/ « أرى هنـا مقهى صغيراً في مينـاء . أمـام المقصف أشخاص مريبون . بعضهم يدخل وبعضهم الآخر يذهب . في الوسط امـرأة مبتذلـة شهـوانية ولكنهـا تروق للعـين ، يغازلهـا ثلاثـة رجال . وهي ثملة . تقـرر أخيـراً أن تذهب مع واحد منهم ولكن آخر يقترب منها ويجرها من ذراعها محاولاً أخـذها معـه . فيتنـاول الأول سكيناً ويغـرزه في بـطن الثـاني . فيتـداعى ، ويبـدأ الصيـاح . يصـل صاحب المقهى ويحاول اخراج الناس والتخلص من الجريح خوفاً من المتـاعب . المرأة تصرخ والرجل الثاني يضربها . يغلق صاحب المقهى محله . وينقل الجـريح إلى عيـادة طبية وتنقذ حياته . أما الآخر فيفر مع الفتاة » .

اللوحة (BM ١٨) ـ « هذا رجل قام ، منذ قليل ، بهجـوم مسلح . لقد تنبـأ الناس له ، منذ صغره ، بأن نهايته ستكـون سيئة . لم يشـأ أن يستمع إلى أحـد أو أن يشتغل . ومنذ صغره كان يفضـل مرافقـة الأصدقـاء غير المرغوب فيهم . لم يهتم بـه والده الاهتمام الكافي ، ثم أشاحا عنه تماماً وهجراه لمصيره . بـدأ يجري خلـف النسـاء اللواتي عرفن كيف يستثمرنه ويرغمنه على البحث عن المال في أي مكان . امرأة تحضّه على السرقة أو السطو ليس فقط من أجل الربح ولكن لكي يرضيها . وعاش على هذا المنوال سنوات عديدة كان يتبجح فيها بانتصاراته . وحتى ذلك الوقت تمكن من تجنب التوقيف والعقاب . وكان يخيف حياً بأكمله . ولكن اكتشف أمر المرأة التي كان يعيش معها ووجدت عندها بعض الحلي التي كان قد سلبها من النـاس فظنت أنها تفلت من العقـاب إذا فضحت أمـره . وهكـذا ألقى البـوليس القبض عليـه . ثم أدين فحكم عليـه . وسلك سلوكـاً حسنـاً في السجن ولكنـه ، في أعـماق نفسـه ، كـان يفكـر في

الإنتقام . وحين أعيدت إليه حريته . بعد سنوات طويلة ، كانت عـزيمته قـد تحطمت وأصبح يرغب في الحيـاة الهادئـة . لكنه لم يكن يعـرف ماذا يفعـل . إذ أنه لا يعـرف شخصاً يلجأ أليه . تاه في الطرقات مدة طويلة وانتهى به الأمر ، عـلى الرغم من كـل شيء ، إلى أن ينضم إلى عصابة من الأشرار » .

اللوحة (٢٠) - « هذا مخيم بعثة القطب الشمالي . مجموعة من الرجال الشجعان ذهبوا إليه بالطائـرة لإجراء بعض الـدراسات . بنـوا أكواخـاً سكنوهـا ونصبوا فـوقها أجهـزتهم . وثمة سـارية كـانت تسمح لهم بـالاتصـال بـالعـالم الخـارجي ، وبـدونها سينقطعون عنه تماماً . سيظلون هنـاك أشهراً يـراقبون الجـو والريـاح . وسيجدون أن الحياة مليئة بالسحر . إنهم مشغـولون طيلة النهـار وليس لهم من عمل سـوى العنايـة بطبخهم وآلاتهم . إنهم يأملون في العودة إلى وطنهم بعد القيام باكتشـافات عـظيمة . وحين يشعرون مساء بالتعب وينامون يفكرون بماضيهم وبالناس ويتساءلون عـما يمكن أن يفعل هؤلاء وعما إذا كـانت الحياة عنـدهم مساويـة للحياة التي يحيـونها هنا . إنهم سعداء في عملهم . ولكنهم أحياناً يشعرون بالتعاسة ، ويتساءلون فيما إذا كـانوا فعـلاً يقومون بعمل عظيم إلى هذا الحد . سيعودون بعد بضعة شهور وسيحتفى بهم » .

اللوحة (١٠) - « رجل يعيش وحيـداً . وفي ذات مساء لم يعـد يتحمل الـوحدة فـترك البيت وذهب إلى إحدى الحـدائق . وكان الليـل قد أرخى سـدوله . ومن بـين الأشجار يلمح أنـوار المدينـة . شعر بـالتعب فوقف تحت مصبـاح ليلي . لقـد اشتغل طول النهار كما يفعل الآخرون وكان عمله مملاً أحمق قاسياً . إنه يعيش في غرفة مظلمة في أحـد الفنادق وحيـداً تمامـاً . وهو يشعـر بتقدم السن . مـاتت امرأتـه . وهجـرتـه صديقته . إنه يخاف ويكاد يبكي . ولكنه ما يلبث أن يقول أن كـل ذلك لا يجـدي . وغداً سيكون مثل هذا اليوم . وعليه أن يؤدي العمـل نفسه دائـماً . وربما حكم عـلى نفسه بأنها راضية لأنه قادر على انجـاز عمله بدون متـاعب . وعلى هـذا النحو سـوف يستجمع قواه ويعود ثانية إلى غرفته » .

لقد جمعنا نتـائج الـرائز في جـدول . وها نحن الآن نقـدم جدولنـا الأول ، مع ملاحظة أن فقرة (الموقف الانفعالي) تحتوي عـدة معطيـات يمكن أن تعتبر شروطـاً أو مميزات خاصة كما هي الحال عند تـومكينز . وعـلى كل حـال إننا نـرى بشكل واضـح المعطيات التي تحدد المواقف الإنفعالية أو التي تكون على عـلاقة معهـا والتي يكون من المناسب ترتيبها في هذا النظام إذا لم نكن نريد ارهاق جدولنا .

الجدول (أ)

سنحاول الآن أن نستخلص بعض النتائج من جدولنا وأن نفسرها :

١ ـ **العلاقة بين اللوحة والقصة** ـ هذه العلاقة حسنة بصورة عامة . والمفحوص يفهم ، بشكل عام ما خلا بعض الحالات ، اللوحة ككل ، ويحدد الوضع الخارجي أو الداخلي للأشخاص ، ويطور ، بعد ذلك قصته ، دون أن يضع مخططاً معيناً كما يبدو . ولكنه يقص الأفكار التي ترد على خاطره ويضيف إليها عناصر جديدة .

٢ ـ **علاقة العناصر فيما بينها** ـ العناصر المختلفة للقصة محكمة الترابط فيما بينها . صحيح أن اللغة جافة والصور فيها نادرة إلا أنها غنية معتنى بها وجملها طويلة . الأشياء منتقاة بشكل دقيق . والتعبير متنوع بصورة عامة .

٣ ـ **الموقف العقلاني** ـ ينبغي أن نميز هنا بين موقف المحدث كما يعبر عن نفسه في ملاحظاته وموقف البطل والشخصيات الثانوية :

آ ـ **موقف المحدث** ـ إنه يبدأ قصته غالباً باعتبار عام أو بنقد ذاتي أو بنقد للأشخاص الموجودين في اللوحة أو للأوضاع . ويتساءل ، من وقت لآخر ، عما يمكن أن تصوره اللوحة . ويحاول ، في بعض الأحيان أيضاً ، تبرير تفسيره ومعرفة فيما إذا كان حسناً . . . الخ . . . ولكن هذه الملاحظات لا تشغل إلا حيزاً صغيراً بالنسبة لطول القصص .

ب ـ **الأبطال** ـ إنهم ، بدون شك ، يفكرون ويتساءلون ويحاولون أن يفهموا ما يجري وما يعملون . . . الخ وإنهم ، بدون شك أيضاً ، يتصرفون حسب مخطط مرسوم سلفاً ، ثم يحاولون ، بعد ذلك ، تحقيق هذا المخطط لأنه ذو فائدة بالنسبة إليهم . تبدو القصص غالباً متينة البناء ، أما العمل الفكري فيحكم عليه ، بالصدفة ، كأنه عمل ثمين ولكنه ، بمجموعه ، يدفع المرء إلى أن يعتقد بأن الأبطال والشخصيات الثانوية تترك نفسها منقادة ، بشكل أكبر ، بعواطفها وغرائزها لا بالتفكير الهادىء وفهم الظروف ، حتى حين تتدخل هذه المعطيات بشكل جيد في قراراتهم . وبصورة عامة يمكن أن

نقول إن القصص ألفت تأليفاً منطقياً وإن أشخاص القصص يتصرفون تبعاً للمواقف التي تنسب إليهم .

٤ ـ **الموقف الإنفعالي** ـ لا يسهم المفحوص نفسه اسهاماً واسعاً في التجربة . بل إنه يظل هادئاً ، موضوعياً ، على حال واحدة ، يقدم استجابة عاطفية (اللوحة ١٥) . ويبدو مسيطراً على نفسه . ومع ذلك فان لهجته تخدعه أحياناً وتظهر مشاركته العاطفية . وبعد أن انتهى من القسم الثاني من الرائز قال ، مع ذلك ، أن هذا العمل جعله يضطرب . أما فيما يتعلق بالأبطال فينبغي أن نلح على أنهم يتصرفون مدفوعين بعواطفهم وغرائزهم لا بتفكيرهم الواضح المنظم . والعواطف نفسها كثيرة الاختلاط ومع ذلك فان بعضها قوي . نلاحظ ، في البدء ، ان العامل الجنسي يعلب دوراً هاماً في القصص ، وهو ، بصورة عامة ، هدام بالنسبة للبطل . البطل لا يتوصل إلى السعادة عندما يتعلق الأمر بالزواج . فالزواج بائس والاتحاد بين اثنين منفصم العرى ـ أما في حالات العلاقات غير الشرعية فالبطل يشعر بأنه غير مفهوم وتعيس . وأنه ، بدون شك ، ليس « مثلاً في الأمانة » لأنه على علاقات مع نساء كثيرات أو هو بعيد عن صديقته التي يعيش معها . الجنس يقوده إلى الجريمة . فيسرق ويخدع ليعثر على المال من أجل صديقته أو صاحبته . إنه ، بصورة عامة ، منفعل . ولكنه يستطيع أن يصبح قاسياً وعدوانياً . ويظهر شيء من السادية في بعض قصصه . والحسد ليس بعيداً عنه ولكن كبرياءه الجريحة وطموحه الفاشل وشرفه الملوث وخوفه من أن يعتبر أحمق ، كل ذلك يلعب دوراً هاماً أكثر من الخوف أو الألم لفقد شيء عزيز . والعلاقات العميقة مع هذا الشيء العزيز لا يبدو أنها موجودة . حتى مع الوالدين لا توجد علاقات عميقة . فنراه يصف ، في بعض الأحيان ، مودته للأم أو توتره ازاء الأب وبذلك تظهر عقدة أوديب . والبطل أيضاً ليس متعلقاً بأولاده ، هذا إذا كان عنده أولاد ، كما نرى في بعض القصص النادرة . وعنده أحياناً قلق واضح واضطراب داخلي وشعور بعدم الاطمئنان . ونزعات الإجرام تظهر متكررة فالبطل يسرق ويغش ويهاجم ويقتل أو يفكر بالقتل ، ولكن الأمر يتعلق ، في معظم الأحيان بجرائم قليلة الخطورة أو بأعمال يرتكبها تحت تأثير أمور عاطفية أو تحت تأثير انسان غريب . والبطل ليس سيئاً ، بصورة عامة ، لأن الظروف هي التي جعلته ينحرف عن سواء السبيل . إنه يشعر بالخطيئة

ويلوم نفسه ويقبل العقاب . ولكنه في رغبته بالحرية يحاول الهرب كلما شعر بأنه عومل معاملة سيئة . إنه يتقزز من الحياة ، ويشعر بالفشل ويبدي عجزاً ازاء الحياة التي لا يستطيع التحرر منها . ومع ذلك فمن المناسب أن نقول إن هذه القصص تنتهي غالباً نهاية حسنة وتختم بالإتقان مثلاً . ليس من النادر أن يعاقب البرىء كما هي الحال في المبارزة التي جرح فيها . عنده مشاعر الوحدة والعزلة والإهمال والعجز والرغبة في الخروج من هذه الحال . وفي عدة مناسبات عبّر عن فقدان الفرصة المناسبة بقوله : « ولكن فات الأوان » لكي يبدأ من جديد .

أما الأشخاص الذين يحيطون بالبطل أو الذين هم على علاقة معه فهم غالباً خصوم ألداء . أما الأصدقاء فلم يذكرهم أبداً في قصصه ، والرئيس خبيث يستغل مستخدميه ، والقاضي لا يفهم المتهمين . وحين يرتكب خطيئة يلقى القبض عليه على عكس الآخرين . زوجة البطل تناصبه العداء ، ولا تحبه ، وتخدعه ، أو هي غير مكترثة به . وحين يلتقي أخيراً بالمرأة الي يحبها لا يستطيع أن يكون معها علاقة جديدة . الآباء يشجعون أبناءهم على القيام بفعاليات لا يريدونها . ولا يحبونها ويوبخونهم على التضحيات والجهود التي يقدمونها لهم وهم عاجزون عن الحب القوي ، ويهملون أولادهم ، من جهتهم ، يفرون من سلطة الآباء ، ويحبونهم قليلاً ، ويسعون نحو التحرر من سلطتهم ، وهم يخرجون بسهولة عن الطريق السوي ، ليقوموا بأعمال خارجة عن القانون . ولا توجد في أية قصة علاقة قريبة وشخصية مع الآباء . البطل مستثمر من قبل الآخرين . مدفوع نحو الجريمة ، وهدف للدسائس والمؤامرات . حتى الجنية التي تحقق أمنيته لا تقوم بذلك إلا ظاهراً ولكي تسبب له الضرر . يبدو كل شيء موجهاً ضد البطل . وفي الصراع مع الخصوم هو الذي يفشل ويتحمل الخسائر . وفي المحيط أشخاص قليلون يذكرهم ، ولا يذكر أي ارتباط مع الطبيعة . العمل رتيب لا يرضيه . والعالم لا يؤمن له السعادة .

٥ - **شخصيات القصص** - ينبغي أن نميز البطل (الشخصية الرئيسية) عن الشخصيات الثانوية في القصة . فالبطل ليس هو الشخص الذي يلعب أهم دور فقط بل إنه الشخص الذي يتقمص المفحوص شخصيته ، بشكل أو بآخر ، والذي يقدم له مشاعره وأفكاره الخاصة وانطباعاته ونزعاته وحتى أعماله . ونلاحظ ، في أغلب القصص هنا ، أن المفحوص يدخل شخصيات من عنده لا توجد في اللوحات . وهذه الشخصيات تلعب دوراً هاماً في الغالب . والمفحوص

شخص تجاوز الخمسين من عمره ، ومن الملاحظ أنه لا يتقمص شخصيات المسنين ، وربما لوحظ العكس إذ أنه يتقمص شخصيات الشباب أو حتى الأطفال (كما يلاحظ في اللوحة ١ حين يتذكر صباه) . وفي القصة الثانية (مشهد في الريف) نجده يعير عواطفه إلى الفتاة أكثر من الأب والأم . وفي القصة الثالثة شاب ، وفي الرابعة رجل أصغر منه كثيراً ، وكذلك في معظم القصص الأخرى . وربما يعود ذلك ، في قسم كبير منه ، إلى الوسائل المستخدمة في الرائز والتي نجد فيها عنصر الشباب غالباً ، وفي جزء آخر ، إلى المفحوص نفسه الذي تثبت في الماضي مما جعل أحداث الماضي أقرب إليه بصورة عامة . وحتى في القصة السابعة حيث نلاحظ رجلاً متقدماً في السن ، يبدو أنه يتقمص شخصية الشاب من بين الرجلين . وفي القصتين (١١) حيث لا تحتوي اللوحة على شخصيات ، و (١٦) حيث ينبغي خلق قصة بشكل عفوي /اللوحة البيضاء/ ، نراه يدخل الشباب أيضاً ، وحتى إذا كان هناك أشخاص متقدمون في السن فانهم لا يقومون بدور البطل ولكنهم يعودون إلى محيطهم . وثمة أبطال مسنون يظهرون في القصة (٨) ولكن ليس من المستبعد هنا أن يتقمص المفحوص شخصية الشاب إلى حد كبير ، وفي القصص (١٠ و ١٥ و ٢٠) نرى تقمصه لشخصية رجل من سنه واضحاً . أما الشخصيات الثانوية من نساء ومعتدين ورجال شرطة وحكام وحراس سجن . . . الخ . . . فهم شباب بصورة عامة . وهو يدخل ، إلى جانبهم ، أشخاصاً أكبر سناً منهم ، ويقول عنهم أنهم آباء ، وينبغي أن نفترض أنه خلقهم بالإستناد إلى ذكرياته الخاصة . وعلاقات الأفراد فيما بينهم رخوة . ولقد قلنا من قبل أن الروابط الإنسانية العميقة كانت نادرة عنده وأن أغلب الأشخاص كانوا خصوماً للبطل ، وأنه يعرف ذلك ، ولذا فهو حزين . أما الصلات مع المرأة فيغلب عليها الطابع الجنسي كما بينا .

٦ - **المواقف** - ليست المواقف متنوعة في القصص . فهناك مواقف عاطفية كما هي الحال في القصتين (١) و (٢) وصراع بين الأبوين والولد ، وكذلك الأمر في القصة (٦) . وفي مجموعة من القصص الأخرى نجد صراعاً بين الرجل وامرأته أو بين عاشق وصاحبته ، وقد يدل على ذلك المواقف المرسومة أو النتائج التي تنجم عنها : (المبارزة ، الشعوذة في سبيل الحصول على المال الذي تطلبه صاحبته ، محاولة القتل بفعل الغيرة ، الدفاع ضد عدو . . . الخ . . .) . وفي

القصة (BM ٩) التي يصفها موراي بأنها غير شخصية ، والمستوحاة بدون ريب من قراءاته في الصحف التي تتفنن في نشر أنباء الاعتداءات والسلب والنهب . وفي القصة (١٢) تنويم مغناطيسي وقليل من المادة ، وكذلك في القصة (١٩) لا يلعب العنصر الجنسي دوراً هاماً ، وكذلك الأمر بالنسبة للقصة (١٧) التي تعرض هرباً من ملجأ المجانين . وهنا يعبر ، تعبيراً أوضح ، ليس فقط عن النزعات الخيالية ولكن عن العنصر الجنسي المثلي أيضاً الذي ربما يوجد في القصة (٧) كذلك . وإن كره المرأة يبدو في القصة (١٧) حين يشتم البطل امرأة رئيسه الذي يعتقد أنه ظلمه . ومن الطبيعي أن الأمر هنا لا يتعلق بمعطيات شعورية تماماً إذ قد يكون صراع بين نزعات الجنسية المثلية وبين الأنا التي تريد كبتها . وتتكرر مواقف العدوان ضد شخص من الجنس الآخر يخدع البطل ، أو يعتقد أنه قد خدعه ، وحوادث العدوان التي تهدف إلى السرقة أو ايقاع الأذى . وفي بعض الحالات نجد أن المواقف مواقف رجل منعزل يشعر شعوراً واضحاً بوضعه . وفي قصة القطب الشمالي أيضاً نجد هذا الانعزال عن العالم . وأحياناً يتعرض لشخصين منفصلين يلتقيان ثم ما يلبثان أن يفترقا عن بعضهما . وفي حالات أخرى يصور لنا الأزمات بين الآباء وأبنائهم . وفي القصة (٥) قلق وخوف وتوقع ، وكلها لا تتحقق . وليس هناك موقف هدوء وراحة . في القصة (BM ٩) يستريح الرجال بعد غارة فاشلة ولكنهم يظلون يشعرون بأنهم مطاردون ويحلمون بغارة جديدة .

٧ ـ **الحلول** ـ في أغلب القصص يقدم المفحوص نتيجة بعيدة التحقيق عند جميع الأفراد ، ويلاحظ أيضاً ، في الغالب ، أن أي حل وأي مخرج من الموقف المرسوم لم يطرح . وإذا أردنا أن نكشف صفات الحلول التي يطرحها المفحوص فاننا نستطيع أن نقول إن حلول الوفاق موجودة عنده دائماً ، أو بالأحرى إن حلوله ، بصورة عامة ، ليست حسنة تماماً وليست سيئة تماماً . وللحل السيء أحياناً نتائج سعيدة إذ أن كل شيء ينتهي بالاتفاق إن لم يكن بشكل جيد جداً فبشكل مفضل لا يتوقعه المرء في البدء ، كما هي الحال عند السجين الذي يحاول الفرار فيجرح ويصرح المراقب عنه أنه « سقط من النافذة » نافياً عنه صفة محاولة الفرار ، وحينئذ يفهم السجين أن من الخير له أن ينتظر حتى تنتهي مدة الحكم . كذلك الأمر بالنسبة للقصة (٣) حيث يتراجع الشاب نهائياً عن مشروعه في قتل

صاحبته والانتحار بعد ذلك ، فيلقي سلاحه ويقرر البدء في حياة جديدة ، وفي المبارزة أو في أثناء الإعتداءات تنقذ حياة المجروحين (القصة ١٦) ، وكذلك في (١٣) محاولة القتل لا تؤدي إلى موت المرأة إذ أن المجرم يأسف لعمله ويقرر الزواج منها . أما القصة (١٦) فانها تنتهي نهاية سيئة ، إذ أن المريض أُخذ إلى العيادة الطبية ، لذا فانه يعتبر معاقباً على محاولته في الهرب ، وهذا يفضح وجود عاطفة الشعور بالذنب في هذه القصة . وفي القصة (١٨) يظهر المجرم من جديد ، وكذلك الأمر بالنسبة للص في القصة (٩) . وفي القصة (١٠) يكون حل العقدة حزيناً أيضاً فالعجوزان قد التقيا من جديد ولكنهما ينفصلان . وفي القصة (١٢) كذلك نجد الخاتمة أقل سعادة : فالرجل محروم من ثروته لا يثق بأحد . والفتى في القصة (١) ينجح في عملية الوفاق فيقوم ببعض التمارين ليبعث السرور في نفس والديه ثم يهرب . لم نعثر على خاتمة يمكن أن يقال عنها إنها سعيدة . فنموذج الحل هو نفسه في أغلب القصص . وفي القصة (٥) تخاف المرأة وتضطرب بدون سبب ولا تنجح في الاحتفاظ بهدوئها الداخلي . كذلك الأمر بالنسبة للقصة (٢٠) فعلى الرغم من أن الرجل يعود إلى بيته إلا أنه يظل حزيناً متوتراً غير راض .

وعلى الرغم من أننا عالجنا ، فيما تقدم ، مجموعات المعضلات الأربع التي درسها تومكينز ، إلا أننا سنفحص الآن ذلك كله . وسنجدها منتظمة في الجدول التالي :

الجدول (ب)

١ ـ **الرهط والعائلة** ـ ونقصد بذلك العلاقات الكائنة بين الأبناء وآبائهم أو الأبناء فيما بينهم . لقد قلنا إن هذه العلاقات لم تكن وثيقة في أي حال من الأحوال ، ولم نصادف روابط عميقة حقاً بين الآباء وأبنائهم حتى حين يتحدث المقاص ، من وقت لآخر ، عن وجود الروابط القريبة بين البطل وأمه . فالآباء مشغولون باهتماماتهم الخاصة أكثر من انشغالهم بأبنائهم الذين يتركون لهم قليلاً من الحرية ويحاولون أن يؤثروا فيهم بشكل يؤدي إلى المحافظة على مصالحهم . وقد ذكر التوتر بين أم وكنتها ، وفي هذه الحال أيضاً يشير إلى التضحيات التي قدمتها الأم لابنها قائلاً إنها تتوقع منه عرفاناً بالجميل ودعماً لها فيما بعد أما ما عدا ذلك فإنها

لا تقرر مساعدته للخروج من المأزق ، فهو راشد وينبغي أن يحل مشكلاته بوسائله الخاصة . والصراع بين الجيلين واضح في القصة (٢) وخاصة فيما يتعلق بالآراء الخلقية المختلفة وعلى الأخص الناحية الجنسية . في القصة (١٠) يعارض الأبوان زواج أبنائهما وبهذا يكونان مسؤولين عن شقائهم . وفي (١٨) خاصة لا يهتم الأبوان بابنهما فيشعر بأنه منبوذ . وفي (١٥) طفولة صعبة . والخلاصة أن فكرة الحياة العائلية ، في مجموعها لا تحتل مكاناً كبيراً في القصص .

٢ ـ **الحب والجنس** ـ هذه المجموعة من المعضلات هي التي تبدو كأنها تلعب دوراً هاماً في القصص . ولنلاحظ ، قبل التوسع في البحث ، أن الزواج لا يحتل مكاناً بارزاً . فالمفحوص يشير إليه ، بدون شك في بعض القصص ، لكنه لا يهتم به بالتفصيل ولا يجعله سعيداً أبداً . الزوجان شقيان والعلاقات العاطفية فاشلة . المرأة تخدع زوجها أو هي مخدوعة من قبله . ولا نعرف شيئاً عن حياتهما المشتركة . ولا نجد أثراً للحب الروحي أو التعلق المتين أو المودة أو الحياة المشتركة أو هبة كائن نفسه للكائن الآخر . ولا نرى من الحب هنا إلا الجانب الجنسي المادي والرغبة في اتباع الغرائز . شخص يحاول أن يحقق هدفه جنسياً بشكل منحرف أو لغايات أخرى على حساب الآخر ، وحين يظهر الشعور بالغيرة لا يكون مستوحى من الخوف من فقدان المحبوب ولكن من الكبرياء الجريحة بشكل أكبر ، ومن الشعور بالشرف المثلوم ورغبة التملك التي يبديها كائن ازاء كائن آخر . وفي هذه الحال يظهر الرجل ضعيفاً بصورة بصورة عامة ، فهو يستغل ويستثار فيرتكب جرائم ، والنساء بدون أخلاق يحببن المال أكثر من حبهن الكائن الإنساني . الرجال غالباً قساة ويسيئون معاملة النساء . جنسية الرجل مشحونة بالسادية . والعلاقات ، بصورة عامة ، ليست دائمة ، والأفراد ينفصلون بسرعة حتى بعد اتحادهم بقليل . وفي قصتين فقط نجد الأمر متعلقاً بالحب ، ففي القصة (١٠) أحب الشخصان بعضهما طيلة فترة شبابهما ولكن لم تكن لديهما الشجاعة أو الرغبة العميقة في ممارسة حياة مشتركة ضد رغبة آبائهما فتزوج كل واحد منهما من شخص آخر وشقي بذلك أما في القصة (١١) فيبدو أن الشخصين قد تحابا ولكن محاولة الإنعزال عندهما تفشل ، وفي آخر الأمر لا يجدان أي مخرج من وضعهما ، وفي هذه الحال أيضاً لا يوجد ثمة حل سعيد .

٣ ـ **المهنة والعمل** ـ يلعب هذان العنصران دوراً أقل أهمية بكثير من دور الجنس . فهنا

أيضاً نجد التركيز منصباً على الناحية السلبية من الحياة . ففي القصة (٢٠) يعتبر العمل « أحمق » و « قاسياً » لا يرضي أي نظام مهما كان . ومن الضروري أن يتحرر المرء لكي يستطيع أن يعيش . المستخدم مستثمر من قبل رئيسه (القصص ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧) وحتى في (١٩) حيث يتعلق الأمر بالنشاط الخلاق الذي اختير بحرية ، نجد بعثة قطبية للأبحاث يتساءل المشتركون فيها عما إذا كان لعملهم قيمة (وهنا يكون الجواب : لا) ولا يبدو عليهم الرضى والقناعة . ومن المهن التي أشار إليها : العمل الزراعي (٧) والطب (٨ ـ ١٢ ـ ١٦) وقد قال عن الأطباء إنهم مدفوعون بالرغبة في الغنى ، ومرة واحدة ذكر القاضي (هو غير فاهم) بينما حارس السجن يفهم وضع السجين . وفي (١٥) مهندس نجح ولكنه استغل وحرم من خيرات عمله . ونجد اشارة إلى البطالة والصعوبة في ايجاد العمل ولكنها عارضة .

٤ ـ **العلاقات الإجتماعية والموقف المناهض للمجتمع** ـ لا تتدخل العلاقات مع الآخرين والصداقة والزمالة في القصص . ولا تظهر فيها إلا نادراً الأزمات الاقتصادية والشقاء والفقر . وعلى العكس يشغل الموقف المناهض للمجتمع مكاناً واسعاً فيها : مثل محاولات القتل بسبب الغيرة ، وكذلك الجرائم العاطفية العديدة ، وإلى جانب ذلك يذكر اعتداءات متكررة للسرقة . وكل ذلك مشروط بالجنس الذي يدفع الرجل نحو المرأة ويكون حافزاً للجريمة . وفضلاً عن ذلك نلاحظ دائماً رغبة الانتقام . سرقات تنفذ بسبب الجنس ، وقليل منها بدافع نبيل كالحصول على المال من أجل مساعدة المرء لأمه . ومحاولة الاحتيال والدسيسة تلعب دوراً هاماً في قصة واحدة من قصصه . وفي قصة أخرى دجل من قبل مشعوذ . وعدوانية الرجل وفظاظته ازاء المرأة وتعذيبه اياها ليست أموراً نادرة . الأشخاص ضعفاء بصورة عامة وامارات القسوة ليست إلا نتيجة للكبرياء الجريح ونقص في السيطرة على النفس والإرادة الحازمة أكثر مما تكون نتيجة للقسوة الفعلية .

٦ ـ **زمر أخرى من المشكلات** ـ الأبطال ، بصورة عامة ، قليلو الثقة بأنفسهم يشعرون بالضعف وبأنهم مغلوبون على أمرهم أو أنهم أحط من سواهم . ويجب أن نضيف أيضاً أنهم يرون العالم خصماً لهم ، لا يجدون الأمن والدعم والحماية في أي مكان ، وليس هناك واحد منهم يشعر بقيمته . وبعض الأبطال يشعرون

بالصغار وبعضهم بالذنب ، وكلهم تقريباً يشعرون بأنهم وحيدون منبوذون . وفي حالات عديدة ، وخاصة في تلك التي تتعلق بعمل مناهض للمجتمع يخشون الملاحقة ويخافون العقاب . ومن النادر قليلاً أن نصادف عندهم الشعور بالذنب « الداخلي » أي المشروط بمعرفة أن تصرفهم سيء . وفي بعض الحالات نجده يعبر عن الرغبة في الانعتاق ولكن هذه الرغبة لا تتخذ طابع الشدة الخاصة . وليس من النادر أن يكون الرجال غير مكترثين أو ناقصي الانفعال العاطفي . وقد أشار ، في بعض الحالات ، إلى الصراع بين الأخلاق البورجوازية والأعمال التي تنجم عنها دون أن تصاغ صياغة حسنة ، وفيما عدا ذلك لم تعالج مسائل اخلاقية أو ميتافيزيكية بكثير من التفصيل . وفي إحدى الحالات طرحت مسألة « الصدفة والمصير » دون أن تناقش . لم يشر ، ولو مرة واحدة ، إلى المسألة الدينية . ومع ذلك ، عبّر تعبيراً عارضاً ، عن قلق ، دون دافع خاص ، يمكن وصفه بالقلق الميتافيزيكي ، دون أن نجد ، في القصص الأخرى ، عناصر دقيقة مرتبطة فيه . وكذلك الأمر بالنسبة للموت الذي يتعرض له في عدة مناسبات دون أن يتخذ المفحوص موقفاً واضحاً منه ، بل يتكلم عليه عرضاً . وفي حالة واحدة تموت صديقة رجل كان يود أن يعيش معها في الوقت الذي تعلن فيه زوجه عن رغبتها في الطلاق منه ، وحيث يقدم إليه حل أكثر ملاءمة . والحق ليس منتصراً في القصص ، ونستطيع أن نقول أن الظلم هو الذي ينتصر . وهذا الرجل الذي يخدعه شاب ، أصغر منه سناً ، مع امرأته ، يجرح في المبارزة . وهذه النتيجة التشاؤمية نجدها في قصص أخرى . الحياة لا تجلب السعادة والشقاء بشكل متوازن ، لأن الشقاء والقلق والألم لها الغلبة على السعادة . لم يصغ المفحوص هذه الملاحظة ولكنها موجودة في كل القصص .

وعلى هذا النحو فان الحياة لا تقدم للإنسان سوى سلسلة من حوادث الفشل والتنازلات . والإنسان الذي يصوره المفحوص يقبل بها ، بصورة عامة ، بشكل منفعل وبدون تمرد . وهذا يستند ، كما يبدو ، إلى الفكرة التي ترى أن التمرد غير مجد وأنه لا يوجد علاج للوضع اليائس للرجل . الرجل منعزل ، مهمل ، دون أمن وسند ، وهو ، في النهاية ، مرغم (على مثال البطل في القصة ٢٠) على أن يعود وحده إلى غرفته ، ويستمر في حياته ، ويقوم بعمله المرهق والأحمق الذي لا يرضيه ، وهو يعبر عن فرحه لأنه لا يتألم من الجوع .

هـذا رأي تشاؤمي عن الحيـاة إذن يعبر عنـه في القصص هذه . ولا نعـثر عنده على أية قصة يمكن أن توصف بالفرح والسرور ، بل على العكس تعـبر القصص كلها عن يـأس كبير وعـدم رضى وموقف حـزين من قبل الفـرد . ليس الرجـال سعداء في حياتهم ، بل إنهم، على العكس يتألمـون منها . تنقصهم القيم الانفعـالية والعـلاقات الإنسانية . لا يجدون أي سند ، عنـدهم هم أنفسهم ولا عند الآخـرين ولا في القيم العليا في الحياة .

ولكي نتم دراستنـا قدمنـا للمفحوص لـوحـات ليست مخصصـة لأفـراد الجنس المذكر بصورة عامة :

اللوحـة (٣ GF) ـ « هذه امـرأة اختلفت مع زوجهـا . لقد كـانت طائشـة لا تهتم قط بشؤون بيتها . وخانت زوجها فتحملها ، مدة من الزمن ، معتقداً أنها سوف تعود إلى رشدها . بيد أنه لم يستطع الاستمرار في ذلك فطردها . وها هي ذي الآن ، أمام الباب ، لا تعرف ماذا تعمل . قالت لنفسها إنها تستحق ذلك وإنه كان عليها أن تكـون سعيدة لحصـولها عـلى مثل هـذا الزوج وهـذا البيت . لكنها لم تكن سعيـدة ، فزوجها لم ينتبه إليها ، وعاش حياته الخاصة ، وهي تجهل اهتماماته ، ولا تعرف أيضـاً فيما إذا كان أميناً . وهي تأمل أن تهدأ ثورته ، ويرجعها إلى جواره » .

اللوحة (٦) ـ « هذان شخصان يبدو أنه لا توجد بينهما مـودة . المرأة فيهـا شيء بارد لا يحب ، والرجل عنده شيء من السخرية والتهكم . لقد تزوجا كما يفعل سائر الناس . ولكن لكل منهما علاقة مع آخر . هيئة المـرأة ولباسهـا يبينان أن زوجهـا غني ويحتل مركزاً مرمـوقاً . تـزوجته من أجـل مالـه ومركـزه دون أن تشعر نحـوه بالحب . ورجل اللوحة قاس ينجح مع النساء ويستثمرهن . تزوج امرأة من أجل مـالها ، لكي يحصل على المال فقط . ولهذا فان الشخصين منسجمان سويـة . لقد تعـارفا منـذ زمن طويل . لم تكن تريد ، في البدء ، أن تستسلم له لأنها من بيت بـورجوازي ، وربيت تربية قاسية ولكنها ما لبثت أن فتنت به . التقيا في فندق . وهو الآن عندها في بيتها . وهي خائفة لكنها مندهشة لا تعرف كيف تتصرف . . إنها تـريد التخلص منـه . وفي الوقت الذي تفكر فيه في هذا الأمر يصـل زوجها . وبعـد ذهاب الـرجل الـذي تقول عنه لزوجها إنه صديق يحدث فصل بينهما فيضربها . لكنه ما يلبث أن يهدأ » .

اللوحـة (١٣) ـ « هذا ولـد أبواه فقـيران وقد كانا غنيين . لقـد فقدا كـل مـا

بملكان . فاضطرت العائلة للسكن في كوخ خشبي . إنه صغير لا يذكر الماضي . وهو لا يعرف معنى كلمة الفقر . ويحلم بما سيكون عليه في المستقبل حين يكبر . إنه يحلم بأن يكون مخترعاً يخلق جميع أنواع الماكينات ويحصل على كثير من المال . يحلم ببيت جميل . وامرأة وأولاد . . . ثم حين يكبر سيلاحظ أن كل شيء يختلف عن حلمه » .

اللوحة (GF ١٧) - « في الميناء ، زورق وصل تواً والرجال يفرغون حمولته . ويمكن أن يكونوا أيضاً سارقين جاؤوا خلسة ، في الليل ، لكي يسرقوا البضاعة . وهناك واحد منهم يقف لمراقبتهم وتحذيرهم ولكي لا يفاجأوا . إنهم ينقلون البضائع الآن ويحاولون ، فيما بعد ، أن ينقلوها إلى مكان آخر . والمرأة التي تلمح في الميناء ، مرت صدفة هناك ، وهي تلاحظ كل شيء . تذهب إلى الشرطة وتخبر عن الرجال لأنها تعرف أن هذا المكان ليس معداً لتفريغ المركب . يصل رجال الشرطة . ولكن معظم الرجال ينجحون في الهرب ما عدا اثنين أو ثلاثة يلقى القبض عليهم . يعلم الآخرون أن المرأة هي التي فضحت أسرارهم فينتقمون منها باحراق بيتها » .

هذه القصص تؤيد النتائج التي توصلنا إليها حتى الآن وهي تظهر بعض التفصيلات بشكل أدق ، كما هي الحال في القصة (B ١٣) التي تبين بوضوح أن المفحوص قد تقمص شخصية الفتى كما سبق أن افترضنا وأن صورة الولد تثير انطباعات الطفولة . ويبدو ، فضلاً عن ذلك ، أن أمور الحياة تجري بشكل يختلف عما نتخيل وأنها لا تقدم لنا ، في الحقيقة ، إلا الفشل . وهنا أيضاً ليست القضية قضية علاقات بين الآباء وولدهم . ونجد المفحوص مذكوراً في القصة (١٥) . في القصة (GF ٣) تبرز المسألة الجنسية إلى المقدمة : الخيانة ، الخصام ، امرأة شقية في بيتها ، والرجل لا يلتفت إليها ، فتهمل بيتها ، ولكنها تأمل أن ينتهي كل شيء على ما يرام . وفي القصة (GF ٦) مسألة جنسية أيضاً ، خيانة زوجية من الرجل والمرأة ، زواج يتم لأسباب مادية وليس بسبب الحب ، قسوة الرجل . وبينما تظهر المرأة في القصة (GF ٣) شعوراً واضحاً بالإثم نجد الرجل على عكس ذلك . في القصة (GF ٦) . وفي القصة (GF ١٧) نجد قصة سرقة ولكن امرأة مارة تكشف أمر السارقين فيفر بعضهم ويوقف بضعهم . أما الذين يفرون فانهم يثأرون ويحرقون بيتها . وهنا أيضاً نجد الشعور بالإثم (التوقيف والعقاب) وكذلك الرغبة في الثأر . والشعور بالإثم لا يولد عفوياً لدى الفرد بل بفعل ضغط الظروف الخارجية .

وإذا حاولنا الآن أن نكون فكرة عن شخصية المفحوص ، بالاستناد إلى

القصص التي سردها وبالاستناد إلى تفسيرنا أصبح من المناسب أن نقول عنه إنه رجل يبلغ الخمسين من عمره يعيش وحيداً بعد أن فقد أهله . له أخت يراها قليلاً ، ولهذا فليست بينهما علاقات عميقة . وسنعطي بعض التفصيلات عن حياته ونموه فيما بعد .

تظهر لنا القصص بالدرجة الأولى ، وبدون شك ، أنه رجل متقدم في السن . الموقف العاطفي والتصميم ، وبصورة عامة ، استجابة هذا الرجل ازاء الحياة والعالم وأقرانه ، لم توجد عند عدد من الأفراد الشباب الذين اتيحت لنا فرصة فحصهم بالـ « ت . آ . ت» . يوجد شباب متشائمون ، بدون شك ، ومصمممون أو حتى تعبون من الحياة ولكنهم يترجمون عواطفهم بصورة أخرى . وفضلاً عن ذلك ، نستطيع أن نلاحظ أن هذا الرجل لم يصادف نجاحاً في الحياة وأنه تألم وشعر بالوحدة والتعاسة ، وتعذب لفقدان العلاقات العميقة مع أقرانه . وتظهر لغته وطريقته في تركيب الجمل وأفكاره وأسلوبه في التفكير أنه على شيء من الثقافة . ويبدو أن مركزه المادي متواضع دون أن يكون باعثاً على الشقاء .

في بداية قصصه يقدم نظرة اجمالية للموقف إذ يبدأ عادة بالتعريف قبل التوسع والتطوير . وهذا يبين أنه ليس من النمط العصابي الصرف . ومع ذلك فان العنصر الخلقي واضح تماماً عنده والمشاركة العاطفية مع قصصه ، أي امكان العيش في قصته ، يبدو ضعيفاً . فهو يؤلف قصصه ، ويصف الوقائع كأنه يلاحظها من الخارج . إنه لا يشارك فيها فعلاً . وهذا يشير إلى أن في طبعه سمات عصابية . وتظهر هذه السمات أيضاً ، في بعض قصصه (كالقصة ١٧) وما عدا ذلك فهناك أفكار تخيلية : فالعالم الخارجي خصم له أو أنه يتعمد اشقاءه .

التعبير ومستوى القصص يسمحان بأن نفترض ، فضلاً عن ذلك ، بأن المفحوص من « وسط بورجوازي » ، ومع ذلك فاننا نصادف ، في عدة أمكنة ، دلائل تبين لنا أنه قد انفصل عن هذا الوسط انفصالاً ، ليس خارجياً فقط ، أي ليس بطريقة حياته البروليتارية فقط بل داخلياً أيضاً وذلك بهجره الآراء المتعلقة بالأخلاق « البورجوازية » . والصراع بين الرأيين يتجلى أيضاً ، في شخصه ، في مناسبات عديدة ، بالنسبة للعلاقات بالأفراد الذين هم أكبر منه والذين هم أكثر عدداً من الجيل الفتي .

وهذا يقودنا إلى الكلام على موقفه من أهله . إذ ينبغي أن نتصور ، بالاستناد

إلى القصص ، أن علاقاته مع أهله لم تكن حسنة ، وأنه لا يمتلك العاطفة والحنو والشعور بالأمن ، وأنه ، بالتالي ، كان يشعر بالوحدة والإهمال . . . ومع ذلك فيبدو لنا أن علاقاته مع أمه كانت أفضل من علاقاته مع أبيه . ويبدو أن أمه قد ساعدته ، في عدة مناسبات، من الناحية المادية، ولكن يبدو أنها حرمته الحب والفهم. لقد ضحت من أجله، بدون شك، ولكنها ما لبثت أن انفصلت عنه في فترة من الفترات . ويبدو أن الأهل ، والأم بصورة خاصة ، قد عارضوا ، في مناسبات كثيرة ، رغباته في الميدان المهني وفي ميدان الزواج على حد سواء . فانفصل عن أهله ، كما يقول بطله في مختلف القصص ، وتخلص من سلطتهم ورغب في أن يحيى حياة مستقلة . وقد حرمه أهله أن يكون سعيداً .

ومن وجهة النظر المادية يبدو أنه غير سعيد أيضاً . فهو يتكلم عن الفن الصناعي والاختراع الذي لم يتمكن من الاستفادة منه بل استثمره الآخرون وعن العمل الراتب الأحمق المرهق الذي لا يستطيع التخلص منه . ويبدو أنه تعرض لصعوبات مادية وللبطالة والحاجة ولكنه تغلب عليها فيما بعد .

ويبدو أن الجنس وحده هو الذي يشغل الحيز المهم في حياته . لا نستطيع أن نقول ، بالاستناد إلى قصصه ، فيما إذا كان متزوجاً أو لا ، ولكن بيته كان سيكون شقياً فيما لو كان متزوجاً . ويبدو أيضاً أنه قد تحاشى الزواج خوف الفشل فيه .، إنه يرغب في ألّا يرتبط بأحد، وهذا واضح في إحدى قصصه . ويبدو أنه كانت له علاقات فوق الزوجية دون أن يجد فيها السعادة الكاملة بل الإشباع الجنسي الموقت فقط . أما الحب الحقيقي فيلعب دوراً أقل أهمية إذا ما قورن بالأمور الجنسية . فلقد فشل فيه في كل مرة . وموقف النساء إزاءه قليل النجاح . إنهن يستثمرنه ومع ذلك نجده راضياً . وهن يحكن له المؤامرات ثم يسعين للتخلص منه فيما بعد . الغيرة تلعب دوراً هاماً في علاقاته . فهو قاس وإن كانت قسوته ليست فعلية بل هي انحدار موقت لمختلف أنواع الكف وخاصة حين يشعر بأنه مخدوع أو بأنه قد عومل معاملة سيئة ظالمة . ورجال آخرون يظهرون ويقدمون له امرأة يعتقد أنه امتلكها . وفي علاقاته الجنسية يبدي مشاعر الإثم . وفي إحدى قصصه يمكن أن نفترض وجود تعلق عميق مع إحدى النساء ، وهو في هذه الحال زواج أو ارتباط أصبحا مستحيلين مع نساء أخريات . ويمكن أن يكون أهله قد تدخلوا هنا لكي يمنعوه من ذلك .

إنه فريسة اضطراب لا ينتهي وقلق دائم من عدم الثقة والخوف من الارتباط

والعقاب والشعور بالإثم ، ومع ذلك تبدو عنده نزعة للتخلص من ذلك والتهرب من مسؤولياته . إنه يبحث طائعاً عن الوفاق ، وعنده انطباع بأن الخروج من بعض المواقف سيكون أفضل مما فكر فيه في بداية الأمر ، على الرغم من كل شي ، كما أن عنده انطباعاً بأنه سيتخلص من العقاب وأن أعماله ستكون لها نتائج أقل خطورة مما كان يخشاه في البدء .

إنه قليل الاتصال بالآخرين . ويبدو أنه يتعامل واياهم بكثير من الحذر وأنه يشعر بأنهم يستثمرونه ، وربما وجد في مثل هذه المواقف في حياته فعلاً . وفي إحدى قصصه كان رئيس البطل ، الذي يتقمص شخصيته ، خصماً له وشى به لخطأ طفيف ارتكبه ، والحاكم لم يفهم وضعه ، وفي قصة أخرى استفاد الأطباء من البطل مادياً وخدعه المشعوذ . كل هذه العناصر دلائل توضح طبيعة علاقات صاحبنا بالمجتمع . وفيما عدا السمات التي أشرنا إليها، يبدو أننا نجد ، في القصص بعض الدلائل التي تشير إلى وجود النزعة الجنسية المثلية ، حين يشعر البطل الموجود في أحد الملاجيء ، أن أحد رؤسائه يعذبه فشتم زوجه ، وبعض الآراء النفسانية ستكون دفاعاً عن النزعات الجنسية المثلية ، وكذلك الأمر بالنسبة لقصة المؤامرة حيث تعرف الرجل العجوز على خطأ ارتكبه الفتى ، وقصة المشعوذ الذي يبدو أنه يعبر كذلك عن نزعات جنسية مثلية . ومع ذلك فمن الصعب الحكم فيما إذا كان صاحبنا يشعر بهذه النزعات أو لا .

يبدو كذلك أنه توجد ، في هذه الحالة ، نزعات اجرامية أيضاً ، عدوانية أو سادية ، ومن الصعب أن نقول إن صاحبنا قد قام فعلاً بسرقات أو سوء استعمال الثقة ، أو إذا كانت هذه النزعات لم تتحقق . ومع ذلك فهناك مجال للإفتراض بوجود امنيات موت ازاء بعض النساء اللواتي خنّه أو استثمرنه أو ازاء الخصوم ، وبوجود الرغبة في الانتحار أحياناً . ومن الصعب كذلك معرفة شعور هؤلاء أو عدم شعورهم .

هذا المفحوص يشعر ، بدون شك ، بأنه وحيد في الحياة ، وهذه الوحدة شاقة بالنسبة إليه . ولكنه لا يعرف كيف يفر منها ، ولا يرى أي مخرج أو حل مادي لموقفه الصعب ومشكلاته المضطربة . إنه شقي ويعتبر نفسه فاشلاً في الحياة . ويقبل هذا الواقع قبولاً سلبياً ، ويبدو قليل الرغبة في محاولة تغيير وضعه . لا نجد عنده أثراً

للتمرد بل بالعكس نجد عنده نوعاً من القدرية . لا دليل لوجود عاطفة دينية عنده . يرغب في الاستقرار . لا نجد في قصصه مشاريع أو أفكاراً تتعلق بالمستقبل . وفضلاً عن ذلك فاننا نشعر بأن المفحوص تعس منقبض الصدر ، ولكن ليس دائماً ، لأنه ، من وقت لآخر ، يلاحظ أن وضعه كان يمكن أن يزداد سوءاً أيضاً .

لنوقف الآن محاولتنا في وصف شخصية المفحوص بالاستناد على المادة التي قدمتها لنا قصصه ، ولنقارن ذلك بتاريخ حياته .

إن هذا الرجل قد تجاوز الخمسين من عمره ولكنه يبدو ، في الواقع ، أكبر سناً وشيخاً قد هاجمه الكبر مبكراً . طويل ، ضعيف الجسم مفتول العضل ، يشكو ضعف البصر ، ويشعر بالتعب والإجهاد ، ولكنه لا يشكو اضطراباً معيناً .

ولد في روسيا . كان والده قائداً كبيراً في جيش القيصر يحب الشرب كثيراً ويقسو على أفراد أسرته وأتباعه حين يكون ثملاً . فلم يحبه الفلاحون والملاكون المجاورون . اشترك هذا الوالد في حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وقتل في الثورة . إلا أن أسرته لم تعرف ظروف قتله . فالبيت إذن كان في شقاء ، ليس فقط لأن الأب كان يشرب بل لأنه كان يلاحق كل نساء أتباعه ويصرف كثيراً من المال عليهن . والأم كانت تتعذب كثيراً من سلوك زوجها و « طبعه » ولكن ربما كانت هي المسؤولة عن ذلك ، لأنها باردة العاطفة جافة متعالية كثيرة الشكوى مهملة لأولادها وبيتها . ولدت من هذا الزواج أربعة أولاد ماتت منهم صبية في سن مبكرة وقتل شاب أيضاً في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . ويقول لنا المفحوص إنه لم يكن محبوباً آنذاك من أمه . ولا تزال إحدى أخواته ، وهي أصغر منه ، على قيد الحياة ، ولكنها ، كما رأينا ، لم تتزوج وهي تعمل عند عائلة روسية .

وفي أثناء الثورة اضطرت الأم إلى الفرار يرافقها ولداها . وقدموا إلى فرنسا . وقد أنهى هو نفسه دراسته في روسيا وكان يستعد للالتحاق بالجامعة . وكان يرغب في أن يكون مهندساً معتقداً بأنه يملك المواهب الضرورية لهذه المهنة . وأمه التي كانت تعبد المال ، كما رأينا ، كانت قد نجحت ، بوسائلها الخاصة ، من جهة ، وبمساعدة أشخاص آخرين من جهة ثانية ، في نقل الحلي معها ، وباعت قسماً منها لصرفها على حياة متواضعة لها ولولديها . وبرزت ، بعد ذلك ، ضرورة اختيار مهنة لولديها ، وله هو بصورة خاصة ، لأن أمه كانت من النوع الذي لا يقبل أبداً بتشغيل البنت .

كان ، في بداية الأمر ، يفضل عملاً فنياً صناعياً ولكنها عارضت لأسباب مادية . وقالت له إنها قامت بكثير من التضحيات من أجله حتى الآن وإنها تكبدت نفقات تربية أولادها لأن أباهم لم يهتم بهم وما عليه الآن إلا أن يربح بأسرع ما يمكن وبأحسن ما يمكن . ولم تكن أخته على وفاق مع أمها كذلك ، وبعد مشاهد خصام عديدة قررت هجر البيت والعمل . وقد دعمت هذا القرار حين تعرفت ، في باريس ، على رجل كونت معه علاقة مما خلق سبباً جديداً للخلاف مع الأم التي كانت تشكو أمرّ الشكوى من عقوق ولديها . وكان صاحبنا يرى أخته كثيراً بعد انتقالها إلى بيتها ولكنه لم يكن راضياً عن « حياتها المتحررة جداً » وكان يعرف المكان الذي تعمل فيه أخته لكنه ما لبث أن فقد عنوانها . وعاد إلى علاقته معها حين انفصل عن آرائه البورجوازية . ومع ذلك فقد كانا يتباعدان لأنهما لم يكونان متفاهمين أيضاً . وماتت الأم بسرطان الثدي بعد ست سنوات أو سبع من تاريخ وصولها إلى فرنسا . فاقتسم الأخ والأخت فضلات ثروتها مما خلق خلافاً بينهما . انتقل من مسكنه ليقطن في شقة أصغر وباع حاجاته الزائدة . وهو لا يزال حتى الآن يقطن في تلك الشقة .

اشتغل ، في بادىء الأمر ، في أحد المكاتب ، عند جماعة من الروس ، ولكن العمل لم يرق له . فبدأ يهتم بالمسائل الصناعية ، وكانت عنده ، كما رأينا « أفكار » لم يكن يستطيع تحقيقها بسبب جهله للمعارف الضرورية النظرية أو العملية . فقرر العمل في مصنع للماكنات لكي يحصل على هذه المعارف النظرية والعملية : ووجد عملاً لكنه لم يرضه وأخذ يشكو من أنه لا يستطيع أن يتعلم منه شيئاً وأنه يستغل فيه . لم يكن العمال الآخرون يحبونه وخاصة حين عرفوا أصله[1] ومنذ السنوات الأولى لوصوله إلى باريس تعرف على فتاة وأحبها كثيراً وأراد أن يتزوج منها . لكنهما لم يكونا يملكان الوسائل الضرورية ، كما أن أمه رفضت مساعدتهما على الرغم من أنه كان يعتقد بأن له الحق بقسم من ثروتها . وحصلت بينه وبين أمه منازعات لكنه لم يجرؤ على هجر البيت الذي كان يقدم له المأوى والأمن على الرغم من كل شيء . وأخذت أمه تشكو ، من جديد ، من جحود ولديها وألحت على الواجب المترتب عليه بعد كل التضحيات التي قامت بها من أجله . فانفصل عن الفتاة .

---

(١) يبدو أنه كان من أصل يهودي.

وبعد موت أمه ترك عمله وأخـذ يسعى في تحسين نفسـه في ميادين الصنـاعة . اشـترى الكتب وقرأ وحسب ورسم دون نجـاح . لم يكن يريـد الـتردد عـلى مـدرسـة اعتقاداً منه أنه كبير في السن . تعرف على أناس وعدوه بـالمساعـدة لكنهم استثمروه . وأخيـراً أهمل مشـاريعه واشـترى سيارة بقسم من ثـروته البـاقيـة ، لكي يكسب لقمتـه كسائق في سيارة أجرة . وفي أثناء ذلـك تعرف عـلى كثير من النسـاء وحاول أن يـأخذ واحدة منهن إلى بيته معه . كانت أكبر منه سناً بيد أنه لاحظ أنها كانت تلتقي بصـديق لها في بيته في أثناء غيابه فهجرها بعد أن سرقت منه بعض ماله وأثاثه. وأراد أن يبتعد بعد ذلك عن النساء لكنه لم يستطع لأنه كان يشعر بانجذاب نحوهن ، وخاصة اولئك اللواتي يستثمرنه ويسببن له المتاعب . وعلى هذا النحـو ارتبط ارتباطـاً بعيد المـدى مع امرأة روسية سكنت معه واهتمت به . ولكن رجلاً آخر ظهر فجأة في حياتها أيضـاً . وكان سعيداً في الوحدة هذه المرة لأنه لم يكن يشعر نحوها بعاطفة . كـانت مهنته ، في البدء ، تسمح له بأن يعيش عيشـة هادئـة لكنها مـا لبثت أن أصبحت تبعث في نفسه الملل فأخذ يهجر العمل ويقبع في بيته عدة أيام يقتـل وقته في الاستـماع إلى الراديـو أو العزف على الكمان . وقد زعم أنه يحب الموسيقى كثيراً لكنه لا يستطيع التـدرب عليها لأنه يخشى كل ذلك .

وحين أصبح عمـره ثلاثـين سنة تعـرف على امـرأة تعلق بها كثيـراً لكنها كـانت شعبية من العامة . حاول التخلص منها ولكنه لم ينجح فكانت تعـود إليه دائـماً . كان لها أخ « وهو شخص سيء » ربما كان يعيش على السرقة . أراد الأخ ذات يـوم أن يأتي معه ويرافقه في سيارتـه لكنه رفض وحـاولت المرأة اقنـاعه في أن يشـترك مع أخيهـا في عمله الذي يدر الربح الوفير مما يساعده على معيشـة أفضل من المعيشـة التي يؤمنها لـه عمله الحالي فرفض ذلك الاقتراح . ثم طلب إليه ذلك الرجل أن يحتفظ عنـده ببعض الحاجات فرفض أيضاً . وفي ذات يـوم استقل أخـو المرأة السيـارة ولم يعرف ذلـك إلا بعد فترة من الـزمن . وخشي أن يخلق له مشكـلات مع رجـل الشرطة لكنـه لم يجـرؤ عـلى مناقشتـه في الأمر كـما أنـه لم يجـرؤ عـلى الانفصـال عن المـرأة . إلا أنها هي اتي انفصلت عنه أخيراً بعد أن رأته يرفض كل عروضها . وأخيـراً أصبح يتسـاءل فيما إذا كان قد تصرف تصرفاً سيئاً أحمق . لكنه عرف ، شيئـاً فشيئاً ، أن تلك المـرأة لم تكن لتقبل بالعيش معه تلك المدة الطويلة لو لم تكن تأمل أن تصبـح السيارة مفيـدة لأخيها (بـل انـه يضيف الآن أن ذلـك الـرجـل ربمـا لم يكن أخـاهـا) . إنها كـانت تسعى

لاستغلاله فقط . واستنتج من كل ذلك أن من الأفضل له أن يهجر هـذه المهنة ويبيع السيارة ويربح حياته بطريقة أخرى .

وبعد البحث الطويل استطاع أن يجـد وظيفة حـارس ليلي في شركـة صناعيـة ، ورأى أن هذا العمل يلائمه لأنه ليس فيه أي مجهود أو معيشة مـع الآخرين . وسمـح له هذا العمل أن يستريح ويقرأ في النهار . وظل على تلك الحال حتى بداية الحـرب . وطيلة الحرب كان يخشى الألمان . وهجر باريس مثل غيره من الناس ثم عاد إليها بعـد مدة ليشتغل في أحد المعامل . وبعد التحـرير أخـذ يفتش عن عمل حـارس ليلي حتى وجده لكنه لم يسترح فيه . عاش وحيداً ما عدا بعض العـلاقات العـرضية مـع بعض النساء التي سببت له شيئاً من السأم . وبدأ يشعر بالتعاسة والقلق في وحدتـه وخاصـة حين يفكر بأن حياته ليست بذات قيمة وبأنه لا يرى لها مخرجاً .

هذا ما استطاع الرجل أن يسرده علينا من حياته . ويبدو لنا أنه صادق وراغب في سرد الحقيقة . ولم نستطع اجراء تحليل أكـثر تفصيلاً والقيـام باستجـواب مستوحى من مـادة قصصه لأسبـاب خارجـة عن نطاق ارادتنـا . وإذا قارنـا الآن قصـة حيـاتـه بالانطباع الذي تكوّن عندنا نتيجة لتحليل القصص التي سردها علينا فاننـا نجد شيئـاً من التـلازم بينهما . ويجب أن نـلاحظ أن أفكاراً كثـيرة عن الزواج مستـوحاة من بيت أهله وهي تبين إلى أي مدى كان يخاف أن يمر بمثل هـذه التجربـة . وحين كـان شابـاً كان يود الزواج من امرأة قال عنها إنها رصينة يمكن الاعتماد عليهـا ، لكنه ، في ذلـك الوقت ، لم يكن يستطيع التصرف ضد ارادة أمـه لأسباب مـادية من جهـة ولأنه كـان يخاف الزواج من جهة ثانيـة . وعلى نقيض ذلـك كان يشعـر بأنـه ينجذب نحـو نساء عديدات لا يستطيع الزواج بهن وكنّ يستثمرنه .

من المحتمل أنه كـان يتألم من وضعـه . لكنه انفعـالي ترك الآخـرين يسيطرون عليه بكل سهولة . وكان يجد في ذلك شيئاً من العـزاء النفسي ، ولكنه ، مـع ذلك ، كان يملك الرغبة في الثورة ضد ذلك الوضع دون أن ينجـح . وحين سـألناه عن هـذا الموضوع قال لنا إنه لم يكن قط قاسياً ولم يضرب أبداً امـرأة ، ولكنه كـان يرغب دائـماً في « فعل ذلك » . وفي قصصه نجد القسـوة ، في عدة أمكنـة ، كأمـر واقع فعـلاً أي « كتحقيق رغبة » . فنجد هنا أنه ليس من السهـل دائماً أن نميـز بين الـرغبة البسيـطة والنزعة من جهة وبين ما مضى في ميدان العمل المنجز من جهة ثانية وذلك بالاستعانـة بالقصص . ولكنا لاحـظنا أن الأمـر لا يتعلق هنا بقسـوة حقيقية بـل بانحـلال موقت

للكبت الذي لم يترجمه المفحوص أبداً إلى نشاط . فالعدوان والانتقام والقسوة ، التي هي موضوع أحلام بعض الرجال ، لم تتحقق أبداً عنده .

وعدم الرضى المهني يعبر عنه المفحوص تعبيراً واضحاً في قصصه وكذلك الأمر بالنسبة للسعي في سبيل الحصول على عمل هام . فقد أشار ، في عدة أمكنة ، إلى الميدان الصناعي والاختراعات . . . الخ . . . وهنا أيضاً يمكن أن تعتبر الرغائب محققة في إحدى القصص حين يقول إن البطل قد وجد العزاء في العمل عن مظالم الحياة . وفي القصة الأخيرة نجد رجلاً بائساً متقززاً من عمله الذي لا يستطيع أن يتخلص منه . وانطباع الوحدة ، التي يشعر بها غالباً ، يتجلى أيضاً في هذه القصة . وحين يضع هنا بدلاً من شقته الصغيرة غرفة في فندق ، إنما يفعل ذلك ، بدون أدنى ريب ، لكي يبين ، بكل وضوح ، عزلته ويعبر عن خوفه من أن يرغم على ترك بيته ليعيش في فندق .

ولقد أشرنا إلى احتمال وجود النزعات الجنسية المثلية التي لم تظهر ظهوراً صريحاً في حياته . لم يعش أبداً مع رجال ، ولم يكون علاقات معهم في الوقت الذي كان يشعر فيه بانجذاب نحو الرجال القساة ويغبطهم ويخشاهم في آن واحد . وقد كان عنده خوف واضح تماماً من « أخي » صديقته التي كانت تريد دفعه إلى ارتكاب أعمال حمقاء. ولا نستطيع أن نقدم تفاصيل عن نزعاته الجنسية المثلية اللاشعورية بسبب نقص مادتنا لأن هذه النزعات لا يمكن الكشف عنها إلا بتحليل عميق . لكن خضوعه لنموذج من النساء القويات وفقدان التمرد عنده وانفعاليته و « عذوبته » يبدو أنها تكشف عن هذه النزعات .

وإذا كانت نزعات القسوة قد أحبطت فاننا نجد الأمر ذاته بالنسبة لنزعات أخرى مثل نزعات الحياة على ثمرات السرقة . وبمعنى آخر إنه كان يحسد أخا صديقته الذي لم يكن يشتغل ولكنه ، مع ذلك ، لا ينقصه المال أبداً ، وهو ربما حاول الإشتراك معه وإن لم يعترف بذلك . وقد خشي العقاب ، وخاصة حين استخدم ذلك الرجل سيارته . والواقع أن بيعه سيارته لم يكن منطقياً إلا إذا عللنا ذلك بخوفه من الوقوع ضحية لإغراء ظروف أخرى ، وهذا العمل يمكن اعتباره نقداً ذاتياً . ومع ذلك فانه يبدو لنا نتيجة لخوفه اللاشعوري من الخطر . والقضية هنا يمكن اعتبارها « جنوحاً » ليس بذي أهمية كبرى . ولكن الحاكم لا يفهم ذلك ويعاقبه (كما رأينا في

القصة ١٤) . وربما كان ذلك أيضاً اشارة إلى « الحاكم الداخلي » الذي يرد ويعاقب فكرة هذا العمل والرغبة فيه . وإنه واثق ، على كل حال ، من أنه يحس بالذنب احساساً واضحاً .

وشعوره بأن « الأوان قد فات » الذي يظهر في عدة مناسبات في قصصه يستجيب إلى تجارب قام بها عدة مرات . فقد بحث ، في الماضي ، عن عمل فني صناعي ورغب في الاستعداد له بالدراسة وحيداً ما دام وقت تردده على المدرسة قد فات بعد أن كبر . وفي عدة مناسبات شعر بأنه عاجز عن أن يبدأ من جديد بتعلم أي شيء لذا فهو يشعر ، في الوقت الحاضر ، شعوراً واضحاً بأن انطباع الفشل يسيطر عليه أكثر من أي وقت مضى . وقد أظهر هذه العاطفة في كل مرة كانت له فيها علاقة جديدة مع النساء حتى حين كان يعتقد بأنه سيكون سعيداً في آخر مرة ، إلا أنه كان يحس أن الوقت قد فاته أيضاً ولن يتمكن من الحصول على المسرات . وأنه لم ينجح أبداً في تكوين علاقات انسانية مع النساء اللواتي تعرف عليهن ولم تتعلق به أية واحدة . كما أنه لم يكن له أصدقاء وصديقات أبداً .

وإذا حاولنا معرفة أسباب فشل هذا الرجل وجدنا أن من الصعب الحكم عليه من مجرد الاطلاع على قصصه التي سردها علينا . إنه ليس محروماً من الذكاء ، فقد حصل على ثقافة ممتازة ، في شبابه ، وأبدى ميلاً نحو الموسيقى والأدب . كما أنه على شيء من الأناقة والرفاهية على الرغم من الصعوبات المالية الحاضرة. ومع ذلك فنحن نعتقد أن في الإمكان إعطاء بعض الأفكار عن هذا المفحوص فعلاقاته العائلية يبدو أنها تلعب دوراً هاماً جداً هنا لأنه لم يعرف أبداً حياة عائلية نظامية ومتناسقة. فبيت أهله كان تعساً ، وحين كان صغيراً شاهد كثيراً من الخلافات في البيت ولاحظ أن أباه كان سكيراً فظاً . وسمع أن له علاقات مع نساء أخريات فحكم عليه حكماً قاسياً ، لكنه الآن يحاول أن يجد له عذراً في طباع زوجته . وأمه لم تهتم أبداً بأولادها . وهو لم يجد المودة في البيت أبداً . وأحس بعداء الجيران لعائلته وخاصة في وقت الثورة . وحين كان طفلاً لم يستطع الارتباط بانسان . وإننا نعرف الآن أهمية هذا الأمر بالنسبة للتطور الانفعالي عند الطفل . كان معادياً لأبيه بشكل خاص ، أما عداوته لأمه فأقل من ذلك ، ويمكن ملاحظة ذلك من القصص ، وموقفه السلبي ازاءها يبدو أنه قد تركز فيها بعد . يصف أمه بأنها أنانية ، عاجزة عن الحب ، غير مهتمة ، مكررة أمام

طفليها دائماً قيمة ما فعلته من أجلهما ، ورافضة ، حين يحين الوقت المناسب ، أن تتحمل النفقات الضرورية من أجل تكوين ابنها المهني ، وهو لا يمكن أن يتعلم مهنة يهتم بها ويحكم بأنها مناسبة له لهذا السبب . وعلى العكس من ذلك ، كانت تريد ، بسبب سيطرة الأوهام البورجوازية عليها ومحاولاتها في انقاذ المظاهر ، أن تبقي ابنتها في البيت ، وقد عارضت ، في البدء ، في أن تعمل هذه البنت . وهذه الأم تكون أيضاً السبب في فشل زواج ابنها ، لأسباب مادية من جهة ، وللغيرة من جهة ثانية ، كما يبدو . كانت تريد ألا يتزوج ابنها لكي يظل معها . وهو يصف أمه أيضاً بأنها امرأة تستطيع أن تعيش بدون رجل . لم يكن هناك شخص يستطيع أن يجد المعونة عنده . لم يبال بموت أمه أما موت أبيه فقد أثر فيه تأثيراً ضعيفاً .

تلعب علاقاته مع أخته دوراً في حياته أيضاً . فمنذ أن كان طفلاً كان متعلقاً بها . هذه الفتاة تهجر البيت لتعيش مع عشيقها فيشعر بأنه قد جرح في كبريائه « البورجوازية » ، وجرحت عنده مشاعر أخرى ، بدون شك ، فانفصل عنها ، أما تقاربهما فيما بعد فلم يكن إلا عرضياً لأنه لم يلبث أن انفصم بسبب موضوع الميراث . وهو يجهل كل شيء عن حياة أخته في الوقت الحاضر .

كان في هلع عظيم طيلة الثورة . كان يعرف أن لعائلته عدداً قليلاً من الأصدقاء وأنها مكروهة . بيد أنهم نجحوا أخيراً في الفرار وفي انقاذ بعض الحلي من ثروتهم ، فظلوا في حمى من الشقاء . أسهم في التهيئة للفرار بل أنه كان يرغب فيه وإن كان ذلك يعني ، بالنسبة إليه ، الانقطاع التام عن حياته السالفة . ومن المدهش أننا لا نجد في قصصه أية اشارة لهذه الأحداث . فلم نجد فيها تفصيلات حول الهجرة وحول ضرورة التلاؤم مع الظروف الجديدة والهناءة الماضية التي عرفتها أسرته التي ما لبثت أن فقدت ثورتها . بل الأمر على عكس ذلك فنحن نجد الأولاد ، في هذه القصص ، يفرون من أهلهم دائماً ، وأن لديهم مهناً أفضل من مهن ذويهم ، وأنهم يشعرون ازاءهم بالرفعة . والحقيقة أنه تجاوز آراء أمه ، وكذلك الأمر بالنسبة لأخته التي تجاوزت آراء أمها أيضاً ، تلك الأخت التي جعلها تتقمص شخصية الفتاة في مشهد الريف (اللوحة ٢) ولكنها لا تحاول أن ترتفع فوق مستواها الاجتماعي . وإن تكوينه المهني أيضاً ذو علاقة بهجرته أيضاً ، فلو ظل في روسيا لأستطاع اتمام الدراسة ولأصبح مهندساً . وعلى كل حال إنه يأسف لهذه الفرصة . إنه يشعر بأنه لا أصل له في هذا الوسط الذي يعيش فيه ، وبأنه ليس مرتاحاً فيه . ويعبر عن ذلك

بآرائه حول الوحدة ورتابة العمل والاستثمار وعدم الاستقرار في مركزه . ونعتقد أنه يمكن ارجاع فشله إلى خبرات طفولته التي تفسر فشله في ميدان العمل وفي ميدان العلاقات الإنسانية . من المؤكد أن العالم الخارجي يبدو معادياً له ولكنه ، في الوقت نفسه ، فريسة للشعور بالذنب ، وهو يحكم على نفسه بأنه مسؤول جزئياً عن فشله في الحياة . وهو يقبل بهذا الفشل قبولاً سلبياً دون أن يتمرد أو يتحرك ، ويقول لنفسه غالباً إن الوقت قد فات لكي يعالج الأمر ، ويعزي نفسه بفكرة أن الأمور كان يمكن أن تزداد سوءاً .

المثال الثاني

يتعلق هذا المثال بطفل عمره اثنتا عشرة سنة أعدم أبوه رمياً بالرصاص من قبل رجال الميليشيا . أمه على قيد الحياة ، تعيش من عملها مستخدمة في أحد المكاتب . له أخت أكبر منه وأخت وأخ أصغر منه . وسنعطي ، فيما بعد ، بعض التفصيلات المتعلقة به . وإليكم الآن القصص التي سردها حول الصور :

القصة (١) - « ولد ينظر إلى كمانه بعد أن كسره . وكان أهله قد أصلحوا الكمان . إلا أنه يريد كسره من جديد . وهنا تنتهي القصة » .

القصة (٢) - « امرأة غنية جداً . تذهب إلى الحقل . وترى الرجال يحرثون . ولكنها لا تعمل شيئاً . إنها تريد أن تشتغل بالفلاحة على الرغم من أنها تستطيع شراء كل شيء بدون أن تعمل » .

القصة (٣) - « هذا ولد يبكي . لقد تاه في أحد الأمكنة . لأنه لم يستمع لكلمات أهله . لقد منعوه من الابتعاد عن البيت . لكنه ذهب وحيداً فتاه . إنه يبكي واقفاً أمام مقعد . يبحث عنه أهله . يجده سيد ويسأله عما به فيقول له إنه ضائع عن أهله . فيأخذه السيد إليهم . إنه لن يترك البيت أبداً » .

القصة (٤) - « هذا رجل . لقد شتمت زوجه وهو يريد الانتقام لها . إنه يريد ملاحقة ذاك الذي شتم امرأته . ولكن زوجه تتشبث به . بيد أنه ينجح في الإفلات منها ويذهب للانتقام . ثم يوقفه رجال الشرطة فيشرح لهم الأمر فيتركونه هادئاً » .

القصة (٥) - « هذا ولد صغير يلعب مع أمه . ثم يختفي . وتبحث عنه أمه .

وفي أثناء هذا الوقت لم تهيء الطعام . وهو يعرف أن أباه لن يرجع إلى البيت في هذا المساء . تعثر عليه أمه ولكن بعد أن فات أوان إعداد الطعام . فتقول له أمه أنه لن يتعشى هذا المساء وعليه أن يذهب للنوم . لن يعود الطفل لمثل هذا اللعب لأنه سيظل جائعاً » .

القصة (BM ٦) ـ « هذا ولد يختلف مع أمه وأمه تتعجب من سلوكه . إنها تنظر من النافذة . سيتزوج الولد قريباً وهو يقول لنفسه إن من الأفضل ألاّ يحزن أمه . فيهدأ ويعانقها بحنان » .

القصة (BM ٧) ـ « هذا أب يكشف المستقبل لابنه ويقول له إن من واجب المرء أن يغذي أبناءه وأن يشتغل جيداً من أجل امرأته وأولاده . وما عليه إلا أن يفعل ذلك في المستقبل حتى يعيش سعيداً مع زوجه وأولاده » .

القصة (BM ٨) ـ « ولد أنقذه الرجل الذي أجريت له عملية . يفكر الولد كيف يمكن أن ينقذ الرجل . يقول إن هذا الرجل بحاجة إلى نقل الدم . والولد يقول إن الرجل قد أنقذ حياته فمن الواجب أن يعطيه من دمه . ويشفي الرجل . الولد ليست له عائلة . يأخذه الرجل ويعيش الولد سعيداً معه » .

القصة (BM ٩) ـ « هؤلاء جماعة من المتشردين والسكارى ينامون في الحقول . وكان هناك لصوص مارون فسلبوهم . وقال هؤلاء إنهم لن يعودوا إلى الشرب أبداً » .

القصة (١٠) ـ « هذا ولد محبوب جداً من أبيه الذي يقبله الآن . يقول الولد في نفسه إن أباه يحبه جيداً وإن عليه أن يحبه أيضاً . سيعمل ويربح كثيراً من المال ليقدمه لأبيه وبذلك يعيشان سوية سعيدين » .

المجموعة الثانية

القصة (١١) ـ « تجري القصة في أعماق الماء . يصل الصيادون ويستعدون للصيد . ولكن السمك يلمحهم فيختفي في الأعماق . يحاول الصيادون التصرف قدر امكانهم إلا أنهم يعجزون » .

القصة (M ١٢) ـ « هذا رجل يتألم . ولكن يوجد في القرية رجل يقوم

بالمعجزات . يبحث عنه . إنه يقوم بحركات بيديه . ويشفيه . لقد كان ميتاً تقريباً ثم أطلق على هذا الذي كان يعنى به اسم الطبيب الكبير » .

القصة (BG ١٢) - « هذا منظر يجري فيه نهر ، وفي منعرجات النهر يوجد زورق . هذا الزورق ليس ثابتاً ، يوجد شيء يتحرك . ترى ما هو ؟ ثم نلمح فجأة صياداً تحته . ينزع رجل ثيابه ويقذف بنفسه إلى الماء لكي ينقذه . فينقذه . ويحترمه كل الناس » .

القصة (B ١٣) - « هذا ولد في إحدى الدول . إنه يحلم بالقيام بأمر عظيم ساحر . يوفر كثيراً من المال . ويجلب بعض الجرارات الزراعية والعمال ويبدأ الجميع ببناء مستعمرة لهم . ثم يتوصلون إلى ذلك . فيحترم احتراماً كبيراً » .

القصة (١٤) - « هذا رجل ينظر إلى النجوم . يقول لنفسه لو أننا نستطيع اكتشاف ما في القمر مع شخص آخر . استطاع أن يأخذ بعض الرواسم (المخططات) ودرسها لكي يرى ماذا يوجد على القمر . إنه رجل عظيم » .

القصة (١٥) - « هذه مقبرة . يوجد رجل يصلي من أجل اولئك الذين دفنوا فيها . إنه يقول لنفسه لو أن هؤلاء جميعاً يبعثون ويذهبون إلى الحرب فانهم سيربحون الحرب . إنه يعود كل يوم ويصلي . وحدثت المعجزة . كان أمام قبر حين فتح هذا القبر ورأى الميت الذي قال له : سنذهب لنحارب في بلادنا . ثم خرجوا جميعاً من القبور . وذهبوا إلى بلادهم . وحاربوا وانتصروا » .

القصة (١٦ ـ اللوحة البيضاء ـ) - « ولد نائم . جاءه اللصوص وسرقوا البيت . وكان هناك شاب رآهم قادمين فتبعهم لكي يرى أين يذهبون . ثم اتصل بالشرطة . وجاء رجال الشرطة في سيارة شحن . وحدثت بينهم وبين اللصوص معركة . قتل رجال الشرطة اثنين وأوقفوا الباقين . استدعي الشاب ، وكان معروفاً جيداً . لقد فعل خيراً . وكان الولد خائفاً لكنه الآن سعيد لأنهم لم يفعلوا به شيئاً . كم كان خائفاً » .

القصة (BM ١٧) - « هذا عمل رجال السفن . امرأة تراقبهم وهي على الجسر . تقول : أوه . . . ما أقسى عمل هؤلاء البحارة الفقراء . عليهم أن يفرغوا السفن وينقلوا الفحم . لو أن جميع الرجال اتحدوا لشقت الطرق وبنيت الجسور

الكبيرة ولتمكن المرء من أخذ سيارة شحن إلى السفينة ـ وذلك يسهل العمل على هؤلاء الرجال » .

القصة (BM ١٨) ـ « هذا قاطع طريق يخيف كل الناس . إنه يسرق ويقتل . شاب في الثامنة عشرة من عمره اقسم أنه سيأتي به حياً أو ميتاً ، وذهب لمطاردته . وكان لهذا الرجل عصابة . قدم الشرطة للشاب فرقة . وفي ذات يوم رأى رجلاً يعذب امرأة ويسرقها . فرّ قاطع الطريق . فتبعه . لم يره الرجل . ولحقه حتى النهاية . وكان اللصوص مجتمعين ليقتسموا الغنيمة . ووصل رجال الشرطة . على الصورة نشاهد الشاب وهو يوقف اللصوص » .

القصة (١٩) ـ هذا وسط البحر . توجد سفينة . إنها سفينة نوح . والبحر فيه طوفان . نرى رجالاً يائسين يقولون : لن نجد البر أبداً . الحيوانات يئست أيضاً . لم يبق عندها طعام كاف . أرسلوا حمامة وانتظروها أياماً بكاملها . وعادت الحمامة وحدها وهي تحمل ورقة بمنقارها . قالوا : إن الأرض قريبة . وذهبوا . وبعد عدة أيام بدأت الحيوانات تعوي . وأسرع فوج نحو ظهر السفينة . وصرخ : يا للمعجزة . هذه هي الأرض » .

القصة (٢٠) ـ « هذا رجل كان زميلاً لقاطع طريق . أعطى موعداً لأفراد العصابة هنا . وكان رجال الشرطة يبحثون عنهم . لمحه أحدهم واقتاده إلى المركز . ثم تنكر في زي لص . ووجد كثيراً من المال في جيبه . ووصل لص آخر وطلب منه المال . وذهبا إلى قصر قديم كان مقر رجال العصابة . فقال للص : سنشرب قدحاً أولاً ثم نذهب . شربا كثيراً . ذهب الشرطي وأعلم الشرطة . طوقوا المقر وأوقفوا كل اولئك الذين كانوا يحرسونه . منح الشاب وساماً وأصبح جميع الناس يحترمونه لشجاعته ومهارته » .

هنا أيضاً رتبنا النتائج التي يقدمها لنا الرائز في جدول وسنحاول الآن تفسيرها :

الجدول (٢ أ)

١ ـ **العلاقات بين الصورة والقصة** ـ هذه العلاقات حسنة في بعض القصص ولكنها متواضعة فقط في بعضها الآخر . وهي في قسم منها متكلفة وسطحية . لا

يعترف المفحوص ببعض المشاهد الموجودة في الصورة وينخدع بسن الأشخاص وطبعهم . ويدل هذا على أن حس الملاحظة عنده قاصر ، وكذلك الأمر بالنسبة لإنتباهه ، وربما كانت عنده رغبة في أن يكون عادياً أصيلاً . وهو ، بصورة عامة ، يأخذ نقطة انطلاق له وصفاً اجمالياً يعرفه ، ثم يطور قصته بالإستناد إليها . ونلاحظ عنده نزعة السرد فالدوافع ما أن تنطلق مرة حتى تعود إلى الظهور في القصة أو القصص التالية .

٢ ـ **علاقة مختلف العناصر فيما بينها** ـ إن لهذه القصص عناصرها المترابطة فيما بينها ترابطاً جيداً ، بصورة اجمالية . والقصص غالباً متكلفة ، ولكن تطورها ، بشكل عام ، طبيعي ويسير حسب نقطة الانطلاق التي بدأ بها . إنها قصيرة ، وذلك تابع، بدون شك ، إلى سن المفحوص (قبل البلوغ) . والجمل غالباً قصيرة وتحتوي ، مع ذلك ، على بعض الجمل القصيرة المترابطة بواسطة حرف العطف (الواو) . تعبيره حي يكشف عن مشاركته الوجدانية في بعض القصص . والأشياء مميزة تمييزاً دقيقاً بصورة عامة . والتعبير رتيب .

٣ ـ **الموقف العقلاني** ـ إننا نواجه هنا موقف المتحدث نفسه كما يعبر عنه في ملاحظاته التي يقدمها حول قصته وشخصياتها وموقف الأبطال والأشخاص الثانويين . ومن المناسب أن نلاحظ أن الأفكار الشخصية ، عند المفحوص ، نادرة ، وأن نتائجنا ينبغي أن تستند على موقف شخصياته . أبطاله يفكرون غالباً ويتصرفون حسب مخطط مرسوم مسبقاً ، ولكن المرء يشعر بأنهم منقادون غالباً بعواطفهم وغرائزهم لا بعقولهم أو لهدف موضوع سلفاً بشكل واضح . منطق الوقائع والأحداث له أهمية كبرى عند المفحوص . فالولد الذي أراد أن يلعب (دوراً) مع أمره فيختفي ، يحرم من طعامه بسبب تأخره . بناء القصص منطقي . والعمل العلمي ذو قيمة عظيمة بهذه المناسبة .

٤ ـ **الموقف الانفعالي** ـ يهتم المفحوص بالتجربة ويسهم فيها ، ويقلب اللوحات دائماً ، وحركاته تنبىء أنه متأثر بالتجربة . وكما قلنا إن أبطاله يتركون أنفسهم تنقاد بالعواطف والغرائز أكثر من انقيادها بالاعتبارات العقلية . وإذا حاولنا أن نحلل ، عن قرب ، مختلف العواطف التي تتدخل في القصص فاننا نلاحظ الفرق بين المجموعة الأولى (من ١ ـ ١٠) والمجموعة الثانية (من ١١ ـ ٢٠) .

ففي المجموعة الأولى نجد تعلقاً بالأهل على الرغم من أنه يمتزج بالتوتر والتمرد ، وهذا التعلق لا نراه في المجموعة الثانية . الأم متعلقة بابنها وتفتش عن ابنها التائه ، والولد يخشى عقاب أبيه ويختار للقيام بحماقاته اليوم الذي يغيب فيه الأب عن البيت . وفي قصة أخرى يزعج أمه لكنه ما يلبث أن يعانقها بحنان . ويلومه أبوه ويحاول أن يجعله يفكر بمستقبله واتباع نصائحه ، فيعنى بأبيه . أما في المجموعة الثانية فلا نكاد نرى هذا التعلق ، ما عدا ما نراه في القصة (١١) حيث تكون الأسماك رمزاً للأولاد والصياد رمزاً للأب . ومع ذلك فثمة دوافع أخرى مثل ذكر العصابات والرغبة في أن يكون مهماً والمثول أمام العدالة ، كل ذلك يصادف عنده . ومن المناسب أن نقول أيضاً أن نزعات عدوانية موجودة تحت هذا الشكل في المجموعة الأولى من القصص . ففي القصة الأولى نجد العدوان موجهاً نحو الكمان ، وفي القصة الرابعة نحو خصم اعتدى على امرأة البطل ، وفي السادسة نحو الأم وفي التاسعة ضد اللصوص . أما في قصص المجموعة الثانية فانه موجه ضد ضحايا اللصوص من جهة وضد اللصوص أنفسهم من جهة ثانية . وإننا نقدر هنا أن العدوان يولد ، في كثير من الأحوال ، شعوراً بالذنب ، كما هي الحال بالنسبة للقصة (٥) والقصة (٦) وكذلك في قصص اللصوص حيث تكون عند المفحوص نزعة بانزال العقوبات عليهم . وإننا نرى بوضوح أن اللصوص ، في كل الحالات ، لا يفرون من العقوبة ، التي تبدو كأنها أمر لا يمكن اجتنابه وهي عادلة دائماً . يتضح إذن أنه ينحاز إلى جانب العدالة والقوة التي تستند عليها العدالة والتي بواسطتها يحاول أن يسهم في توقيف المجرمين ومعاقبتهم . وفي بعض القصص كالقصة (٤) تظهر عنده نزعة واضحة للانتقام ، وهو لا يفكر بالصفح والعفو . وفي بعضر القصص يعبر عن «روح»التمرد، الموجه ضد النظام الاجتماعي القائم تعبيراً واضحاً . والعقاب « منطقي » في بعض الحالات ، أي أن نتيجة بعض المساوىء حتمية ، كما هي الحال في القصة (٥) ، وفي بعض الحالات نراه يلح على الأمر الواقع ويقول إن المجرم قد وعد بالتوبة . ومن وقت لآخر يعبر عن شيء من الخبث والجبن ، كما هي الحال في القصة (٥) التي تسمح لنا بأن نفترض بأن الموقف الباسل المعبر عنه في القصص السابقة ليس صحيحاً تماماً . حتى الخوف يتجلى في بعض القصص . وثمة دور هام جداً يظهر معبراً عن الطموح والرغبة في القيام بأمر

جدير بالاهتمام ، بصورة خاصة ، وبرؤية تلك الأعمال الجليلة : فالبطل يكرم ويحترم ويكلف بمراكز هامة ، ويمنح الأوسمة . والقصص تعبر عن رغبة كبيرة في الحصول على مركز عظيم ، وهي لا تخفي ، في الواقع ، إلا شعوراً قوياً بالنقص . كما أن اخراج القصص واضح أحياناً . وكل هذه السمات مركزة ، بصورة خاصة ، في قصص اللصوص . وإذا كان البطل بحاجة ماسة إلى النجدة (القصة ٣) أحياناً فيجب ألّا ننكر أنه ، في كثير من الأحيان ، على استعداد لتقديم معونته وللتضحية والانحياز إلى جانب قريبه أو الاعتراف بجميل قدم إليه في الماضي . وفيما عدا الرغبة الصادقة في مساعدة الآخرين ، فان الرغبة في احتلال مركز مرموق وفي الطموح تفسر هذه المواقف تفسيراً كبيراً ، بدون شك . ثم أن الطموح هو الذي يحدد رغبته في المعرفة وفي اكتشاف القمر . والقصص (١٣) و (١٥) توضح ، بشكل خاص ، امكان التحمس لشيء من الأشياء والقدرة على النضال من أجل مثل أعلى . وفي مناسبات أخرى نلاحظ ميلاً للمعجزة والأعجوبة (القصتان ١٢ ـ ١٥) والشعور الديني (القصة ١٥) . وقصص المجموعة الأولى تتضمن اشارات للحياة الجنسية والزواج والمرأة والطفل ، ولكن هذه الفكرة لا تشغل مكاناً واسعاً في أية قصة من القصص ، ولا تتعرض لعلاقات مباشرة بين الرجل والمرأة ، ما عدا القصة الرابعة التي كانت فكرتها الثأر للكبرياء الجريح .

٥ ـ **الأبطال والشخصيات الأخرى** ـ إن الأبطال الذين نصادفهم في هذه القصص متباينون نسبياً . ويجب أن نلاحظ أن المفحوص يختار ، في الغالب ، شاباً ، كما أنه يؤول أشخاص اللوحة لكي يدخل فيها أشخاصاً من هذا النوع ، وهذا تابع إلى سن المفحوص . ففي حالات كثيرة يلعب الشاب دور البطل ، وهناك مجال للافتراض بأن المتحدث يتقمص شخصيته ، وعلى هذا النحو يدخل في القصة (٥) فتى ، وفي القصة (١٦) شاباً ، وكذلك في القصة (١٨) والقصة (٢٠) . وإذا كان الأمر متعلقاً ، في القصة (٥) بفتى ، فانه متعلق ، في القصص الأخرى ، بشاب يطارد المجرمين . ومن المحتمل أنه يتقمص شخصيات هؤلاء أيضاً ، وأنه على الرغم من حكمه عليهم يبدي نحوهم شيئاً من المودة والإعجاب . ويمكن أن تكون نزعات العدوان والتخريب والإجرام من جهة والنزعات الخلقية التي تحكم وتعاقب من جهة أخرى قد أدخلت في القصص

بواسطة شخصيتين مختلفتين . فالقصة (١١) تستدعي القصة (٥) وتسمح بالإفتراض بأن الأسماك المختفية ترمز للأطفال بينما يرمز الصيادون للآباء وأن المفحوص يتقمص شخصيات الأطفال . وفي القصة (٣) تكون الشخصيات الموجودة معبرة عن الآباء ، وهذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها أشخاص من هذا النوع في قصصه ، « أجنبي » يرجعه إلى بيته . وفضلاً عن ذلك فان بعض الوجوه المتقدمة في السن قد اعتبرت وجوه آباء أو أمهات في القصص (٦ ـ ٧ ـ ١٠) . وهو في كل مكان يتقمص شخصية الابن ، ولكنه ، أحياناً أيضاً ، يتقمص شخصيات أشخاص آخرين (راشدين) كما هي الحال في القصة (٤) التي يختار فيها بطلاً الزوج الذي جرحت كبرياؤه ، وفي القصة (١٢) التي يختار فيها بطلاً المشعوذ ، وفي القصة (BG ١٢) التي يدخل فيها المنقذ ، وفي (١٤) حيث يظهر العالم ، وفي (١٥) حيث يبعث رجل من الأموات . وهو كذلك قادر على التقمص بشخصيات من الجنس المؤنث ، إلى حد ما ، كما هي الحال في القصة (١٧) . لقد أشرنا إلى قصص اللصوص أيضاً . ففي القصة (٩) ليس البطل منعزلاً ، بشكل واضح ، عن الأشخاص الآخرين ، وكذلك الأمر في (١٩) التي يمكن اعتبارها قصة « غير شخصية » تغيب مادتها في ذكريات التعاليم الدينية ، ولكنها ليست مجردة ، مع ذلك ، من المغزى .

٦ ـ **الأوضاع** ـ الأوضاع متنوعة نسبياً ، ولكنها ليست متطورة دائماً ، كما أنها لم ترسم رسماً مفصلاً . والمشاهد الإجرامية كثيرة وكذلك الأمر بالنسبة لمشاهد القتال : قتال اللصوص مع رجال الشرطة أو مع البطل الذي لا يكون منضماً لرجال الشرطة إلا أنه يؤيدهم ضد اللصوص . والمشاهد التي تصور انقاذ البطل لبعض الأشخاص من خطر كبير موجودة في القصص (١٩ ـ ٨ ـ ١٢). وفي خلال هذه المشاهد ينتهز البطل الفرصة لإظهار مروءته وشهامته في مساعدة الآخرين . وبين هذه القصص يمكن ادخال القصة (١٢) التي تصف المشعوذ المنقذ بأنه معجزة . وفي (١٣ ـ ١٥) حلم انتصارات وطنية . وفي (١٤) حلم اكتشافات كبيرة . وفي (١٧) حلم مستقبل اجتماعي أفضل . وفي (٧ ـ ١٠) يتحدث عن العلاقات بين الأب والولد . وفي القصة الأولى يتناقشان حول المستقبل . وفي القصة الثانية علاقات عاطفية ولكنها صنعية تقريباً (وكذلك في ٧) . أما في (٥ ـ ٦) فمشاهد بين أم وابنها يمكن أن نبدي نحوها الملاحظات السابقة

نفسها . وهذا الطابع يبدو أيضاً في (٤) التي تصور لنا قصة رجل غاضب هوجم وامرأته متشبثة به لتمنعه من الانتقام . وموقف الولد ازاء أمه يبدو لنا متكلفاً . وأخيراً نلاحظ في القصة (١) الولد أمام الكمان المحطم قليل الرغبة في اجراء تمارينه وفي العمل .

٧ ـ **الحلول** ـ إن الحلول قليلة التنوع في الواقع . ويمكن أن يقال عنها إنها « ملائمة » في أغلب الأحوال . ففي جميع قصص اللصوص ينتصر القانون ، ويوقف المذنبون ويعاقبون . وفي سلسلة أخرى من القصص يبدو عقاب المسيئين منطقياً ولمصلحتهم ما داموا سيندمون ولا يرتكبون الأخطاء ، بعد ذلك ، وما عليهم إلا القبول بهذا الأمر . أما الرجل الذي يدافع عن شرفه فلا يعاقب واستجابة العدوان عنده لها ما يبررها . وسلسلة أخرى من القصص تكون نتيجتها نجاح البطل ومكافأته على أعماله وتشريفه ومدحه وتمجيده وتقديره . وفي قصص أخرى ، كما هي الحال في قصته حول بلاده (إذ أنه مهاجر) ، يركز حديثه على النجاح . وفي مشهد الشفاء ، صحيح أن المريض قد شفي ولكن الطبيب يصبح شهيراً أيضاً . أما مشاهد الحياة العائلية فتنتهي بشكل ملائم : تفاهم بين الولد وأبويه ، وصلح بعد أزمة ولقاء مع الأبوين بعد ضياع . في القصة (٥) يحرم الولد من الغذاء ولكنه يعتبر ذلك نتيجة حسنة للقصة لأن العقاب عادل كما يبدو . وفي القصة (٢) تبدأ المرأة الثرية بالعمل في الأرض على الرغم من أنها « ليست بحاجة » وهذا دليل على أن القاص يحس بالمشكلة الاجتماعية إلى حد ما . وإذا كان الكمان في القصة (١) قد أصبح محطماً تحطيماً نهائياً لا يمكن استخدامه بعده فان ذلك مخرج حسن بالنسبة للقاص ، ذلك أن البطل غير متمسك بذلك الكمان وهو سعيد لأنه تمكن من التخلص منه ، ومن الواجبات المملة . من المؤكد أن الحل ساذج إلا أنه ، مع ذلك ، ملائم بالنسبة للبطل في ذهن المفحوص .

وفي هذه الحال أيضاً سنهتم بمجموعات المشكلات التي سردها «تومكينز» على الرغم من أننا عالجنا هذه المسألة في التحليل السابق :

الجدول (٢ ب)

١ ـ العائلة ـ تشغل مكاناً واسعاً في المجموعة الأولى فقط . أما في المجموعة الثانية

فانها على خلاف ذلك تماماً ، ما عدا القصة (١١) حيث نستطيع الافتراض أن الصيادين يرمزون للآباء وأن الأسماك ترمز للأولاد . وينبغي أن نلاحظ أنه ، في الأحوال التي تكون فيها العلائق بين الآباء والأولاد في المرتبة الأولى ، فانها لا تبدو قلبية بصورة خاصة . لم يشر إلى الأخوة والأخوات في أي وقت . حقاً إن الأشخاص يقولون إن عليهم أن يحبوا ذويهم ولكن هذه العبارة تعبر تعبيراً دقيقاً عما يكون في هذه العلائق من تصنع ، ولا يبدو الأمر أبداً على أنه تعلق حقيقي ما عدا في (القصة ٣) حيث يبكي الولد الذي فقد أبويه لأنه يشعر بأنه وحيد مهمل . ويبحث عنه أبواه لكنه لا يضيف شيئاً آخر . الولد يختصم مع أمه التي تلومه لأنه لا يحبها ، ثم يصالحها ويفترض أن زواجه المقبل سيكون باعثاً على شقاء أمه . ولهذا لا يتكلم حول هذا الموضوع مع نفسه . يقال لنا إن الأب يحب ابنه حباً جماً (١٠) ولكن (في ٧) نجد أن العلاقة بينهما أكثر فتوراً . وفي القصة (٥ ـ ١١ ـ الرمزية ـ) نجد أن الأطفال يسخرون بذويهم .

٢ ـ **الحب والزواج والجنس** ـ هذا الميدان يشغل حيزاً ضيقاً نسبياً في القصص . من المؤكد أن العنصر الجنسي ليس مختفياً إلا أنه ليس واضحاً ولا يلح عليه المفحوص في أي حال من الأحوال . ففي قصتين فقط أشار إلى مشاريع زواج الولد في إحداهما وإلى الأولاد الذين سيرزق بهم ، أما في الثانية فقد أشار إلى رجل يقف إلى جانب امرأته التي اعتدي عليها ويسعى للدفاع عنها . وفيما عدا ذلك لم يشر إلى المسائل الجنسية ولو اشارة ضمنية .

٣ ـ **العمل والنشاط المهني** ـ يشكل هذا الميدان حيزاً هاماً في القصص على عكس الميدان السابق . فضرورة العمل ودورهما الإجتماعي قد أعطاهما قدرهما بوضوح في القصة (٢ ـ ١٧) فالرجل مضطر للعمل لإطعام أولاده وامرأته . ومحادثة الولد مع أبيه تدور كذلك حول قيمة العمل العلمي والعمل من أجل مثل أعلى وخلق مجتمع وطني . نرى في القصة الأولى الخوف من القيام بأي جهد للتخلص من مهمة لا تعني البطل . وفي القصص التي عددها نجد : العمل الزراعي والصيد والبحرية وعمل النجارة والعمل العلمي والعمل المشترك في المستعمرة والنشاط الحربي وعمل الطبيب المدهش وبناء السفن ورجل الشرطة . وليس في القصص ميل خاص لمهنة أو مخطط في الحياة .

٤ ـ **العلاقات الاجتماعية** ـ إن العلاقات الاجتماعية بالمعنى الدقيق للعبارة فقيرة . إذ

لا روابط بين البطل وبين الرجال الآخرين (ما عدا روابط الأهل والزواج) . في بعض القصص يبدو لنا البطل صاحب نخوة ونجدة معترفاً بالجميل والأعمال ذات القيمة التي يؤديها الآخرون إلا أننا نجد ، إلى جانب هذا الشعور ، طموحه هو وحده في التقدير ورغبته في أن يلعب دوراً هاماً كانجاز عمل نافع للمجتمع الوطني بوجه خاص يشعر البطل بأنه عضو فيه . بل إن الأمر ، على العكس ، حيث نجد السلوك غير الاجتماعي يشكل حيزاً واسعاً في القصص . فهناك قصص اللصوص الذين لا يتصرفون تحت التأثير أو الضغط الخارجي بل إنهم هم الذين اختاروا اللصوصية وهم المسؤولون تماماً إذ أنه ليس لديهم رادع . إلا أنهم ، في كل الأحوال ، يوقفون أو يعاقبون وإن كان لم يحدد نوع العقاب أو موقف المجرمين ازاءه . والشعور بالذنب يبدو واضحاً في عدد من الحالات ، و«الفتى»الذي يوقف المجرمين يشعر بالارتياح التام بإنجازه ذلك العمل . ويمكن أن نقول أن العالم الخارجي ليس مخاصماً للبطل ، ما عدا ما رأيناه في القتال بين اللصوص ورجال الشرطة ، بل إنه أما مؤيد أو عديم الإكتراث ازاءه .

٥ ـ **مشكلات أخرى** ـ قليل من المشكلات الأخرى ذكرت في القصص . لقد أشرنا إلى المثل الأعلى الوطني ، كما أن المشكلة الدينية ذكرت مرة واحدة . وعلى العكس نلاحظ أن كثيراً من الأبطال يمتلكون الرغبة الجامحة في الحصول على التقدير . إنهم متبجحون طموحون دون خوف أو خور . ونستطيع أن نفترض إذن أنه يوجد ، خلف الرغبة في أن يكون ذا أهمية ، مشاعر قوية في النقص .

إذا حاولنا الآن أن نكون فكرة عن موضوعنا حسب ما قيل وحسب تحليلنا للقصص التي سردت علينا وجدنا الاعتبارات التالية التي يمكن أن تستخلص من ذلك : إن العنصر العقلاني لا يبدو محذوفاً عند هذا المفحوص أبداً ، قبل كل شيء ، إلا أن النزعة الواضحة للتعقيل لا توجد مع ذلك . بيد أن العنصر الانفعالي الغريزي يبدو متسلطاً عنده . فنقطة الانطلاق عند المتحدث هي ، بصورة عامة ، وضع اجمالي محدد يشكل أساس القصة . كل هذه التقديرات مناقضة للفرض الذي يمكن أن يفترض حول النمط الفصامي إذ أنه على العكس يتعلق بمثل لرهط تسميه السيدة « مينكوفسكا » شبيه بالصرعي .

وهذا الفتى يبدو أنه ضعيف الارتباط نسبياً بذويه . وهو ذاته يشعر بذلك حين

يلح على أن الولد « ينبغي » أن يحب أباه ، أو أن يحاول اقناع نفسه ، عن طريق لسان بطله ، بعدم ازعاج أمه . وفضلاً عن ذلك فانه يشعر ، إلى حد ما ، بالأمن حين يكون قريباً من أهله . فبطله حين يتحدث عن الحزن الذي تشعر به أمه عندما سيتزوج إنما يعبر ، بدون ريب ، عن عاطفته الخاصة مبيناً أنه يوجد ، في أعماق نفسه ، تعلق بأمه ، وموقفه ازاء أمه وازاء أبيه هو موقف واحد .

والعنصر الجنسي موجود عند الفتى ، بدون شك ، لكنه لا يلعب دوراً هاماً .

ونجد عنده عدواناً واضحاً ونزعة للتخريب ، ويتجلى ذلك في أوضاع مختلفة . ويبدو أنه حساس جداً للتهجم وللتصرف العدواني بشكل سهل . هذه العدوانية تتجلى أيضاً في قصص اللصوص . ولقد قلنا آنفاً إنه لا يتقمص فقط شخصية « الشاب » الذي يقاتل اللصوص بل إنه أحياناً يتقمص شخصيات اللصوص أنفسهم . ويبرر هذا الفرض ما دام يفضل أن يكون من بين اللصوص ، في لعبة « رجال الشرطة واللصوص » ويقدم دليلاً على ذلك باعترافه أن اللصوص أكثر حرية وأن من السهولة أن يدافعوا عن أنفسهم نسبياً .

وفضلاً عن ذلك ، فانه يشعر بالذنب شعوراً واضحاً ، واستجابة لهذا الشعور بالذنب نجد عنده نزعة العقاب الذاتي . ويبدو ذلك جلياً في المجموعة الأولى من القصص أكثر مما يبدو في المجموعة الثانية . فالفتى تعاقبه أمه أو الوقائع نفسها ، وهو يضيف أنه سيتوب . والملاحظة نفسها صالحة بالنسبة لقصص اللصوص إذا افترضنا أنه يتقمص شخصياتهم ولو جزئياً على الأقل . ويبدو ، زيادة على ذلك ، أن عنده شعوراً بالعدالة .

وثمة سمة أخرى بارزة عند هذا المفحوص هي ادعاؤه ورغبته في أن يكون ذا قيمة وتقدير وشرف . وبكلمة أخرى إنه شبيه بالملحن الذي يلعب دوراً ويرغب في ذلك لكي يحظى بتقدير من حوله . هذه الرغبة في لعب دور يؤيدها موقفه ازاء الرفاق الذين هم في سنه والذين يفتخر أمامهم ويحاول الظهور بمظهر البطل . إنه يتحدث قليلاً عما أنجز فعلاً ولكن هناك مجالاً للافتراض بأنه لا يحب سوى القيام بجهد مدعوم . إنه يرغب في القيام بشيء ما ولكن بمساعدة المعجزات (شفاء أعجوبي ، بعث الموتى) وهو يتظاهر بالقدرة على التحمس من أجل مثل أعلى . ومثل بطله يبدو أنه يقدم الدليل على أريحية وعلى التظاهر ليس فقط بالقدرة على الكفاح من أجل مثل

أعلى بل على الإعتراف بالجميل . وفي بعض القصص يعبر عن غم وشعور عظيم بعدم الإطمئنان .

لا يوجد إلا الشيء القليل الذي نقوله عن حياة هذا الطفل . فقد ولد في بلجيكا . وأهله من أصل بولوني . كان أبوه سائق سيارة أجرة . وحين احتل الألمان بلجيكا هاجر أبواه إلى فرنسا مع أولادهما وظلوا فيها حتى عام ١٩٤٢ ، في القسم الجنوبي ، المنطقة الحرة . كان للولد أخت بكر وأخ وأخت أصغر منه . وحين احتل الألمان المنطقة الحرة بدورها اختبأت عائلته هرباً من التمييز العنصري . وفي نيسان ١٩٤٤ أوقف الأب وأعدم رمياً بالرصاص . وأصبحت الأسرة مرغمة على التنقل وتغيير مركز اقامتها خوفاً من أن يشي أحد بها أو من التوقيف . وبعد التحرير كشفت الأم عن هوية العسكري الذي أعدم زوجها فأعدم . يسرد الفتى هذا الأمر على أنه عقاب وثأر عادل وضروري . وبعد الحرب استقبلته عمة له ، بصورة موقتة ، إلا أنها لم تستطع المحافظة عليه طويلاً إذ أنها ارغمت على الاهتمام ببقية أعضاء عائلتها ، فأدخل حينذاك إلى بيت من بيوت الأطفال حيث كان يوجد فيه منذ سنتين حتى الآن . لقد ذكر لنا أنه سعيد في هذا البيت وأنه لا يحب فيه بعض الأطفال الذين لم يستطع التفاهم معهم . ليس له أصدقاء بل « رفاق » فقط . لقد جاءت به إلينا ادارة البيت التي اعتبرته ولداً صعباً كثير الجلبة لا يخضع للنظام فظاً مع الآخرين يختصم واياهم ويقاتلهم غالباً لأسباب تافهة . تقدمه المدرسي غير كاف على الرغم من أنه يتمتع بذكاء عادي . وهو يستطيع أن يتقدم ، بدون شك ، إذا توفرت لديه النية الحسنة . . أمه تشكو من فظاظته وحبه للفوضى التي ينجم عنها تمزيق ألبسته بسرعة (نزعة التخريب) . ومع ذلك فهو يرغب في أن يكون نظامياً نظيفاً . وقد قام ، في عدة مناسبات ، قبل مجيئه إلينا ، بكي بنطاله أو ارتداء بزة أخرى أو حتى أنه حاول ترتيب شعره . وفي أثناء محادثتنا معه كان نزقاً وعجولاً وحتى عدوانياً أحياناً . وأبدى شيئاً من الفضول الجنسي . لا يبدي اهتماماً بأخيه واختيه ، وخاصة أخته الكبرى الموجودة في بيت آخر للأطفال . « البنات » لا يهتم بهن أبداً - كما قال لنا - فهن رخوات سريعات البكاء . يلعب مع الصبيان . أحياناً عنده كوابيس لكنها نادرة الآن . إنه سريع الحركة ويصعب عليه البقاء هادئاً في مكان واحد مدة طويلة أو أن يركز انتباهه على شيء وقتاً طويلاً . وبذلك يبرهن على النزق العظيم . ليس عنده تذوق خاص للقراءة ولكن حين يختار كتاباً نجده يفضل كتب المغامرات .

وبصورة اجمالية نستطيع القول إن الرأي الذي يقدمه لنا رائز الـ « ت . آ . ت » حول هذا الفتى يتعلق بما نلاحظ عنده (من سلوك خارجي) . إننا نلاحظ ، في هذه الحال ، أن أحداث الحرب لا تكاد توجد في القصص على عكس ما رأينا في حالات أخرى أتاحت لنا الفرصة فحصها .

القسم الرابع

القيمة التشخيصية لرائز فهم الموضوع

القيمة التشخيصية
لرائز فهم الموضوع

إن رائز « ت . آ . ت » المطبق تطبيقاً منظماً على دراسة الشخصية ليس مساعداً علمياً ثميناً قادراً على اعطائنا أوجهاً عديدة ودقيقة عن موضوعه فقط بل إنه، فضلاً عن ذلك ، مساعد تشخيصي يلعب دوراً هاماً في علم النفس التطبيقي والتحليل النفسي . وتحت عبارة « تشخيصي » نستطيع أن نجمل « تشخيص الطبع » (أي محاولة الحصول على فكرة دقيقة ، قدر الإمكان ، عن البنية المزاجية لشخص من الأشخاص وخاصة عن انفعاليته بالدرجة الأولى) وهناك أيضاً « التشخيص العيادي التحليلي » لمعرفة البحث عن وجود اضطراب عقلي عند شخص من الأشخاص وطبيعة هذا الاضطراب .

إننا نصادف صعوبة كبرى خلال دراسة الإتفاق الذي يحدث بصعوبة حول التشخيص التحليلي أكثر مما نراه خلال دراسة الاتفاق حول التشخيص الطبي الجاري . فليس هناك تصنيف معترف به للاضطرابات العقلية ، وليس من السهل القول أيضاً فيما إذا كان يوجد اضطراب عقلي في حالة من الحالات . والانتقال من العادي إلى المريض لا يشعر به إلا قليلاً (كما هي الحال في مجال الوظائف الفيزيائية) . وبين الحالة العقلية العادية والإضطراب العقلي الجسيم يوجد حشد من حالات المرور المتوسطة والحالات المحدودة مثل حالات العصاب والطباع الشاذة واضطرابات الطباع ومختلف الحماقات البشرية . فالمسألة هنا إذن تحتمل مناقشة تتعدى نطاق عملنا . إلا أننا لا نستطيع طرح مواجهة مسألة التشخيص التي تسمح لنا دراستها بتحقيق قيمة الطريقة والتي تكمل لنا التطبيق الرئيسي للرائز .

سنتعرض ، بعد قليل ، لبعض أشكال الاضطرابات النفسية لكي نفحص إلى أي مدى يستطيع الـ « ت . آ . ت » مساعدتنا في وصفها . وينبغي أن نقوم ، في بادىء الأمر بالتفريق بين حالات العصاب : الحالات المحدودة من جهة، وبين الذهان من جهة ثانية . وسنرتب اضطرابات المزاج في مجال العصاب والحالات المحدودة كالحماقات والذهانات العصابية وعصابات الأعضاء (وهي من اختصاص ما يسمى في

الوقت الحاضر الطب النفسي الجسمي) . وسنرتب أيضاً في هذه الزمرة الأولى الحالات الانفعالية والسقوط العاطفي وعصابات القلق وحالات المس والضعف النفسي . ويرتبط بزمرة الذهانات ، قبل كل شيء ، زمرة العواطف النفسية والحالات النفسية الدورية والحالات الفصامية . وينبغي أن نربط معها الذهانات السامة كالكحولية والذهانات العضوية ذات الطبيعة السارية كالتشوش العام مثل الاضطرابات العقلية ذات الأصل الصرعي أو الهستيري لكي لا نسرد إلا الأشكال الهامة . ولا نستطيع أن نتأخر في دراسة الحالات الخاصة ، ونحن مرغمون على الاقتصار على مجموعة من الأمثلة الصادرة عن المادة التي درسناها . وهذا سيؤدي بنا بعيداً عن ذكر نتائج الرائز بالتفصيل . وسنكتفي باختيار الأمثلة من القصص المميزة لنمط التعبير عن مختلف الاضطرابات . ولنلاحظ أن «موراي »، في كتابه ،لا يلح ، بصورة خاصة ، على تطبيق رائزه وعلى مظهره التشخيصي .وسنستند ،في البدء على ما قدم «دافيد رابابورت» وروى «شافر» ثم على مادتنا نحن قبل كل شيء.

١ ـ الإنفعالية ، السقوط العاطفي

تتميز الانفعالية ، حسب رأي رابابورت وشافر بأن الاستجابات العاطفية ، التي تحدثها الصورة والتي تتجلى في موقف البطل ، تتصف بالمبالغة الشديدة . فالتفسيرات المثقلة بالعاطفة والملاحظات النقدية الدقيقة ، والوصف ، والمبالغة القاسية في انفعالات البطل ، وتحديد القصة بوصف حالات نفسية الأشخاص ، كلها أمور مميزة هنا ، وهي تتكرر ، بشكل خاص ، لدى الأفراد المصابين بهبوط أو هستيريا . إن السقوط العاطفي يمكن أن يكون إما صفة مميزة للاضطراب العقلي أو وجهاً لشخصية الفرد المفحوص . يبدأ المفحوص أحياناً حكايته بالدهشة : « يا للوحة البشعة » أو « لا أحب أن أنظر في هذه الصورة ، إنها تجعلني مغموماً » أو « أعطوني صورة أخرى أقل افزاعاً » . وأحياناً يدخل في الحكاية ملاحظات مثل : « يخيل إليّ أن شخصاً يريد المرور من النافذة . لا أحب أن أرى هذا . إن هذا يخيفني . وأخاف أن أحلم به » . وقد يحدث أيضاً أن يقف الفرد بعد أن يكون قد بدأ حكايته ليقول : « لا أستطيع أن أضيف شيئاً إلى ما قلت . إنه مخيف جداً » . أو « إن لوحاتكم تبعث في نفسي الفزع الشديد . أروني شيئاً آخر إذا أردتم » . وأحياناً ترسم خطوط القصة كالحالة التي ذكرها رابابورت وشافر :

« المرأة التي تبدو في مقدمة الصورة تبدو مشبوهة . إنها تنظر إليّ نظرة جانبية ليس فيها شيء من الود . وحسب رأيي ليس لها أية علاقة مع الشخص الذي يوجد خلفها . وكأني بهذه المرأة لا تنظر إلى العالم نظرة تفاؤل » .

ولكي نبدأ عملنا علينا أن نذكر قصة سردها فتى عمره ست عشرة سنة حول اللوحة (١٥) :

« يا آلهي . . . منذ أن أنظر إلى هذه اللوحة أشعر بخوف مريع من رؤية كل هذا . هذه الرأس . . . مخيفة . . . يخيل إليّ أن الأمر حلم أكثر منه حقيقة . هذا الرجل أو بالأحرى هذا الكائن مرعب . ثم انني أتساءل أين يوجد هذا الشيء ؟ لأنني لا أعرف فيما إذا كان المكان مقبرة أو محلاً آخر . كل هذه الصلبان الموجودة فوق القبر ، وأكثر ما يخيفني هذا الرجل . إنني أتساءل من أين يأتي ؟ أما أنا فأعتقد أن هذه لوحة مزيفّة وإذا ما كنت أرى شيئاً من هذا النوع في السينما فانني أرتعد خوفاً إذا تحرك . . . » .

ويقول حول اللوحة (١٩) :

« لا يستطيع المرء أن يقول ماذا تمثل هذه الصورة . وأنا نفسي لا أعرف ولكنني أعرف أنها تخيفني . إنها شيء كالبيت فوق الثلج أو كالحوت . لا يستطيع المرء أن يتأكد من ذلك ، ولكن على الرغم من أنه لا يفهم محتواها إلا أنها مفزعة . لا يستطيع المرء أن يقول بالتأكيد ما هي ولكنه يستطيع أن يقول إنه يرى كل الأشكال ، وهذه الأشكال لها كلها مغزى أحمق . وهي كلها مخيفة في الواقع . وإن ما أراه أشباح أو أشياء أخرى مخيفة . حقاً إن هذه اللوحة لا تعني بالنسبة لي أي شيء دقيق ، لكنها مخيفة » .

وأخيراً نقدم القصة التي يسردها الفرد نفسه حول اللوحة (١٦ ـ البيضاء) :

« آه ، نعم . بعد كل الصور التي رأيتها حتى الآن والتي لا تزال ماثلة في ذهني أستطيع أن أقول إنني أرى كل شيء قد جمع في هذه اللوحة البيضاء ، وأنا أرى كل شيء أسود قاتماً حزيناً . أظن أنني أرى حقلاً فيه أشباح وهياكل تقترب وصلباناً مغروسة في الأرض . الظلام شامل والخوف شامل أيضاً . إن المرء ليخاف حين يرى كل هذا أكثر مما يخاف عندما يرى اللوحات الأخرى . وإذا كان عليّ أن أقول ماذا تمثل هذه اللوحة البيضاء عندي فانني أقول إنها الشيء نفسه الموجود في اللوحات الأخرى ، إنما . . . هنا أشعر بكل شيء مجموعاً في آن واحد » .

لقد انتقينا مثلاً ثلاث قصص ، من بين عشرين ، ظهرت لنا أكثر دلالة عن السقوط العاطفي . وإن الأوصاف التي يقدمها الفرد المفحوص لا تكشف لنا إلا عن حاله العاطفية سواء كان ذلك حين يتحدث عن البطل أو عما تثيره في نفسه الصورة . فالخوف واضح فيها دائماً وكذلك قوة التأثر ، بالمؤثرات الخارجية . في القصص لا يوجد أي عمل غالباً ، وهي تتلخص بسرد الانطباعات والمشاعر . وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن نذكر هنا أنه توجد عناصر مس في قصص هذا الفرد .

لنأخذ الآن قصة سردتها فتاة عمرها (٢٤) سنة حول اللوحة (١٥) :

« يا آلهي . إن هذا مرعب . إنه مخيف . يا آلهي . هذه القبور . . . لا يستطيع الإنسان أن يظنها شيئاً آخر . لقد جن الليل وخيّم الظلام ، بيد أن القبور مضاءة . وهذا يخلق الانطباع القوي بأننا في مكان يحكم فيه الأموات . إنه أمر مريع . وهذا يبين كيف ينبغي على الإنسان أن يتصل بالأموات . كأني في كابوس . وكأن هذا الرجل يريد أن يدافع عن الأموات ضد الأحياء . إنني أحس بذلك . إنه يقول ليس عليهم أن يتراجعوا عن الانتقام . لا أستطيع أن أقول شيئاً آخر . وأفضل أن أرى صورة أخرى » .

في هذه القصة أيضاً يتضح الموقف العاطفي ويبدو وصف الانفعالات . ليس ثمة أي عمل في هذه القصة ما عدا وصف الحال النفسية . هنا أيضاً بدأت القصة بالدهشة « إن هذا مرعب » وانتهت بالرغبة في رؤية لوحة أخرى . وقد قطعت الحكاية ببعض عبارات التعجب حول بشاعة اللوحة ، ولكن ما يميزها هو الجو الذي يخيم على القصة . حقاً إن اللوحة (١٥) خاصة بكشف السقوط الإنفعالي وإن كانت اللوحة (١١) تحتوي على بعص التعليقات حوله أيضاً .

لنأخذ الآن القصة التي سردها رجل عمره ثلاثون سنة :

« ماذا يمكن أن تمثل هذه ؟ يخيل إليّ أن أمراً مريعاً قد جرى هنا . هزة أرضية أو شيء آخر مشابه . وفي جميع الأحوال يخيل إليّ أن في هذه اللوحة قلقاً وفزعاً . لا أستطيع أن أقول شيئاً آخر عن هذه اللوحة » .

في هذه القصة أيضاً يكون الأثر الذي تحدثه اللوحة في عاطفية المفحوص ظاهراً في المقام الأول . فالقصة لا تحتوي على أي عمل . ونصر على أن السقوط العاطفي والإنفعالية يمكن أن يتجليا في قصص أخرى وأنهما لا يظهران في بعضها فقط .

والواقع أنها تتجلى تقريباً في جميع القصص في بعض الحالات الواضحة كالحالات التي ذكرناها .

٢ ـ حالات الهبوط

يرى رابابورت وشافر أن الهبوط يؤدي إلى تقلص هام في الآراء التي تشغل الفكر وترغم الفاحص على تشجيع المفحوص دائماً : ومع ذلك فهو يحصل على اجابات مقتضبة . القصص حزينة ونهاياتها قاتمة ، وكثيراً ما يقول المفحوص : لماذا تطلعوني على لوحات قاتمة بهذا الشكل ؟ ولكن قد يحدث أحياناً أن تنطوي حكايات الحب والسعادة والعذوبة على رغائب . ونصادف فيها دائماً تصورات جنوحية وتكراراً في الجمل النمطية حول الحب والأخلاق ، كما يلاحظ فيها أيضاً الخوف من المرض ، أو الإصابة بمرض عقلي أو بضعف ، أو على العكس ، الحصول على طبع حاد جداً . والسمات الهبوطية ليست نادرة أيضاً في ذهانات أخرى ، ويمكن أن تظهر أيضاً في قصص لا تأتي عن أمراض ناجمة من هبوط تشاؤمي بالمعنى المعروف في العيادة النفسية .

نذكر الآن طائفة من القصص سردتها مريضة في الخمسين من عمرها . فتقول حول اللوحة (٣ GF) :

« هذه شابة أمام بيت مغلق . لقد طردت منه لأنها سيئة الخلق . إنها لا تساوي شيئاً ، كسولة ، لا تريد أن تعمل . لقد تسكعت في كل مكان ولم تعن بذويها . لم يرض أحد باستقبالها وهي لا تعرف أين تذهب . لا تعرف مهنة ولم تتعلم شيئاً ولا تستطيع أن تعمل . وهي يائسة ولكن كل ذلك بسبب خطئها . إنها في الشارع ولا يرضى أي انسان بها . سوف تموت » .

في هذه القصة تعبر القاصة عن أفكار هبوطية قوية واتهامات ذاتية ولوم لنفسها ، وشعور بالذنب والغم واليأس .

أما حول القصة (١٧ GF) فان المريضة نفسها تقول :

« هذه امرأة لا يرغب فيها انسان ، ليس عندها أحد تذهب إليه وهي ترغب في أن تقذف بنفسها في الماء ، ومع ذلك ليست عندها الشجاعة الكافية للقيام بذلك .

إنها عـاجزة عن كسب قـوتها . يستقبلهـا ملجأ حيث تستطيع القيـام بالخـدمة فيـه وهناك ستنتهي أيامها . والبيت الصغير والمراكب تابعـة لملكية البيت الـذي كانت فيـه زوجة . زوجها لم يكن يريدهـا لأنها لم تهتم به الاهتـمام الكافي بسبب كسلهـا . ولهذا نجـدها وحيـدة . والرجـل يعيش في بيت آخر . حتى ابنتهـا تخلت عنها وسكنت مـع أبيهـا . إنها لا تقوم بـأي عمـل . وإن الشيء الغـريب هـو أنني أرى الليـل والشمس مشرقة . . . » .

في هذه القصة نجد الأفكار الهبوطية نفسها ، فكرة الكسل والعجز والخوف من الوحدة والكره من الجميع والإهمال . والبطلة تفكر بأن شخصاً لا يريدها لأنها كسولة سيئة عاجزة . وهي تلوم نفسها لأنها لم تعن بزوجها وابنتها العناية الجيدة ، وتفكر بأن اهمالها هو الذي دفعهما لنبذها . وأفكار الانتحار كذلك ، عبرت عنهـا تعبيراً واضحـاً وكذلك حالات الكف التي تقف حائلاً أمام تحقيقها . إنها تشعر بعجزها في أن تعيش في العـالم وتفكر بـأنها ستتلاءم بسهـولة مـع حياة الملجـأ المنظمـة التي ترغم فيهـا على العمل .

لنذكر أيضاً القصة التي سردتها حول اللوحة (١٨ GF) :

« هـذا ولد سرق . أمـه امرأة شريفـة تعامله بقسـوة وتقـول لـه : سـأعـاقبـك وسـأضربـك . أريـد ألاّ تكـرر هـذه الفعلة . ستكـون تعسـاً . إنني أريـد السعـادة لولدي . لن أبقيك معي . فلقد كبرت ولست أحمق . وتعلمت مهنة . إنك قادر على تأمين حياتك . إنني قاسية معك لأنني أحبك ولأنني يجب أن أكـون كذلـك . فيذهب الولد . وهو بائع حلى مستقيم ، ويعود إلى الطريق السوي » .

هذه القصة سخيفة . فالمـريضة تتقمص شخصيـة الولـد وتستخدمـه لتقول إن أهلها كانـوا طيبين معهـا ولكنها لم تكن تستحق هـذه الطيبـة إذ أنها كانت بحـاجة إلى القسـوة التي ربما منعتهـا من الخـروج عن الـطريق السـوي إذ أنها تعتقـد بـأنها فعلت ذلك . وهذه أفكار تعبر عنها أحياناً تعبيراً مباشراً حـين تصف أهلها بـالشرف وتصف نفسها بأنها سببت لهم المتاعب لأنها كانت سيئة الخلق . وفي الوقت نفسه تظهر نزعاتها العدوانية الموجهة ضد نفسها ، إلى الخارج في هذه القصة .

إن القصص الثـلاثة التي جئنـا على ذكـرهـا تعـبر عن الهبـوط لأن الأفكـار التي تتضمنهـا تعود لـطائفة الهـذيان الـوهني . وفضلاً عن ذلـك فـان هـذه القصص أقـل

تعبيراً ، فهي طويلة سردت بسرعة على الرغم من المساهمة الكبيرة العاطفية والهبوطية إذ أن اللغة ليست بطيئة ، والصوت منخفض وراتب . إنها طويلة بشكل متوسط وليست قصيرة بصورة خاصة ، والمريضة لم تكن بحاجة إلى التشجيع الخاص كما نلاحظ دائماً في حالات الهبوط . كل هذا يمكن أن يبين لنا أن الهبوط ليس عميقاً وأن الأفكار الهبوطية فقدت شدتها وتأثيرها في الحادث النفسي . وبفضل هذه الفرضية سنضيف إنه إلى جانب القصص القائمة يوجد حادث يحتوي على عناصر مضادة لذلك لحد ما . كما هي الحال في القصة (GF ٩) :

« هذه راقصة على خشبة المسرح . يصيح الجمهور حولها بمختلف الأشياء . إنها لا تفهمهم جيداً . أختها الكبرى موجودة أيضاً لأنها لا تريد أن تتركها وحيدة . تسهر على ألاّ تحدث لها مزعجات . تبدو قلقة من السهر على أختها التي تبدو بدورها نشيطة وليست بحاجة لمعونتها . وأعتقد أنها ستساعدها في مهنتها مثلاً في ارتداء ملابسها » .

في هذه القصة نجد تعلق المريضة بأختها واضح التعبير : فهي تبحث عن السند والمساعدة والنجدة ممن يعيشون بالقرب منها . والأخت الكبرى تسهر على راحة أختها كي لا يحدث لها ما يزعجها أي أن تحميها . وهي ، من جهة ، سعيدة بهذه الحماية ولكنها ، من الجهة الثانية ، تعتقد بأنها ليست بحاجة إلى تلك الحماية إذ أن بوسعها الاعتماد على نفسها . وهي ، في هذه الحال ، إنما تعبر تعبيراً واضحاً عن رغبتها في الخروج من وضعها الحالي .

تكون قصص المرضى المصابين بحالات هبوطية قصيرة جداً في الغالب وذات مقطع واحد وراتبة ومعبرة عن الهبوط بأشكالها وبمحتواها . وإن مريضة بالغة من العمر (١٠) سنوات تمثل حالات متناوبة من الهبوط الخفيف والهوس ويوجد عندها سقوط عاطفي كبير فحصت في وجهها الهبوطي فقالت حول اللوحة الأولى :

« فتى يتعلم العزف على الكمان ولكنه لا يفهم منه شيئاً أبداً . إنه لن يتعلم وهو خائف » .

هذه المعطيات القليلة التي سردت سرداً بطيئاً تعبر ، قبل كل شيء ، عن الشعور العميق بالعجز عند المريضة . إنها لا تثق بنفسها وتعتقد أن كل ما تفعله ليست له أية قيمة . يضاف إلى هذا الشعور بالفراغ العاطفي الذي تعبر عنه بوضوح تام في (F ١٢) :

« هذه أم وابنتها . الأم تخيفكم . والبنت لا توحي بشيء . إنها لا تستطيع أن تحب أمها أو أي شخص آخر (تشرع في البكاء) إن الصورة تفزعني ولا أريد أن أراها . لا أستطيع أن أسرد قصصاً . أفضل أن تسألوني . كنت أظن ، في الماضي ، أنني بنت طيبة أما الآن فأنا لست كذلك » .

وحول اللوحة (٦ GF) :

« المرأة ليس عندها شعور هادىء . إنها قامت بعمل . لكنني لا أعرف ما هو . إنها سيئة . ولا أستطيع أن أضيف شيئاً » .

نجد الإشارة إلى المعضلة الخلقية واضحة هنا . لا تقول المريضة ماذا « فعلت » المرأة ولا توضح هذه النقطة حين تسأل ، لكنها تلح على الشعور غير الهادىء وعلى أنها « سيئة » .

وفتاة أخرى عندها سمات هبوطية واضحة جداً وشعور بالعجز جلي ناتج عن تربية خرقاء تقرعها دائماً لتقصيرها عوضاً عن أن تشجعها ، تقص علينا ما يلي حول (١٣ MF) :

« هذه فتاة لها صديق . كان يجب ألّا تفعل ذلك . وقد ضربها هذا الرجل فصرخت . وهي الآن لا تجرؤ على النهوض ومغادرة البيت . إنها تلوم نفسها . ولا تعرف أين تذهب . فليس هناك من يحبها . إنها شقية . ولا تريد أن ترى هذا الرجل » .

يظهر هنا الشعور بالذنب والخوف من العقاب بوضوح . فليس الأمر هنا متعلقاً بهبوط عند هذه الفتاة بالمعنى العيادي (الكلينيكي) ولكنه متعلق بسمات هبوطية عند شخص شديد السقوط الانفعالي . إنها تشعر بالوحدة وتعتقد بأن أحداً لا يحبها وأنها شقية . واللوم الذي تسلطه على نفسها يجري في المجال الجنسي وهو راجع بصورة خاصة إلى الطبع الخاص بالصورة ثم ـ بالتالي ـ إلى شواغلها الشخصية المركزة على مسائل جنسية ، وإن هذا اللوم منصب على أنها « تعتقد بأنها لا تزال صغيرة من أجل هذه الأمور » .

وامرأة شابة تبلغ الثلاثين من عمرها تقص حول (١٢ F) :

« صورة مفزعة . هذه المرأة الشابة سيئة الخلق خبيثة . لقد قامت بعمل سوء .

إنها جميلة وعندها سمات عادية ولكن ليس لهذا أية قيمة ما دامت سيئة . والمرأة العجوز الواقفة خلفها تعتقد أن المرأة الشابة تظن بأنها هي السيئة وتقول لنفسها : إنها إذا استمرت على هذه الحال فانها ستصبح قبيحة الشكل وسيئة وخبيثة عندما ستكبر . وستلوم نفسها دائماً على ما فعلت في شبابها . ولهذا فهي تخشى الشيخوخة . ولا تستطيع أن تتخلص من هذا الخوف واللوم الذي تقوم به الآن وستقوم به في المستقبل . أفضل ألّا أفكر بهذا كله » .

وهذه أيضاً تبرز إلى الخارج السمات الهبوطية واضحة يعززها الخوف من الشيخوخة والتقريع المتزايد والمتاعب التي تخلقها لنفسها لإعتقادها بأنها سيئة وخبيثة . إنها قلقة دائماً . وتقابل هذا الخبث بالجمال الجسماني الذي ليس بذي قيمة إذا ما قورن بالفساد الخلقي . وهنا أيضاً لا تذكر شيئاً عن هذا الخبث . . » .

وحول (GF ٦) تقص امرأة في الأربعين من عمرها :

« هذه المرأة طائشة . ويقرعها زوجها على ذلك . فهي لم تقم بواجبها أبداً . ولم تعن أبداً بالأمور الهامة . ولهذا فهو لا يريد البقاء معها . إنها تستحق ذلك . وينبغي أن تتحمل عاقبة عملها الآن . لا تعرف ماذا ستفعل إذا حكم عليها بالوحدة . ستنتحر . وهذه خطيئة أكبر (تشرع في البكاء) . حين يكون المرء سيئاً إلى هذا الحد فانه لن يعرف الأمن أبداً » .

المسألة هنا متعلقة بامرأة مريضة تمثل بعض الاضطرابات الوظيفية دون أساس عضوي . وسبب مرضها يكمن في تصوراتها الهبوطية وفي شعورها الكبير بالذنب وفي النزوع إلى العقاب الذاتي . إنها تلوم نفسها باستمرار لإهمالها واجباتها (وخاصة حيال ابنتها) . ولقد انفصلت عنها ابنتها البالغة من العمر /٢٢/ سنة وعاشت وحيدة ، لكنها لم تعرف السعادة أيضاً ، لقد لامتها لأنها لم تتزوج لكنها عاشت مومساً بمعرفة أبيها . وهي نفسها ترى في ذلك الأمر خطيئة لكنها لا تستطيع أن تتغلب على هذه الفكرة . إن عندها سمات هبوطية دائماً وقد تركها صديقها مؤخراً لظهور بعض الأزمات الهبوطية عندها والتي لا تستطيع تحملها كما أنه لم يكن يستطيع تحمل تقريع المريضة المتواصل لنفسها . في هذه الحال نحن أمام حال هبوطية واضحة ولسنا أمام أي مرض آخر دوري . هذه المرأة ذات مزاج حزين دائماً تلوم نفسها حول كل شيء وتبكي بسهولة (حالة سقوط عاطفي كبير) .

٣ ـ المس وحالاته

إن التعبير عن هذه الاضطرابات متباين حسب شدتها وجسامتها كما يرى رابابورت وشافر وتتميز حالات المس بأن المريض يتعلق بالتفاصيل ويصفها بصورة خاصة وصفاً أخرق وغريباً في الغالب . والوصف صلب جامد في أحيان كثيرة . وتفاصيل اللوحة تثير عند المفحوص أفكاراً ونقوداً لا تعود إلى مجموع اللوحة . وميزة أخرى لحالات المس هي الادعاء بالثقافة الدقيقة أي مواجهة عدة امكانات وطرحها ، الشك والإدراك للعمليات النفسية الخاصة عند المفحوص ، وادعاء كبير بالعلم .

لنوضح الآن هذه الملاحظات ببعض الأمثلة المختصرة المستقاة من مادتنا . فثمة شاب في السادسة والعشرين من العمر يقص علينا حول الصورة (٥) ما يلي :

« أرى هنا امرأة تفتح باب غرفة ولكنني لا أعرف فيما إذا كانت راجعة إلى بيتها أو ذاهبة منه لزيارة أحد . ونظراً لأنها تفتح الباب بحذر فهذا يعني أنها ليست في بيتها لأنها ستدخل سريعاً . وإذا كانت عند شخص آخر فانها تقوم بعمل سري ويبدو أنها تعرف ما تعمل وأنها لا تريد أن يلمحها أحد . وفيما عدا ذلك فان الغرفة تقدم للمرء انطباعاً أهوج . وأصيص الزهر موضوع على طرف الطاولة تماماً . أما المصباح فيبدو مضيئاً ، ويلمح ظل ، ومع ذلك فلا يمكن أن يكون المساء قد حلّ ، لأنه لا يوجد نور يأتي من الخارج لينتشر في الغرفة . أما الزهور فلا أعرف ما هو دورها هنا . توجد بعض الكتب ومكتبة صغيرة . وهذا يدل على أن الناس الذين يسكنون هنا يقرأون ولكنني ألاحظ أن طابع الغرفة بورجوازي كبير . ويبدو أن عند المرأة تضخماً في الحنجرة . ولذا يمكن أن تكون في غرفة الإنتظار عند أحد الأطباء . لا . . . لا أعتقد ذلك لأنه كان ينبغي أن تكون هناك بعض الكراسي والصحف ، ولكن هذا ليس ضرورياً ، ربما كانت الغرفة غرفة طعام والمرأة تريد الحصول على شيء منها . لو أنني أعرف فقط ما هو هذا الشيء . . . » .

في هذه القصة تبدو بوضوح مختلف العناصر المميزة للمس وحالات المس . وهذه القصة هي الوحيدة بين القصص التي حصلنا عليها والتي يناقش المفحوص فيها لمعرفة ما إذا كانت المرأة تعود إلى بيتها أو تذهب عند شخص غريب ، وذلك يعود إلى

أن المفحوص مصاب بالهوس ، ففي كل مرة يعود إلى بيته يحاول أن يتحقق فيما إذا كان موجوداً في الطابق نفسه الذي يسكن فيه ، لأن كل أبواب البناية متشابهة ولهذا فهو يشك في أن يكون مخدوعاً بالطابق ويخشى أن يفتح باب بيت آخر ، مما قد يؤدي إلى حدوث متاعب له فيلقى القبض عليه بتهمة اللصوصية أو أن يوجه إليه اللوم على الأقل . لن نتعرض لمختلف معاني هذا العارض ولكننا نلاحظ فقط أن الأمر يتعلق بسيدة يسره أن يتعرف عليها ولكنها تقطن طابقاً آخر .

وفضلاً عن ذلك فاننا نلاحظ أن هذا المفحوص كان يلقي على نفسه ، في أثناء سرد الحكاية ، أسئلة . المصباح مضاء ولكن يبدو أننا في نهار . والكتب تدل على وجود أشخاص يقرأون ذوي مستوى ثقافي رفيع ولكن هذا الفرض ليس موافقاً لطبيعة البيت . فهذه غرفة انتظار عند طبيب ، ولكن لا ، ينبغي أن يكون فيها بعض المجلات . لا ، ليس هذا ضرورياً . إن انتباه الفرد موزع دائماً بين حلين مختلفين .

وفي الوقت نفسه نلاحظ عدة تفصيلات تستخدم في تفسير الصورة . ويصدمنا الإدعاء بالعلم الذي يركز على بعض التفصيلات ويفترض بعض الافتراضات ويناقشها ثم ينبذها بعد ذلك . إنه ينتقد وضع الآنية . ويلمح تضخماً في حنجرة المرأة الموجودة في الصورة مما يعطينا فكرة حول بعض تصورات وسواسية مرضية ، وكذلك الأمر بالنسبة لغرفة الانتظار عند الطبيب . والواقع أن مفحوصنا منشغل جداً بصحته على الرغم من أن أي واحد من الأطباء الذين سنحت لهم فرصة فحصه لم يجد امارة لإصابة عضوية عنده . والمفحوص يتقمص تقمصاً شديداً شخصية المرأة الماثلة في الصورة . فهل نجد في هذا دليلاً على وجود بعض النزعات الجنسية المثلية الخفية ؟ ويجب أن نضيف إلى هذا أنه ، في بعض القصص الأخرى، يتقمص شخصيات نسائية أيضاً ، حين يدخل شخصيات جديدة على الشخصيات الموجودة في اللوحة ، فيضيف رجلاً يتعلق به البطل ، كما هي الحال في القصة (٤) حيث استطاعت المرأة أن تنتزع من البطل صديقه وأراد البطل أن يقطع صلته بها بغية الرجوع إلى صديقه ، وفي القصة (MB ٧) يلمح المفحوص شاباً ورجلاً طاعنا في السن وهما مرتبطان فيما بينهما ارتباطاً وثيقاً جداً . وسنعود بشيء من التفصيل إلى مسألة الجنسية المثلية .

ويبرز عنصر المس بوضوح في القصة التالية التي يسردها شخص عمره أربعون سنة حول اللوحة (MB ٨) :

« يبدو أن الشاب الموجود في مقدمة اللوحة يحمل فكرة لا يستطيع التخلص منها . ربما قتل شخصاً أو ربما كانت عنده النية في ذلك . وهو يرى دائماً صورة هذا الرجل أمامه في اثناء تعرضه لإجراء عملية سريعة . ولا يستطيع التخلص من الخوف المتواصل بأن الأمر سينتهي نهاية سيئة » .

والواقع أن عند هذا المريض نفسه مساً لا يستطيع التخلص منه ، ولكنه مس مضاد على وجه التحديد : فهوْ يخشى أن يهاجم ، أن يجرح ، أن يرغم على التعرض لإجراء عملية جراحية يتألم بسببها كثيراً . إن المريض يملك حانة في حي وضيع ويخشى دائماً أن يقتل من قبل أحد زبائنه . ليس الأمر بالنسبة إليه متعلقاً بفكرة هذيانية ولكن بمس نجم للمرة الأولى في لحظة تخاصم فيها اثنان من زبائنه إلى درجة الإستعانة بالأيدي . واعتبرت المسألة « تصفية حساب » . وكان عليه أن يتدخل لفض النزاع بينهما لكنه عوضاً عن أن يفعل ذلك هرب ظاناً أنه سيلقى القبض عليه إذا حاول فصل المتنازعين . ومنذ تلك اللحظة لا يستطيع أن يتخلص من فكرة أن يهاجمه أحد الناس . ولن نتعرض هنا للأسباب العميقة لهذه الفكرة .

وفي بعض الحالات سمحت اللوحة (GF ٧) لبعض أفكار المس بأن تظهر . في المحادثة بين المرأة والبنت اللتين تعتبران ، بصورة عامة ، أماً وبنتاً ، نجد اشارة ، في عدد كبير من الحالات ، إلى محادثة حول موضوع جنسي ، والبنت تتملكها أفكار جنسية . كما في المثل الآتي :

« مضى زمن طويل والبنية الصغيرة تتساءل من أين وكيف يولد الأطفال الصغار ؟ ولم تكن تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير في هذا الأمر . وأخيراً سألت أمها عنه . ولم تجد أمها سهولة في الإجابة عن هذا السؤال . فقدمت إليها هدية هي لعبة وقالت لها إن من الأفضل أن تلعب باللعبة وألّا تفكر في هذه الأمور . ولكن البنية لم تكن لتستطيع أن تمنع نفسها من التفكير في ذلك . وأخيراً اشترت أمها كتاباً يبحث في هذه المسألة وقرأته على ابنتها . إلا أن الطفلة قد تملكتها الفكرة إلى حد أنها لم تكن لتستمع لأمها في أثناء القراءة. وكان على الأم أن ترتدي ثيابها، بشكل آخر، وألّا تتبرج بهذه الصورة لأنه ليس من اللائق فعل ذلك في أثناء التحدث عن مثل هذه الأمور مع الطفلة . ويبدو أن الطفلة كانت ضعيفة النمو ، وهذا ما يلاحظ في الصورة على الأقل . إلا أنها طويلة بالنسبة لعمرها ، وتبدو كأنها راشدة . وكان من الأفضل أن

تتحدث معها بصراحة ، وهذا ما تراه الطفلة نفسها . وهي الآن منشغلة جداً بهذه الأمور التي لا تستطيع أن تكف عن التفكير فيها وعن السؤال عن تفصيلاتها لدى رفيقاتها . وليس هذا ما ينبغي عمله » .

يبدو هنا طابع المس واضحاً ، فالمفحوصة فتاة عمرها سبع عشرة سنة مشغولة جداً بالمسائل الجنسية ولا تستطيع إلا التفكير فيها . ولكننا نلاحظ ، زيادة على ذلك ، أن نوعين من التفاصيل يصدماننا : الثوب المتبرج الذي ترتديه الأم والبنت التي تبدو قليلة النمو . نوعان من التفاصيل يبدو أولها « سخيفاً » ، وحتى ما قالته حول شراء أمها لكتاب يبحث في المسائل الجنسية يعتبر « سخيفاً » كذلك .

٤ ـ دلائل عدوان عام ولكنه مكبوت

إذا عثرنا، بصورة مفاجئة، في وسط القصص «الإعتيادية» على قصة تعبر عن عدوان قوي جداً دون أن تنتهي نهاية دموية فان هذا الواقع يكشف عن نزعات عدوانية قوية ولكنها مكبوتة ، حسب رأي رابابورت وشافر . ويذكر هذان المؤلفان مثلاً على ذلك ملاحظات حول القصة (MB ٧) : « هذا الولد محطم تماماً لأن والديه قد تمزقا أرباً في حادث انفجار » أو حول (MB ١٧) : هذا الرجل قد قتل ، قبل قليل ، زوجته بالتأكيد » . ومما يبدو مميزاً هنا ليست النزعة العدوانية البادية بقدر التفسير الغريب للصورة ، ذلك التفسير الذي يختلف عما يقدمه أغلب المفحوصين ، وندرة ظهور النزعات العدوانية في الصور العشرين » .

ويلح رابابورت وشافر على أن القتل إذا حدث على أفراد العائلة القريبين أو إذا تكرر القتل والفظاظة مع وصف مفصل ، أو إذا كانا دمويين أو دليلين على سادية قوية ، فان القصص يمكن أن تصبح اشارة للذهان . خذوا مثلاً على ذلك الحكاية التي أوحتها القصة (BM ٣) : «قتل الولد أباه آنفاً قبل أن يتمكن هذا الأخير من ضربه بعصا الغولف الثقيلة لأن الولد كان قد عطّل السيارة » .

من الصعب استخلاص الأمثلة من مادتنا لأن الأمثلة لا تحصل على معناها الحقيقي إلا في علاقاتها مع مجموع الأمثلة . ومع ذلك فنحن نقدم بعض القصص التي تبدو مميزة . لنذكر أولاً مثلاً من المفحوص نفسه الذي رأيناه في الصفحة (   ) والذي سرده حول القصة (١٥) لكي يكشف عن سقوطه الانفعالي .

ولنلاحظ أن هذا الشخص قد قص حول الصورة (MF ١٣) التي تظهر فيها دائماً النزعات العدوانية والتي تعتبر ، بصورة عامة ، ممثلة لقتل امرأة من قبل زوجها أو عشيقها - قصة رجل اعتنى بامرأته المريضة ، بإخلاص وود كبيرين لكنه لم يستطع انقاذها وهو معذب لموتها ولا يستطيع التخلص من هذا العذاب ، حتى إنه لا يستطيع أن يصدق ما حدث ، وحينما يحس بذلك بوضوح ، فيما بعد ، سيدرك أيضاً مقدار بؤسه ووحدته ، وسيتألم بشكل مريع . وحول اللوحة (١١) يقص الشخص نفسه ما يأتي :

« أظن أن هذه مغارة عميقة وهائلة حتى ليمكن القول إنها من النوع العفريتي . والنور يتغلغل إليها بشكل من الأشكال دون أن يعرف مصدره . ويبدو أن هذه المغارة لا نهاية لها ، كما هي الحال في قصص العفاريت . ويبدو أن شبحاً يختبىء في مكان ما من هذه المغارة . وإذا أراد انسان أن يدخل إلى هذه المغارة فان الشبح سينقض عليه ويهاجمه ويطارده . وتغلق المغارة عليه فلا يستطيع الخروج منها . وحينئذ سيفترسه الشبح . هذه اللوحة مفزعة ، لكنها جذابة في الوقت نفسه » .

ومن الجدير ذكره أن العدوان ، في مغارة رسمت في البدء بألوان زاهية ، ينبثق بشكل غير متوقع ومن جانب الشبح وليس من جهة الرجل ، وهذا ينبىء عن عدة نزعات عدوانية . والواقع أن تحليلاً موسعاً لأزمات المفحوص يظهر عدواناً قوياً موجهاً ضد الأبوين ولكنه ، بدون شك ، مكبوت لهذا السبب بالذات .

لنذكر أيضاً قصة شاب ، في التاسعة عشرة من عمره ، في غاية العذوبة ، لا تكشف اللوحات عنده أية نزعة عدوانية (اللوحات ٤ - ٨ BM - ٩ BM - ١٣ MF - ١٥ - ١٧ BM التي تكشف عن هذه النزعات عادة) . فهو يرى رجلاً مجهداً ينام واقفاً ويسنده الآخرون . في اللوحة (٤) امرأة تحب زوجها حباً جماً إلى درجة أن انفصالاً قصيراً بسبب رحلة يفكر فيها الزوج يجعلها تتعذب الخ . . . وحول (٢٠) يسرد ما يلي :

« هذا الرجل يقف هناك وينتظر أحد الأغنياء لكي يمر قريباً منه ، إنه ينتظر رجلاً عنده المال الوفير لأنه فقير جداً لا مال عنده ويعرف ما معنى أن يكون المرء فقيراً يتألم من الجوع . ولهذا فهو لن يهاجم فقيراً بل أنه سيعتدي على غني يبتز منه ماله ويعيش به مؤمناً حياته » .

هذه هي القصة الوحيدة التي تبدو فيها النزعات العدوانية بوضوح على شكل عدوان موجه ضد النظام الاجتماعي والأوهام التي لا يفكر المفحوص بقبولها . إنه يسعى لتبرير عدائه أمام نفسه عن طريق عدم الإعتداء على فقير ، ويفكر بأن الغني لن يكون بائساً حتى لو ابتز منه ما يحمله في جيوبه لكي يستفيد هو منه في تلك اللحظة . ولنلاحظ أن عدوانه موجه جزئياً ضد أمه التي يلومها على بخلها وعلى عدم اعطائها اياه مصروفه اليومي وعلى عدم لطفها معه . فهو جزئياً معاد لها لتلك الأسباب السابقة ولأنها تريد أن تتزوج أيضاً . كل ذلك مكبوت كبتاً قوياً بواسطة أنا عليا قاسية عاقبته بالعجز الجنسي . إنه ، في أعماق ذاته ، متعلق بأمه وهو بحاجة ماسة إلى المحبة .

٥ ـ سمات هذيانية في القصص

إن السمات الهذيانية في القصص ، يمكن أن تنبىء عن موقف هذياني وفصام هذياني ونزعات هذيانية . ويتحدث رابابورت وشافر عن السمات الهذيانية عندما يكون سبب الإشتباه والتجسس يشغل مكاناً واسعاً في القصص أو عندما يستخلص المفحوص بعض النتائج الخرقاء والمصطنعة حول الفاحص وعندما تلعب الاعتبارات أو النقود للنظام الأخلاقي دوراً هاماً في انتاج المفحوص من القصص ، وعندما يوجد بون كبير بين اللوحة والقصة أو عندما تكون الوسيلة غير معترف بها بوضوح أو مشوهة .

لنذكر بعض الأمثلة القصيرة التي سردها رابابورت وشافر . يقول المفحوص مثلاً حول اللوحة (٥) : « إن هذا اشتباه أكثر من أي شيء آخر ، وعوضاً عن أن ترى فانها تجد الاشتباه في نفسها » . ومفحوص آخر يقول حول اللوحة نفسها : « إن تعبيرها يسمح بالقول إن شيئاً منفراً موجود في الغرفة » . وآخر يقول حول اللوحة (٥) أيضاً : « حين يرى المرء بعد الكراسي عن الطاولة يستطيع أن يستنتج أن ساعة تناول الشاي قد مرت » . وآخر يلاحظ حول اللوحة (٦ BM) : « ينبغي أن يكون المشهد وداعاً . ومما يرجح هذا الفرض أن المرأة تحمل منديلاً بيدها . ذلك لأنه لو عاد فجأة لما حملت بيدها المنديل ، والعكس يحدث إذا قالت له أن يتركها وحدها بسبب سلوكها السيء ، ونظراً لأنها تعرف مسبقاً أنه سيكون هناك مشاهد مضطربة ترافقها

الدموع فانها حملت منديلها بيدها لتكون مستعدة لاستخدامه » . وكمثال على نزعة التخلق القوية يسرد المؤلفان الخلاصة التالية لقصة سردت حول (١٣ BF) :

« لقد عادا سوية إلى البيت واتصلا اتصالاً جنسياً ، وخجلا من ذلك ، وخاصة المرأة التي ذابت من الخجل » .

ويوجد غلط ظاهر حين يتكلم المفحوص مثلاً عن رجل في اللوحة (٥) بينما يكون الشخصان في (١٢ M) امرأتين ، أو عندما يلاحظ ، في هذه اللوحة نفسها ، ذراعاً ممدودة تحمل سلاحاً أو رجلاً يشنق نفسه ، أو حين يوحي ، في اللوحة (٣ GF) بأن الذراع الممدودة هي ذراع بنت توجد خلف الباب . كما أن انتقاد النزعات العدوانية انتقاداً قوياً يمكن أن يعتبر سمة هذيانية . والأمر نفسه حين تضاف اعتبارات عامة إلى النص كما نجد هنا حول اللوحة (١٠) : « زواج شقي » حين يطلب إلى المفحوص أن يسرد علينا ما جرى قبل هذا المشهد نجده يجيب : « بعض الناس سعداء وبعضهم ليسوا كذلك » . وهذا نوع من الإجابة الجانبية ، وحتى تدخل القوى الخارجية يمكن أن يشير إلى النزعات الهذيانية كأن يلاحظ المفحوص أن شخصاً قد جرح من قبل قوى خارجية أو أن يتكلم حول (١٤) على « القوى الموجهة للنور » .

لنذكر الآن سلسلة من الأمثلة المستقاة من مادتنا الخاصة . امرأة عمرها أربع وعشرون سنة تقص علينا حول اللوحة (٦ GF) :

« تلاحظ المرأة أن زوجها قد شاخ كثيراً . ونظراً لأنها تحبه حباً جماً فانها قد تألمت من ذلك . لقد ظهر عليه الكبر لأن المرأة تعذبه كثيراً فهي غيور . تشك فيه دائماً وتتهمه بالخيانة » .

في هذه القصة تنظر المفحوصة إلى سمات الرجل نظرة سيئة ، وكذلك الأمر بالنسبة لسمات المرأة . المريضة فريسة خوف دائم من أن تخدع أو تعذب (ليس فقط من قبل زوجها وحده بل من الناس جميعاً في الواقع) .

وحول (٣ GF) تسرد القصة التالية :

« هذا سجن . المرأة اقترفت عملاً سيئاً جداً . ولكن ثمة أبرياء ظلموا ودخلوا في السجن دون أن يفعلوا شيئاً . ولقد وضعوا فيه لأنهم غير محبوبين فقط . وبقية الرجال معهم يحاولون تهدئتهم . ولكن هؤلاء الرجال خبثاء » .

والمرأة نفسها تسرد حول (GF ٧) :

« هذه المرأة مع ابنتها . والبنت تتسلى مع اللعبة . وأمها تراقبها ، وترى كل ما تفعله . البنت تحلم بأشياء غير موجودة اطلاقاً في الحاضر أو في الماضي » .

وهنا أيضاً نجد أن اللوحة لم ينظر إليها إلا بشكل سيء . فالأم لا يبدو عليها أنها تراقب ابنتها بل أنها تتحدث إليها وتقص عليها شيئاً . إلا أن المريضة تحسّ بأن ثمة من يراقبها . وعامل آخر يبدو واضحاً هو الإنقطاع عن الحقيقة . فهي تكرر في عدة مناسبات « أشياء لم توجد ولن توجد » . وهي ، في الوقت الحاضر ، قادرة على تمييز أحلامها عن الحقيقة ، ولكن ثمة لحظات لا يكون الأمر فيها على هذا المنوال .

لنذكر أيضاً القصة التي سردتها المريضة نفسها حول (GF ١٨) :

« هذا الرجل تربص بالمرأة وتبعها . لم ترتكب المرأة شيئاً لكنها فرّت منه . بيد أن الرجل لحق بها في أحد ممرات البيت . وفكر أن المرأة تريد به سوءاً . إلا أنها بريئة . لكنه يوقعها على الأرض . . . انني لم أفعل شيئاً مع أحد إلا أن الناس لؤماء معي . لقد استدعيت إلى البوليس دون أن أفعل شيئاً . ونظروا إليّ هناك كأني قد ارتكبت أي شيء » .

نجد هنا فكرة التعذيب واضحة التعبير يتلوها مباشرة التبرير : هي بريئة ومع ذلك . . . وحتى الظالم يشعر بأنه مظلوم . فلقد استدعيت إلى مفوضية الشرطة ، في الواقع ، لوجود خلافات بينها وبين المستأجرين إذ اتهمتهم بأنهم يريدون بها سوءاً وبأنهم يراقبونها ، ويريدون التأثير في زوجها .

كما أننا نصادف غالباً بعض السمات الأخرى في قصص الأفراد الهذيانيين مثل نقص اتصال الرجال فيما بينهم إذ أن كل منهم يعيش لنفسه قريباً من الآخرين . وفي بعض الأحيان لا يجري الحديث إلا عن شخص واحد وكثيراً ما تكون الجمل قصيرة ومنفصلة عن بعضها دون حروف عطف . وسنذكر مثالاً على ذلك متعلقاً باللوحة (٩ GF) :

« هاتان فتاتان : احدهما في المركب . والثانية تركض . إنها تهرب . لا تريد أن تحضر سفر أختها . والأخرى تنظر من جهتها . هي حزينة (لماذا ؟) . الأخت تذهب . (ماذا سيجري ؟) . فتاة المركب ستتزوج . والأخرى ستظل عانساً . إحداهما ستذهب إلى أوروبا بينما ستذهب الثانية إلى بلد حار » .

في هـذه القصة نجـد أن اللوحـة وصفت وصفـاً سيئـاً . فنحن لا نجـد في أي جـانب منهـا المـاء أو المـركب . ولا شيء ينبىء بسفـر أو فـراق . الجمـل قصـيرة . والكائنان الموجودان في اللوحة لا علاقة بينهما سوى ابتعاد إحدهما عن الآخر .

والشخص نفسه يقص حول اللوحة (١١) :

« هذه عاصفة من الثلج . كل الحجارة تتساقط . هـذا حيوان يقفـز في الهواء . وهذا هو الماء . نحن في المساء . هـذا جل أيضـاً . يوجـد جسر . وهذه حيـوانات . هذا هو كل شيء (ما معنى كل هذا ؟) . الفوضى . كلهم خائفون . إنه الفزع » .

هنا إذن تعداد للتفاصيل دونما رابطة بينها . من المؤكد أنها قد لوحظت ملاحظة سيئة . فالحيوان الغامض الـزاحف على الأرض قـد تصورتـه رجلاً والجميـع كأنهم في انهيار تعم فيه الفوضى العالم على غرار عـالم المريضـة . وجميع مـا في اللوحة يعـبر عن الخوف وحتى عن الفزع .

وحول (GF ١٢) نجدها تقول :

« هذه ساحرة تقول بعض الأشيـاء السيئة وتؤثـر في اولئك الـذين يقتربـون منها وترغمهم على أن يفعلوا سـوءاً بالآخـرين (أي سوء ؟) لا أعـرف . السوء . الفتـاة الشابة ستفعل سوءاً . ستأخذ أموال الآخرين وستقتل رجالاً آخرين وعائلتها » .

هنا تتجلى بوضوح عاطفة التـأثير بـواسطة « السـاحرة» . الشـابة ستقتـل أناسـاً وعائلتها . وهذا يعني حسب رأي رابابورت وشافـر وجود نـزعات هـذيانيـة . وفضلاً عن ذلك فالجمـل هنا قصـيرة بشكل خـاص دون رابطة بينهـا . ومرضى هـذا الفريق يرون ، في البدء ، غالباً تفاصيل الصورة ولكنهم يتركونها كما هي دون أن يربطوا فيـما بينها . وكأن العالم عندهم قد تقلص إلى أجزاء من كل .

٦ ـ العمليات الفصامية

يـظهر وجـود العمليات الفصـامية ، كـما يرى رابـابورت وشـافر ، في المحتـوى الخاص للقصة ، وفي جزء منه ، في استجابة المفحوص الخاصة ازاء الصور ، سواء في طـريقة تعبـيره الشفهي ، وحتى في موقفـه من الفـاحص أو الفحص . ويـرى هـذان المؤلفان أن المحتوى غير مقبول ، في الغالب ، وعلى هذا النحو تـوصف اللوحة (١٠)

بـأنها مشهد حب بـين رجلين يحبان بعضهـما حباً جنسيـاً مثلياً ، أو حسب تجـاربنـا ، لاحظنا أن اللوحة (١٧) قد رئيت على أنها تدريب شاب يريد عبور المانش ، و(١٩ M) كأنها عدوان بيد مسلحة ، و(٣ BM) تمثل صبياً هارباً ينتظر القاء القبض عليه والحكم بالموت .

ودلالة أخرى على وجود هذا المرض هي التأويل الرمزي لبعض التفصيـلات . ويـذكر رابـابورت وشـافر مثـلاً عـلى ذلـك جسر (١٧ GF) الـذي عـرف عـلى أنـه « السراط المستقيم الذي يفصل بين الحياة والموت ، إذ أن الشمس هي الحياة والماء هو الموت . أما الفتاة فغير محددة ، وأما العمال فيرمزون إلى العبوديـة في العمل لأن عليهم أن يقـوموا بعمـل مرهق . والفتـاة تعرف أنها إذا لم تجـد لها مكـاناً عـلى الشمس فانها ستصبح واحدة من هاتيك العـاملات أو أن كـل شيء سينتهي في الماء . هـذا كل مـا استطعت أن أستخلصه من هذا الوضع غير الواضح » .

وسنذكر ما يقول حول اللوحة نفسهـا أحد مفحـوصينا الـذي تقترب قصتـه من هذه القصة التي ذكرها رابابورت وشافر .

« هـذه اللوحة تـظهر كيف أن أشيـاء الأرض مرتبـطة بأشيـاء السماء . فـالمـرأة موجودة بين الأرض والسماء . وهي موجودة على محور القمـر . والمنظر جميعـه يعني أن الرجل يوجد بين السماء والأرض عـلى محور القمـر (في الليل) وهـو وحيد ، استـولى عليـه القلق . أما الـرجال في الأسفـل فدليـل على أن الأرض تجـذب الناس ، ولكن المرأة توجد على الجسر ، وهذا دليل على أنها لا تعرف فيما إذا كان عليها أن تسمو نحو السماء أو أنها ستنجذب نحو الأرض » .

ويقول المفحوص نفسه حول اللوحة (١٨ GF) :

« هذه لوحة البؤس الذي يأخذ في تـلابيب الإنسان . والـطريق الصاعـدة تشير إلى أن الناس الذين يعيشون في الشقاء لا يعرفون أين يذهبون . هـذا بيت فقير . ولا مفر لهؤلاء الناس . . . » .

وفي قصص هذا المفحوص الأخرى تظهر النزعـة الرمـزية أقـل وضوحـاً مما هي عليه في القصتين اللتين ذكرناهما آنفاً .

وثمة علامة أخرى للفصام هي الإنعزال عن العالم . ويعطي المؤلفان المذكوران مثالاً على ذلك قصة سردت حول اللوحة (١،٤) قيل فيها :

« هذا الرجل حارس برج . في داخل البرج يخيم ظلام دامس . وليس له إلا نافذة واحدة وباب زجاجي . يأتي إليه الرجل كل صباح لينظر إلى عالم الأحياء وثقافتهم ، ويفكر ، ويتفلسف وحيداً في جميع الأمور المختلفة ، ولكنه ما يلبث أن يعود إلى واجباته التي تحجزه في ظلام هذا البرج المنعزل عن العالم » .

إن مثل هذه القصة ، حسب ما يرى رابابورت وشافر ، متكررة في حالات ما قبل الفصامية ، حيث يشعر الناس أنهم أسعد من غيرهم وآمن حين يكونون في عزلة ، وهم يعتصمون في برج ويبتعدون عن الآخرين .

ونجد ، بالإضافة إلى ذلك ، في قصص بعض المرضى الفصاميين ، أفكاراً اجرامية وأعراضاً حمقاء . ففي اللوحة (٢٠) نجد الشخص نفسه الذي سرد علينا القصص السابقة يقول :

«هذا الرجل يعذب من قبل الآخرين الذين يفرضون عليه القيام بأعمال لا يريدها . ولكنه يريد أن يتخلص من هذا الوضع . ولهذا نراه يتيه هنا ولكن قوة الآخرين تطارده . ولا يستطيع لها رداً . لذلك نجده يستريح هنا . ولكنه يحس كيف يسيطر عليه الآخرون . فيقوم ، لأنه لا يستطيع أن يبقى في مكانه » .

وتصادف محتويات خرقاء دائماً في قصص المفحوصين الذين لم يصابوا بذهان من طبيعة فصامية بكل هذه الكلمة من معنى والذي لا يظهرون إلا نزعات فصامية . وعلى هذا النحو يذكر رابابورت وشافر مثالاً يسرد فيه المفحوص حول القصة (١٨) :

« عنده هلوسة . وانه ليشعر كأن شخصاً يهاجمه من خلف . ينزل إلى الشارع . وقوة مجهولة تضع أصابعها النحيلة حول عنقه وتجهد في خنقه . يسقط أرضاً . يعثر عليه رجال الشرطة . لقد تخيل أن شخصاً ، كان قد قتله ، قد عاد إلى الحياة وتتبع آثاره » .

وأحد مفحوصينا يسرد حول (١٩) :

« هذه هي السماء حيث توجد أرواح وأشباح . وهذا هو بيتها . وعند هؤلاء نساء في البيت . والنساء يهيئن شراً للناس بزرع الفساد على الأرض . السماء مظلمة . وهذا هو الماء . وهذه هي الغيوم . وثمة مدخنة أيضاً . ولا أعرف شيئاً آخر » .

ومحتويات خرقاء تصادف أيضاً ، كما أشرنا ، وعلى هذا النحو يقول أحدهم حول اللوحة (BM ١٧) إن الرجل يتدرب من أجل سباق في السباحة ، أو أن تعتبر الفتاتان في (GF ٩) عارضتي أزياء ينبغي عليهما عرض بعض الأثواب . وفضلاً عن ذلك فان من الملائم أن يكون المرء حذراً في التأويل هنا والتأكد من أنه لا يوجد شيء خاص في حياة المفحوص يمكن أن يفسر لنا تأويل الصورة . وعلى هذا النحو قيل لنا في إحدى الحالات حول (١٨) إن الأمر يتعلق بفنانة موجودة في غرفة ثيابها مع خادمتها التي تتساءل عن الثوب الذي ينبغي أن ترتديه الفنانة . وقد وجد أن لهذا الشخص المفحوص صديقة فنانة كان يزورها أحياناً في مسكنها ، وكانت الخادم لا تحسن استقباله لأنها لم تكن تحب أحداً ولأنها تعتقد بأن الناس جميعاً يعتبرونها قوادة (وهذه الوقائع ترجع إلى فترة زمنية بعيدة) . ومع ذلك فان صديقة مفحوصنا لم تكن تريد الانفصال عن هذه المرأة إلى أن جاء وقت شعرت فيه أن تلك المرأة كانت تسرقها . وعلى الرغم من أن هذا التأويل يبدو غريباً ، في هذه الحال ، إلا أنه ذو دلالة مع ذلك وهو يكشف عن النزعات الفصامية . وفي حالات أخرى تفسر القصص ، التي تبدو خرقاء للوهلة الأولى ، الشخصية تفسيراً يكون في غاية السهولة .

ويرى رابابورت وشافر أيضاً أن التعميمات الغامضة تكشف عن العمليات الفصامية كما نجد في القصة التالية التي سرداها والتي ذكرها مفحوص حول (١٤) :

« هذا فتى في العاشرة من عمره ينظر من النافذة المفتوحة ويحاول أن يرى أو يتصور نتيجة واحدة من خلاصاته . والنتيجة أو الخلاصة ربما ستكون كما تصورها . (ماذا تريد أن تقول بهذا ؟ ؟) النتيجة هي أن مشروعه سينجح (أي مشروع ؟ ؟) . ومشروعه هو الحصول على نتائج بعض المعطيات التي يفكر أنها صحيحة » .

هنا يبدو لنا أن **التعميم الغامض** أقل من عدم التلاحم وزوال حس الدلالة التي يقدمها المفحوص والتي تشهد على وجود عمليات فصامية .

وعدم التلاحم دليل هام ، وكذلك ادخال ملاحظات وتقديرات دون أن تكون لها علاقة بالقصة . وهذا ما نراه في القصة التي يسردها رابابورت وشافر حول اللوحة (١) : « الفتى الصغير يتدرب على الكمان . إنه عصبي وأمه تريد أن يكون أكبر

عازف على الكمان في العالم » وحول (M ١٢) : « كانت تملك مجموعة من الأسلحة النارية ، وكان احدها محشواً أطلق النار حولها بهذا السلاح المحشو . لقد كان وحشاً سكيراً (هل كان هذا حادثاً طارئاً ؟ ؟) لا ، إنه كان مصمماً على فعل ذلك . فالفتاة نسيت أن تنزع الرصاصة . لقد كان يحبها ولكنه قتلها (لماذا ؟ ؟) إنه لم يكن يحب مجموعة أسلحتها » . وهنا نلاحظ عدم تماسك القصة .

وقد نجد ، بصورة عارضة ، قصصاً مضطربة النظام جداً تجري فيها عدة حوادث في آن واحد ثم تختلط ، أو تبدأ القصة ، وقبل أن تنتهي تبدأ قصة جديدة ثم ترجع القصة الأولى الخ . . . والمحتوى مشوش وغير مفهوم . ولنذكر المثال التالي حول القصة (GF ٩) :

« هاتان فتاتان . ترى إحداهما شيئاً بدون شك . وهي لم تقم بشي في حياتها . الرجال أشرار . إنها لا تعمل . وهي فتاة فقيرة . ولكن كل شيء في بيتها ثمين . أما الأخرى فلا أعرف . إنها ليست قصة . الفتاة ترى شخصاً مقبلاً . ستتكلم الأخرى . لا أعرف شيئاً » .

ويصدف أحياناً أن أحداث حياة المفحوص تختلط بالأشياء المعروضة على اللوحة كما في القصة (١) التي سردها الشخص نفسه :

« هذا فتى صغير . إنه فنان يحب العزف على الكمان . إنه لأمر محزن . عندي أيضاً ولد . وانني أعبده . أصيب بالتهاب السحايا . ولقد أثارني ذلك . لقد تركني زوجي لأنه لا يريد أن يعيش معي . فتى الصورة أعمى . وهذا ناجم عن الحرب . والألمان هم الذين فعلوا به ذلك . لقد فعلوا الكثير من الشر . يريد الفتى أن يعزف على الكمان . ولكنه لا يعرف كيف . لقد قتل الألمان أطفال أخي . وكان زوجي في السجن . الفتى أعمى . يا للفتى المسكين » .

ويكون المحتوى تعسفياً في الغالب ، لا يمكن قبوله كما في أمثلة رابابورت وشافر حول (١٥) : « هذا الرجل يبدو أنه معلم ، وهذه قبور تلاميذه » أو « يبدو أن هذه قاعة موسيقى خالية على الرغم من أنها مقبرة » . وقد لاحظ المؤلفان نفسهما أنه ، عند الفصاميين ، يمكن أن تكون القصة متلاحقة الصور وأن يتساءل المفحوص أحياناً فيما إذا كان عليه أن يستمر في سرد القصة التي بدأ بها حول الصور التالية التي تعرض

عليه . وأن ما هو ذو دلالة هنا أيضاً هو أن المفحوصين يقدمون أسباباً غير مناسبة حول سلوك شخصياتهم . وإذا كان المفحوص يقول حول اللوحة (١٠) إن بين الأشخاص علاقات جنسية ويعلل ذلك بما يلي : « الرجل أكبر من المرأة » فينبغي أن نرى هنا اضطرابات بالمظهر الفصامي . وحول بعض الصور يمكن أن يحس المفحوص بالارتباك وبالكف فينمق أحكاماً اخلاقية ، ولكن ينبغي أن يكون المرء هنا فطناً قبل أن يتحدث عن الاضطراب الفصامي . وعلى هذا النحو حين يتحدث مفحوص بما يلي حول اللوحة (MF ١٣) : « توجد المرأة في وضع مريب . كان عليها أن تغطي جسمها على الأقل . هذا غير مناسب . وخاصة أن هذين الشخصين غير متزوجين » . فلا يتعلق الأمر ، في هذه الحال بمريضة فصامية بل بفتاة عمرها (١٧) سنة معرضة لإلحاحات جنسية قوية وتحاول أن تدافع عن نفسها بأن تحيط نفسها بجدار من الأمن .

وخرق اللغة يمكن أن يكون شاهداً على عملية الفصام . وعلى هذا النحو يتكلم المفحوص في (١١) على « شبح ، نموذج للعاديات القديمة » ويتكلم في (١٤) على « غابة عذراء من النصب التذكارية » أو حين يقول « إن الرجال قد قتلوا كلهم من قبل الشبح » أو حول (BM ٣) « لا أرى هنا أي دليل على الحياة » .

لنذكر أيضاً هذه القصة التي سردتها فتاة في السادسة عشرة من عمرها بعد أن عرضنا عليها اللوحة البيضاء وسألناها أن تتخيل فيها صورة :

« أرى رجلاً طويلاً يرتدي السواد ويضع قبعة عالية على رأسه ويحمل عصا بيده . إنه يقوم بنزهة على جسور السين . حلّ المساء وأضيئت المصابيح . مرّ أمام بيت . ودخل في البيت . يفتح الباب . يلمح امرأة فيرميها على الأرض . ثم يذهب . يظهر الصباح . إنه ليس الرجل نفسه . إنه ليس رجلاً كالآخرين . يعود إلى بيته فيجد امرأته طريحة على الأرض . يتساءل عن الذي فعل ذلك . الرجل في السجن . يحل المساء . وهذا هو الآخر يقوم بالنزهة مرتدياً ثيابه السود . يدخل في مقهى . يطلب شراباً . يتناول قدحاً . وفي داخل القدح يلمح رجلاً قصيراً يرتدي ثياباً بيضا . يقول له : لقد قتلت المرأة . ثم يقوم بالنزهة أيضاً . هذه الفكرة تدور في رأسه دائماً . ثم يسقط مغشياً عليه . وفي الصباح يكون من جديد في بيته . إنه وحيد . وامرأته ميتة . يذهب إلى الطبيب ويقص عليه كل شيء فيقول له الطبيب :

لقد قتلت امرأتك . إنك مجنـون . لقد رأيت مثـل هذه الحـالة . والآخـر الذي حكم عليه بالإعدام أطلق سراحه . أما هو فقد شفي » .

هـذه القصة سردتهـا علينا فتـاة طالمـا تساءلنـا فيهـا إذا كـان علينـا أن نعتـبرهـا فصامية . لأننا نعتقد ـ بالأحرى ـ أن حالتها مـا قبل الفصـامية . وبمـا أن بعض نقاط القصة تذكـرنا بشريط سينـمائي كان يعـرض ذلك العصر من عصـور باريس فبوسعنا الظن بأنها ربما تأثرت بذكرياتها ، بيد أن مفحوصتنا تقول إنها لم تر مطلقاً شيئاً مشابهـاً أو أن تسمع شيئاً مشابهاً ، وإنها قد ابتدعت كل شيء من تلقاء نفسهـا . هذه القصـة تـوضح بعض العنـاصر . نلاحظ في البـدء ، أن الجمل قصـيرة مترابـطة فيـما بينهـا . والفتاة لا تحدد الوضع ولكنها تطور قصتها بدءاً من شخصية الرجل . يحس فيها المرء أنها تحتـوي عـلى شيء من القلق ، فـالشخص يتيـه ، وهـو مـدفـوع ، كـما يـلاحظ الانفصال عن العالم الخارجي والانقطاع الذي تشعر به الفتاة نفسها ، ويوجـد عندهـا شيء من الهلوسـة (الرجـل القصير في قـاع القدح) . وبعض الانـطبـاعـات المـادية مذكورة فيها . الرجل يسقط مغمى عليه . والموت الذي يتدخل هنا عن طريق الرمي على الأرض يستجيب أيضاً لبعض الانـطباعـات الحسية عنـدها . كـما يلح أيضاً عـلى الوحدة والفراغ لدى الرجل واضفاء الشعور الخاص بالذنب نحو الخارج (والآخر هو مؤلف الجريمة) وهذا ما نلاحظه أيضاً في الحالات الذهانية . كما نلاحظ كذلـك نوعـاً من الرمزية (الرجل يرتدي السواد ، ويضـع قبعة عـالية ممـا يدل عـلى أنه قـاض) . وحين نقارن هذه القصة مع غيرها ، يمكن أن ننظر إلى قتل المرأة هنا على أنه تعبير عن نزعات جنسية مكبوتة . والمريضة نفسها تتقمص شخصية الرجل . وفي القصة موقف مناهض ضد بعلها الذي كانت تعتقد أنه كان يعاملها معاملة سيئة . وفضلاً عن ذلك فـان قصتها تنبىء عن وعيهـا لحالتهـا (هل أنت مجنـون ؟) . وهي تعتبر أن حـالتهـا ليست اعتيادية ، وبينما كانت ، في البدء ، ترفض مقـابلة الطبيب انتهى بهـا الأمر إلى أن قبلت ذلك ، وهي ترغب الآن في الخروج من حالتها . وتحاول أن تتعلق بـأهداب الحقيقة . ويبدو لنا ذلك بادرة حسنة .

٧ ـ الجنسية المثلية

سنتكلم أيضـاً على بعض الاضـطرابات الأخـرى التي يبـدو أن الـ « ت . آ .

ت » يعطي عنها بعض الإرشادات ذات الطابع التشخيصي ، كما ترى، كما هي الحال بالنسبة للجنسية المثلية عند الذكور مثلاً . ولقد أشرنا إليها فيما سبق اشارة عارضة (ص) . وسنتوسع الآن في هذه النقطة . ولكي نحقق هذا الهدف لا بد لنا من ذكر الدلائل التي تبدو لنا مميزة .

ففي البدء نصادف عدواناً ضعيفاً في القصص . وحتى في اللوحتين ٤ ـ ١٨ BM) لا يكاد العدوان يظهر فيهما بصورة عامة . وهكذا نجد أحد مفحوصينا يقول حول (٤) إن الرجل يائس من المرأة التي تجلس في الداخل والتي ترتدي بشكل مبتذل ، وإن المرأة الأخرى تريد أن تتدخل بينهما وهي تنجح في ذلك . وحول اللوحة (BM ١٨) يقول إن الرجل قد جرح ، وثمة رجل آخر يساعده ، وثالث أيضاً يحاول أن يرفعه على ظهره لكي يقوده إلى بيته . وحول (١٠) يقول ، في البدء ، إنه يمكن أن يكون هناك « تصفية حساب » إلا أنه يتوقف مباشرة ليقول إنه جمركي يقوم بواجبه . والعدوانية من أي نوع لا وجود لها .

إن محتوى بعض القصص يدفع المرء إلى التفكير بأن القضية تتعلق بخلق ناجم عن الجنسية المثلية . يقال لنا حول (BM ٣) إن الأمر يتعلق بنموذج عند رسام وهي في أثناء اتخاذ الوضعية المناسبة . ويقال لنا ، حين نلح ، إن الأمر يتعلق « بمشهد خاص » وإن فتى الصورة (BM ٧) واقع تحت تأثير الرجل المسن وهو لا يستطيع التخلص من ذلك ، فقد كان عنده اجتماع للعمل إلا أن الرجل الكبير ناداه وانفرد به لكي يراوده عن نفسه . وحول اللوحة (BM ١٧) يقال لنا عن « البشاعة الجذابة » ، وفي خلال هذه القصة ، على عكس ما نلاحظ في حالات أخرى ، لا تبرز أية نزعة عدوانية ، والمسألة عند القاص إنما هي مسألة مشهد من الحياة الرياضية : « أعتقد أن هذا المشهد يجري في صالة رياضية حيث نجد تلميذاً يريد أن يلمع أمام رفاقه فيتسلق الحبل مستعيناً بيديه فقط ، وهذا أمر صعب ، وهذا هو الميدان الوحيد الذي يلاقي فيه هذا الفتى النجاح لأن وجهه لا يدل على أي ذكاء » . وما هو غريب فعلاً هو أن المفحوص لا يلاحظ الرجل العاري ويعتبر هذا الأمر عادياً . والرغبة في العرض ترجع إلى ما يعبر عنه رابابورت وشافر بلفظة « النزعات المسرحية » التي تتكرر ، بدون شك ، عند المفحوصين المصابين بالجنسية المثلية والتي تتجه نحو الرجال كما رأينا هنا .

وفي بعض الأحيان أيضاً حين يعرض رجال الصورة نصادف حالات الكف عند المفحوص ، كأن يبدأ قصته حول (BM ٩) ثم يقطعها ليقول « إن الحر شديد للغاية والرجال يستريحون بعد عملهم في الحصاد . ليس عندي شيء أضيفه . . . وبينهم . . . الآن لا أستطيع أن اضيف شيئاً وليس عندي ما أقول » أو أن يقول حول (BM ٨) : « رجل أجريت له عملية . وبما أنه لا يستطيع أن ينام فانه يتألم كثيراً ، وبينما هو يتألم يظهر له فجأة شبح هذا الشاب . . . لا أعرف ، ولا أستطيع أن أضيف شيئاً جديداً » . (هل هو شاب يعرفه ؟) فيذكر شيئاً رآه في الماضي . ولا أستطيع أن أزيد شيئاً » .

ونصادف عدداً قليلاً من النساء في القصص ، وحين يظهرن يكون موقف المفحوص منهن خاصاً . فهذا المفحوص مثلاً يقول حول (٥) : « عند هذه المرأة شيء منفر . إنها تسعى جاهدة في مفاجأة أحد أفراد أسرتها وهو يرتكب هفوة . إن عندها شيئاً من الترفع » . ويقول حول (١٠) : « يحس المرء عند رؤية هذه اللوحة بشيء من الهدوء مصدره هذه المرأة التي تعطي طابعاً للرجل بأنها تحميه . يفتح الرجل عينيه ويتصور الزواج بهذه المرأة . كان عليهما أن ينتظرا زمناً طويلاً . ولكن يحس المرء أنها ، على الرغم من عذوبتها الظاهرية ، تبدي شيئاً من الترفع ازاء الرجل . لا أستطيع أن أعتقد أن مثل هذا الزواج يمكن أن يعيش طويلاً ويكون سعيداً . « وهنا أيضاً نجد أن المرأة قد اعتبرت أقوى من الرجل الذي يبحث عن الحماية عندها ، أما علاقات (الرجل ـ المرأة) فغير موجودة أو هي بالأحرى علاقة (أم ـ ولد) .

وينبغي أن نشير كذلك إلى التفسير الذي نصادفه حول (BM ٦) : « هذه خادمة بيت مع خادم ينتظران عودة سيدهما الذي ذهب إلى المقبرة . ينبغي أن يكون الموت قد انتزع شخصاً عرفه الخادم عن قرب أيضاً ، ذلك أن وجهه يعبر عن حزن وعذاب » . هذا التفسير الذي يختلف عما صادفناه عادة يمكن أن يعتبر سخيفاً ، ويمكن تصنيفه مع الإجابات الفصامية . ومع ذلك فليس هناك فصام ، فالتحليل والمقارنة مع القصص الأخرى يظهران أن هناك اشارة لجنسية مثلية . ولا ننس أيضاً وجود الروابط الوثيقة التي يبدو أنها موجودة بين الخادم وسيده في هذه القصة .

وحول (M ١٢) يسرد أحد المفحوصين ، بعد أن وصف تجربة تنويم مغناطيسي أجريت عليه : « الآن يحاول أن يوقظ الرجل بعذوبة فائقة وحذر شديد ، ويقول له أن يحاول لمس يده . ثم يستيقظ الآخر ، ويدور بينهما حديث » .

هنا نلاحظ العذوبة والحذر وخاصة طلب لمس اليد أي اقامة اتصال مادي . وثمة مفحوص آخر يرى في (١٩) مركباً معبأ في بحر من الجليد ، ورجال المركب مرغمون على أن يعتمد الواحد منهم على الآخر أكثر من أي وقت مضى . ويسمح لهم الإتصال الوثيق فيما بينهم أن يحافظوا على شجاعتهم » .

في الأمثلة المذكورة تبدو بوضوح زمرة من السمات المميزة للجنسية المثلية . وإن مادتنا بالنسبة لوجهة النظر هذه صغيرة جداً ولا تسمح لنا باستخلاص النتائج العامة الصالحة من ملاحظاتنا . ومن الضروري جداً اجراء دراسات أخرى حول هذا الموضوع .

٨ ـ اضطرابات أخرى للسلوك الجنسي

وهنا أيضاً لا نملك مادة هامة ، ولكننا مع ذلك سنذكر بعض القصص . ولنبدأ بسرد واحدة منها قصها علينا فتى في السابعة عشرة حول اللوحة (MF ١٣) :

« المرأة الممددة على هذا السرير تبدو لي رائعة الجمال . ويخيل إليّ أنها في غيبوبة . وأعتقد أن الرجل الذي يقف إلى جانبها قد فضّ بكارتها ، إذ ألقى بنفسه عليها . ويبدو أنه الآن يعترف بخطئه . إنه رجل خبيث عنيف . ولذا فأنا أتساءل فيما إذا كان يأسف حقاً ، في أعماق نفسه ، للعمل الذي قام به . الغرفة حقيرة وسخة ، كما هي الحال عند أغلب الفقراء . وربما كانت غرفة المرأة ، ذلك أن الرجل يبدو نظيفاً وأنيقاً . وربما وجد شيئاً من اللذة في فض بكارة هذه المرأة . وإذا كان يظهر عليه شيء من الحزن الآن فما ذلك إلا لأنها فاقدة الوعي بسبب عنفه وضربه إياها ضرباً مبرحاً . لقد كان متهيجاً وبعد أن طرحها أرضاً فض بكارتها . المرأة شابة وجميلة ، أما أنا فأعتقد مع ذلك بأن الحق كان معه . نعم إنه فعل بها شراً وضربها ، وربما كان عنده شيء من الجنون ، ولكنها هي التي كانت السبب في ذلك . أما هو فلم يتمكن من ضبط نفسه . وإذا عاش الاثنان سوية فلن ينتهي الأمر بهما على ما يرام لأنه خبيث وعنيف وهو سادي . ولهذا فلا يمكن أن يعيشا سوية لأنها لن تحتمله وإن كانت ستتركه يفعل بها ما يشاء لأنها خنوع . تبدو في غاية الجمال . وبقدر ما هي غبية هو خبيث » .

لنلاحظ أن الفتى الذي يقص علينا هذه القصة هو مراهق خجول قلق متوتر

داخلياً . لم يعرف بعد العلاقات الجنسية مع النساء إلا أنه مشغول الفكر بهذه الناحية إلى حد المس . وفي هذه القصة تتجلى ميوله الجنسية وانحرافه وساديته ، وبعد الانتهاء من سرد قصته اعترف بأنه كثيراً ما يتصور نساء عاريات وهو يضربهن أو كما يقول : « يستسلمن لضربه » .

وفي قصص أخرى تتجلى النزعات نفسها ولكن بوضوح أقل، كأن نرى الرجل في اللوحة (BM ١٨) يوقف لأنه اقترف جريمة فظيعة بقتله امرأة بالخنجر . وفي (M ١٢) التي تمثل بوضوح رجلين يرى في الشخص النائم امرأة ، وفي ذاك الذي ينحني فوقها ويبدو كأنه ينومها تنويماً مغناطيسياً ، رجلاً يريد الاعتداء عليها ورميها . وهنا أيضاً يعيد القول أنه يجد الرجل (القاتل) « ودوداً ولطيفاً إلى حد كاف » .

ومن المفهوم ، في مثل هذه الأحوال ، أن يرتبط شعور قوي بالذنب مع الجنس ، وهذا واضح بشكل خاص في القصة (١٠) حيث يعتبر أن علاقات جنسية قد تمت . « إنهما يفكران أيضاً بما فعلاه سوياً ، ويبدو عليهما بأن الواحد منهما يعترف بجميل الآخر ، ولكنهما ، في الواقع وفي أعماقهما ، غير سعيدين ، إنهما خائفان ، إنهما . . . لا . . . إنهما سعيدان ويبدو عليهما الارتباك . ولكن ثمة شيئاً بينهما يجعلهما لا يريدان الافتراق عن بعضهما . ليس لهما الطبع نفسه ، ولكنهما ، مع ذلك ، سيعيشان سوياً . إن عندهما ، على الرغم من ذلك ، بعض الميزات ، وهذا هو السبب الذي يجعلهما لا يهجران بعضهما » .

وحتى في أحوال مختلفة نصادف نزعات سادية ، كما هي الحال عند الفتى الذي ذكرنا إحدى قصصه (ص :   ) : ابن الأخ يقتل ابني عمه ليصبح وريثه . وعن (١٩) يقول إن هناك كابوساً عند رجل يملك ، منذ صباه ، طبعاً سيئاً ولا يتردد عن ارتكاب أية جريمة ويقوم بالاعتداءات فيقتل ويسرق . وأسباب أخرى مشابهة توجد في قصص أخرى وفي هذه الحال تعبر النزعات السادية عن نفسها بشكل أقل صراحة مما وجدناه عند المفحوص السابق .

رجل في الخامسة والأربعين يقول حول الصورة (٤) إن « الرجل كان يحصل على اللذة بضرب المرأة . كان يرسلها إلى الشارع لتمارس الدعارة ، وكلما عادت بدون نقود كافية كان يضربها ، ولكنها كانت تجد ذلك أمراً عادياً لأنها كانت تستعد دائماً للذهاب إذ أنها تريد أن تحتفظ به إلى جوارها . ولكنه سوف يذهب لكي يمثل

الدور نفسه مع المرأة التي نلمحها في أعماق الصورة . وهو لا يستطيع أن يقوم بأي عمل آخر » .

وهناك شكل من السادية أكثر دقة عند امرأة في الثانية والثلاثين من العمر تقص حول (٦ GF) : « هذا نقاش بين امرأة وعشيقها . تشير ملامحه إلى أنه خبيث هازىء يجد متعة في اتعابها واقلاقها . وهي تكره هذا الرجل . وهو يعرف ذلك ، إلا أنها لا تستطيع الاستغناء عنه كما أنه لن يتركها طالما يرتوي في تعذيبها واشقائها وتحطيم حياتها في أعماق نفسه . المرأة تعرف كل ذلك ولكنها لا تستطيع التخلص منه » . فهنا ليس الأمر متعلقاً بالتعذيب الجسدي أو ضربات متفرقة أو متلقاة أو بقتل ولكنها تتعلق فقط بآلام نفسية عند المرأة يتلذذ بها العشيق ، وهي تمثل نزعات مازوشية .

وسننشغل الآن بالعجز الجنسي . رجل في السادسة والعشرين من عمره يقص ما يأتي حول (٦ BM) :

« يستطيع الإنسان أن يسرد قصتين حول هذه الصورة . الأولى هي : شاب يذهب إلى أمه التي انفصل عنها مدة طويلة حيث قام برحلة طويلة . إنه يحب أمه حباً جماً ، وهي كلها له ، ولم يكن يريد أن يقوم بأي عمل يزعجها . وفي خلال رحلته تعرف على فتاة وقع في حبها . وهو الآن ماض في سرد ذلك على أمه ، ونظراً لأن أمه تعرفه تمام المعرفة فهي تتنبأ بما حدث . وهي لا تريد أن تفقده . يلاحظ ابنها ذلك لكنه لا يجرؤ على أن يسرد عليها مشروعه في الزواج . وهو لا يعرف ماذا عليه أن يفعل .

أما القصة الثانية فهي : شاب وقع صريع هوى إحدى الفتيات .ولكنه ليس متأكداً من أن أسرتها ستقبل به . وهو الآن يريد أن يعرض طلبه على أم الفتاة إلا أنه يجهل جوابها . وهو خائف لا يجرؤ على الكلام . ولا يعرف ماذا يقول . وأخيراً يذهب دون أن يقول شيئاً » .

لنذكر الآن ، في بداية تعليقنا ، اننا نجد في هاتين القصتين أن وضع الرجل قد تبدل تبدلاً طفيفاً . فهو قد وقع في غرام إحدى الفتيات ويحب أن يتزوج منها ولكنه لا يجرؤ على التحدث عن ذلك لدى أمه ، كما أنه لا يجرؤ على التصريح بما يجول في

نفسه للفتاة لأنه يجهل فيما إذا كانت أسرتها ستقبل به . وفي خلال حياته لم تكن له إلا علاقات قليلة مع النساء إلا أنه لم يكن قادراً . ومنذ ست سنوات لم يقم بأي اتصال جنسي لأسباب دينية .

والقصة التي سردها حول اللوحة (BM ٦) والتي نقلناها تشرح لنا أسباب العجز . فنحن ، في البدء ، نصادف تعلق هذا الرجل الشديد البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، بأمه، وهو إلى ذلك يصرح في عدة مناسبات،في خلال حديثه معنا أنه لا يتخذ أي قرار دون الرجوع إلى نصائح أمه أو دون أخذ موافقتها. وأمه لا تتعلق به من الناحية المادية إذ أنها تملك بيتاً تؤجر غرفه،وتعيش حياة متواضعة ولكنها مضمونة . وله ثلاثة أخوة وأخوات يمكن أن يساعدوا أمهم . وهو أصغرهم وولد بعدهم بزمن طويل ولذا فقد كانت أمه تدلله كثيراً . أما القصة الثانية التي ألّفها فتظهر كم كانت تنقصه الثقة بنفسه . فهو خجول ولا يجرؤ على تلقي مغامرة الرفض على الرغم من أن هذه المغامرة ، في هذه الحال ، لن تكون جسيمة ، ذلك لأن وضعه حسن وينتمي إلى أسرة بورجوازية ، وقد أكدت له الفتاة أن أمها تحبه كثيراً . ولكنه ، في أعماقه ، لا يتشبث بالزواج ، بدون شك ، والسبب في ذلك أنه يعرف أن ذلك قد يزعج أمه . ولذا فانه لم يتقدم بطلبه ، وفي القصة التي سردها نجد البطل لا يستطيع التقرير أيضاً . والعجز هو إحدى الوسائل التي جعلته يتجنب هذا الفعل وهو يقول إنه، على الرغم من أنه قد أخذ بهذه العاطفة ، إلا أنه لا يستطيع أن «يجرؤ» على الزواج . والفتاة « لاحظت ذلك » أيضاً . وليس ذلك ناجماً عن رضاه لأنها هي التي دفعته إلى ذلك .

في جميع القصص التي يسردها نجد المعطيات نفسها : التعلق بأمه ، وعدم القدرة على اتخاذ قرار ، ونقص الثقة بالنفس ، والخضوع لسلطة الأهل . وها هو ذا يقص علينا أيضاً حول اللوحة (٥) :

« في أحد البيوت ، تطرق الأم الباب على ابنها وتقول له أن يأتي إلى المائدة . يبدو عليها القلق : ربما كان ابنها مريضاً ، أو ربما نسي أن موعد الطعام قد حان . ليس ذلك فظيعاً . فلقد كان غارقاً في دراسته . وحين يلمح الآن أمه يسرع بالنزول معها ، وهو يأخذ يدها ويعانقها بحنان » .

وحول اللوحة (٩) :

« شاب يبدو عليه الحزن الشديد . ربما كانت قد جرت بينه وبين أهله مناقشة

حادة ، لقد طلبت منه أمه شيئاً لم يسره فرفض القيام به على الرغم من أنه يحبها . وحين جاء أبوه إلى البيت انضم إلى جانب الأم التي لم يطعها ابنها . وهو يشعر الآن بأنه قد ظلم ، ولذا فهو يبكي . ونظراً لأنه شاب ولأنه يملك قلباً طيباً ولأنه يحب أمه فانه لن يحقد عليها وسيتصالح الآن فوراً معها » .

في جميع هذه القصص يبدو الموقف نفسه وهو تعلقه بأمه . إنه في السادسة والعشرين من العمر ومع ذلك فانه يتكلم على اطاعتها . وبطله يشعر بالندم ويبكي لأنه لم يصغ إليها ، وينسى سريعاً فيسعى فوراً في الصلح معها . وهذه القصص توضح ما يختبىء خلف عجزه .

ولننه الآن حديثنا بذكر حالة تبول ليلي عند فتاة في الخامسة عشرة من عمرها . هذه الفتاة ، التي نفي والداها ، توجد في بيت للأطفال وتتردد على مدرسة للخياطة . شعرت بالسعادة في حياتها العائلية في الماضي ، وهي ليست شقية جداً في بيت الأطفال بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكنها لا تشعر بأنها على ما يرام تماماً. «والمهنة التي تتعلمها لا ترضيها تماماً وان كانت لا تكرهها. وهي تسرد ما يأتي حول (GF ٧) :

« هذه أم تسعى إلى افهام ابنتها بأنها قد كبرت ولا يليق بها أن تلعب باللعبة . ولكنها تجد أن ذلك يسعدها ولا يضايق أي انسان . ستختصمان . ستحاول الأم اخفاء اللعبة لكي تهتم البنت بأمور ذات علاقة بسنها . وستغضب البنت غضباً شديداً ، فهي لا تريد أن تقوم بأي عمل في الصف أو أي مكان آخر . إنها تريد أن تعاد إليها لعبتها ولكن الأم تحاول أن تعيدها إلى صوابها . بيد أنها لا تريد أن تتعلم شيئاً . وأخيراً تكتشف المكان الذي أخفت فيه الأم اللعبة فتتناولها وتلعب بها سراً دون أن تلمحها أمها » .

إن اللعبة هنا ترمز بوضوح إلى طفولة المريضة التي شبت دون أن تنساها. ولقد قيل لها غالباً، بدون شك، إنه ينبغي عليها أن تفكر في أمور جدية وأن لا تكون لعوباً. إلا أنها لا تريد أن تعترف بذلك، وهي تتحسر على الزمن الذي كانت تلعب فيه بلعبتها محاطة بحب والديها. وهي لا تزال تريد أيضاً أن تبقى صغيرة، وتعبيراً عن هذه الرغبة نلاحظ ظهور التبول الليلي الذي ليس له سبب عضوي عندها. والقصة (GF ٦) تعطينا لمحة ثانية عن عقلية هذه المفحوصة :

« هذه امرأة طبيب جالسة أمام طاولة الزينة . وهي تتهيأ للخروج مع زوجها . يتصل بها أحدهم ويطلب إليه الذهاب لرؤية أحد المرضى على جناح السرعة . ولهذا فهي ليست مسرورة وتقول إنه. في كل مرة يريدان الخروج فيها ، يحدث لهما الشيء نفسه . إنها أنانية وتلومه لأنه لا يهتم بها الاهتمام الكافي بل يعطي جل وقته لمرضاه . ولكن هذه هي مهنته ، ويحاول أن يفهمها ذلك ، وينصحها بالذهاب وحيدة فسيلحق بها ، إلا أنها لا تريد أن تذهب وحدها . فتغضب وتنام . ولكنه ، عندما يعود يدهش لأنها لم تخرج . بيد أنها تتظاهر بالنوم ، ولا تريد أن تتكلم معه لأنها غاضبة . وهنا يخرج وحده ويترك امرأته نائمة » .

وهنا أيضاً نلاحظ موقف مفحوصتنا الذي لا يتعلق بعمرها . فامرأة القصة تتصرف تصرفاً صبيانياً ولا تفهم حياة الراشدين وواجباتها، وهي عنيدة تستلقي وتتظاهر بالنوم ولا تريد أن تتحدث مع زوجها . فالمسألة هنا عبارة عن أزمة من نفس الطبيعة السابقة منقولة إلى وضع آخر فقط . ولكي نكمل حديثنا نضيف القصة (١٥) أيضاً :

« هذا رجل فقد ولده أثناء الحرب . وهو الآن يصلي أمام قبره . إنه يرى أمامه طفولة ابنه كلها ، ويتذكر التعب الذي لقيه في تربيته والحزن الشديد الذي أصابه حين تلقى نبأ موته . إنه الآن وحيد في هذه المقبرة الواسعة ويفكر بأن من المستحيل أن يعيش دون أن يرى ابنه مرة أخرى » .

هنا نجد الوضع قد قلب إلى حد ما ، فهي تتقمص شخصية الأب الذي يتعذب لفقدان ابنه بينما هي تشكو ، في الواقع ، موت والديها وفقدان مسكنها وقلة الحنان والعطف ، إنما هي التي تشعر « بالوحدة » .

وفي سلسلة من القصص تعبر عن عدوان قوي وعن الرغبة في الانتقام ، فتقص مثلاً حول (٢٠) قصة طويلة جداً عن امرأة في غاية الثراء ولكنها تثير ، في كل مكان ، النقد والحسد لأنها تحمل معها حليها وتتبرج . وفي ذات مساء يهاجمها لص ويقتلها ، ويسلبها . ويفرح الآخرون لأنهم لم يكونوا يحبونها . وينجح اللص في الفرار . إن اضطرابها ناجم ، إلى حد ما ، عن هذا العدوان وهذه الرغبة في الانتقام .

ونستطيع أن نستخلص من هذه القصص التي نقلناها هنا أن هذه الفتاة تتألم

لفقدان ذويها والبيت وجو الود والحنان ، وأنها خرجت من عـدم المبالاة ، التي تتصف بها الطفولة ، وأنها تأسف على ذلك وتتصرف في ظروف الحياة تصرف الطفـل بالعنـاد والغضب والحنق ، وأنها تملك شيئاً من العدوانية وشيئاً من التوقع ، وأن كل هذا يعبر عنه دفعة واحدة في اضطرابها .

٩ ـ الجنوح

« ليست معضلة الإجـرام معضلة كبت فقط . فـالكبت محكـوم عليـه أن يـظل تجريبياً صبيانياً خاضعاً لتقلبات الرأي وتغيراته ، وأن يظل مرتبـطاً ـ كما هي الحـال في الإدارات الكبيرة ـ بوزارة أغلب أعضائها بعيدون عن كل ما يمس عملهم اليومي على الـرغم من ثقافتهم الـواسعة . إن معضلة الإجـرام أمـر آخـر وهي لا تتضـح إلا إذا اتضحت معجزة النفس الإنسانية وهي لا يمكن أن تتقدم إلا ببطء شديد . . . » .

إن معضلة الإجرام ، بالدرجة الأولى ، كـما يقول دوغـريف ، معضلة « النفس الإنسانية » أي أنها معضلة نفسانية . لماذا يصبح فرد من الأفراد جانحاً ؟ ولماذا يرتكب هذه الجريمة أو تلك ؟ وما هو الدور الذي يلعبه عنصر الـوراثة ؟ ومـا هو دور الـوسط الـذي يعيش فيه ؟ ومـا هي العوامـل التي تؤثر في نمـوه فتخلق عنده « حـالة نفسيـة » ولتجعل الفعل الإجرامي ممكناً ؟ لنفحص الآن المعلومات التي يقدمهـا الـ « ت . آ . ت » في هذا الموضوع .

سنختـار مثالاً عـلى ذلك حـال صبي في الخامسـة عشرة من عمره كـان يشتغل أجيراً في محل لصنع محافظ يدوية للسيدات . اتهم بسرقة محافظ السيدات من المحل . إلا أنه أنكر هذه السرقة . وذكـر شخصاً لم يكن يعـرفه ، اعـترض طريقـه حين كـان معلمه قد كلفه بإيصال عدد من المحافظ إلى مخزنين كبيرين . وقـال له ذلـك الشخص إن معلمه قد غيرّ فكره وكلفه بأخذ المحافظ وايصالها إلى عنوان آخر . وقـد نفذ طلب ذلك الرجل . لكنه ما لبث أن أظهر كثيراً من التناقض في أقـواله حـين حقق معه عن قرب . فادعى مثلاً أنه رفـع شكوى إلى مفـوضية الشرطـة فيها بعـد . وثبت أن ذلك ليس بصحيح . ثم عاد فدافع عن نفسه بأن قال إنه قـد قص قصته عـلى أحد رجـال الشرطة وكان واقفاً أمام مركز الشرطة ، فقال لـه هذا الأخـير إن ذلك الإجـراء يكفي

وأنه ـ أي الشرطي ـ سيقوم باللازم . وهذا بطبيعة الحال كذب . وأن الأمر المحتمل جداً هو أن الصبي قد سرق فعلاً . وأننا سننقل الآن بعض القصص التي سردها :

القصة (BM ٣) ـ « هذا ولد في السجن . لقد ندم لأنه قام بدور اللص فاقترف ذنباً عظيماً فأوقفه رجال الشرطة . وعلى الرغم من صغر سنه ألقي به في السجن . وهو الآن يفكر : لو أنني كنت أعلم لما فعلت ذلك ، ولكن فات الأوان بعد كل ما حدث » .

القصة (BM ٦) ـ « هذه أم مع ابنها . يبدو أن الولد قد اقترف ذنباً وعليه أن يعترف بما فعل أمام أمه . ولقد ارتبك لأنه رأى أن أمه قد غضبت (الصبي بطيء منكمش يحتاج للتشجيع كي يتابع حديثه) . وبعد ذلك اعترف لأمه فحزنت كثيراً إذ أن ما ارتكبه هو عمل ضد الدولة . وينبغي أن يمثل أمام القضاء فيحكم عليه ويسجن . وحين تعلم أمه بالنبأ تبكي » .

القصة (BM ٧) ـ « هذا أب وابنه . والأب يقدم النصائح لولده لأنه في مدرسة التجهيز ويتعلم مهنة . وفي نهاية العام يئس الولد وأعلن عن عدم رغبته في متابعة الدراسة . وهنا شرع الأب يشجعه ويطلب إليه أن يقوي ارادته وأن يعود إلى عمله وأن يكون بطلاً . ثم يرجع الولد إلى عمله ويغرق في الدراسة . وفي نهاية النصف الأول من السنة يكون الأول في صفه فيفتخر الأب به » .

القصة (BM ٨) ـ « هذا أب مع ابنه . الأب ستجرى له عملية . وهو خائف . لم ينجح الجراحون في اجراء العملية فيموت الأب . والولد الذي كان مع أبيه أصبح وحيداً الآن ويتيماً . ونظراً لأنه لا يستطيع أن يعيش وحيداً فقد وضع في بيت للأطفال . وهناك درس . وبعد مضي بعض الوقت زار بعض الأشخاص الأغنياء بيت الأطفال فاسترعى الولد انتباههم فطلبوا تبنيه . وشعر بالسعادة لذلك . وشجعه هذا على أن يتابع دراسته فاجتاز شهادة الدراسة المتوسطة والشهادتين الثانويتين بنجاح وتابع دراسته لكي يصبح محامياً . وقد اهتم به أهله الجدد وأصبحوا حقاً من السعداء » .

القصة (١٤) ـ « نحن الآن في غرفة . الصبي وحيد فيها . وهي مليئة بالدخان . وكان الصبي يريد أن ينام حين لاحظ فجأة أن الغرفة مليئة بالدخان . فتح النافذة وصرخ طالباً النجدة ، فوصل رهط من الناس وحاولوا انقاذ الصبي . ثم

وصل رجال المطافىء وأخذوا الولد ثم نقلوه إلى المستشفى حيث ظل فيه أربعة أيام إلى أن شفي . ولكنه كان قد فقد أبويه بسبب هذا الحريق » .

القصة (١٥) - « نحن الآن في مقبرة . رجل جاء يصلي قرب قبر زوجه . لقد كانا يعيشان سويا . أما الآن فهو وحيد في هذا العالم . وعليه أن يقوم بعمل مرهق كي يؤمن حياته . وليس له من يعزيه . وبين لحظة وأخرى يفكر بزوجه . وقد دام هذا الأمر شهرين . ولكنه سمع فجأة نبأ سعيداً : فقد وجد أن أحد أقاربه يعيش في أمريكا وأنه يريد أن يهتم به . وهناك سوف يعيش حياة أفضل من حياته هنا لأنه وجد واحداً من عائلته وأصبح يفكر في الزواج من جديد » .

القصة (٢٠) - « نحن الآن في غابة والمطر ينهمر بغزارة ورجل طاعن في السن يحاول أن يجد له ملجأ يقضي فيه الليل . فيمشي ساعات . وأخيراً يميز قرية صغيرة جداً فيها حوالي عشرة بيوت . فيذهب ويطرق على باب أحد الحقول طالباً قضاء الليلة فيه . فيستقبله الفلاحون الطيبون بحرارة ويقدمون له الطعام ثم يعطونه غرفة بسرير حسن . ويسعد هذا الرجل الذي لم يتعود النوم على مثل هذا السرير الجيد . وينام . وفي اليوم التالي يريد أن يذهب ولكن الفلاحين الطيبين يتشبثون به ويقولون له : ابق معنا بدلاً من أن تتشرد في الطرقات . وهنا يقبل الشيخ . ويظل معترفاً بجميل الفلاحين » .

لقد نقلت سبعة من القصص العشرين التي سردها الصبي ، ولقد اخترت تلك التي تبدو لي مميزة وذات دلالة أكثر من غيرها . ولست بحاجة إلى ذكر القصص الأخرى الآن . وسنعود إليها لإتمام بعض المعلومات التي نستطيع استخلاصها من هذه التي ذكرناها .

ففي القصة (BM ٣) يتحدث عن « ذنب جسيم » ارتكبه البطل فعلاً ووضع من أجله في السجن ، وفي القصة (BM ٦) يعترف لأمه بأنه ارتكب جريمة . وفي (BM ٣) لا يذكر الذنب الجسيم بينما في القصة (BM ٦) يتحدث عن «شيء ضد الدولة » . ولا يتحدث في أي من القصص عن رجل اشتبه به خطأ أو عوقب دون أن يرتكب جنحة . ونستطيع أن نكون واثقين من افتراضنا بأنه سرق هو نفسه المحافظ وأن كل ما قصه كذب . ولم نكن نريد أن نلح عليه لكي نجعله يعترف ، ولم نكن نريد أن نتصرف كما يتصرف قاضي التحقيق لأننا نعرف أن ذلك يحرمنا التأثير

العلاجي فيه . لنضف أيضاً أنه في القصة (١٨) يصف هجوماً بالسلاح يكتشف فيه السارق ويحكم عليه بالسجن ستة أشهر . وفي هذه القصة لم يشر أبداً إلى آخر بريء قد أخذ بديلاً من السجين .

ما هي الحال النفسية التي يمكن أن تفسر لنا السرقة التي قام بها هذا الصبي الصغير الذي لم يرتكب ، حتى الآن ، أية جنحة والذي كان سلوكه حسناً ؟ إنه ليس ضعيف العقل . نعم أن مستواه العقلي متخلف قليلاً ولكنه قادر على التمييز . . نفي أبوه من قبل الألمان ولم يعد . أما أمه التي كانت في أحد الملاجيء فلم تكن تعبأ به . ولقد كانت له أخت تكبره بسنتين وتسكن بعيداً عنه ولا يكاد يلتقي بها . كان قد وضع في بيت للأطفال وكان الأكبر سناً فيه . والأطفال الذين كانوا معه كانوا أذكى منه وقد كانوا يترددون على المدرسة ، التجهيز أو فصول اضافية ، ويتهيأون للشهادة الإعدادية أو الثانوية . وقد كان يحسدهم ويشعر بأنه أحط منهم .

كل هذا ينعكس في قصصه . وفي هذه التي ذكرناها هنا نلاحظ ، بوضوح تام ، أن هذا الصبي يشعر بالوحدة والإهمال والعزلة . لم يشجع ، كما هي الحال عند بطل قصته (BM ٧) وهو بحاجة إلى التشجيع . إنه ضجر ويحب أن تكون له أسرة . والأسرة بالنسبة إليه رمز للحياة السعيدة التي يجد فيها المحبة التي يبدو أنها تنقصه . والأحداث الماضية تبرز في القصة (١٤) حيث فقد الصبي والديه وظل وحيداً (الحريق رمز الحرب) وفي القصة (١٥) يفقد الرجل زوجه (في الحقيقة فقدت المرأة زوجها) ولكنه يجد أشخاصاً آخرين من العائلة سيهتمون به . وهذه بطبيعة الحال رغبة : العثور على أحد أفراد الأسرة في أمريكا يبعثون في طلبه ليهتموا به . وفي هذه الظروف سيتمكن من أن يبدأ حياة جديدة وينسى الماضي ويعيش سعيداً . وفي قصة أخرى (١٦ التي اخترعها بحرية ـ اللوحة البيضاء) يقص قصة عامل وقع من سلم عال ومات . وأمه تبقى وحيدة مع أولادها تبكي ، لكن الأولاد يعزونها ويعدونها بتأمين حاجاتها . وفي القصة (BM ٨) يموت الأب بعملية ويوضع الولد في بيت للأطفال ويعيش شقياً ولكنه يجد أناساً يهتمون بأمره ويتبنونه . وهنا أيضاً يعبر عن رغبة عميقة : هي أن يتبناه أحد الأشخاص الأغنياء وأن يجد له مسكناً وجواً حاراً وسعيداً . إن عنده عقد نقص قوية يعرضها بطموح يتجاوز كثيراً امكاناته الحقيقية ، فهو يستطيع أن يصبح عاملاً حسناً في مهنته ولكنه لا يستطيع أن يتابع دراسته الثانوية

وينجح في البكالوريا ليصبح محامياً . ويعبر عن وحدته في القصة (٢٠) خاصة وفي القصة (١١) أيضاً حيث يتيه الشيخ في الغابة ويفاجأ بالريح الشديدة ولا يجد أي مخرج . وفي هاتين القصتين أيضاً نلاحظ رغبته في أن يدعم . وفي القصة (٢٠) نجد الفلاحين الطيبين الذين يأتون لمساعدته ويبقونه عندهم ، وفي القصة (١١) يضيع « البطل » . ولكن فجأة يمر رجل بالقرب منه ويطلب إليه أن يدله على الطريق فيذهبان « سوية ويصبحان أحسن صديقين » (تحويل) ويبدي بعض العرفان بالجميل لما يقدم إليه ، وفي القصة (٢٠) « يعترف البطل بجميل الفلاحين الطيبين » ، وفي القصة (١٢) يسرد أن الولد ينهض صباحاً دون ضجة لكي لا يوقظ أباه ويهيء فطوره ويذهب إلى المدرسة . وفي القصة (BM ٨) يشتغل البطل جيداً لكي يكون الأشخاص الذي يهتمون به راضين عنه .

وقد ذكرت معضلة العمل في عدة قصص بيد أن البطل لم يكن مسروراً فيه أبداً ما عدا ما جاء في القصة (٢) حيث يتعلق الأمر بعمل زراعي . سيكون الفلاح « فرحاً لرؤيته حقله مليئاً بالقمح » . وفي القصة (١٠) يكون العمل خدمة اجبارية في أثناء الحرب ، حيث نقل الرجال في قاطرات نقل المواشي وما أن يصلوا إلى أمكنتهم حتى ينبغي عليهم بأن يقوموا بعمل مرهق . وفي القصة (MF ١٣) يصل البطل متأخراً إلى عمله بسبب سهرته في الليلة الماضية في أحد المراقص . فيوبخه رئيسه . وفي القصة (BM ٩) العمال متعبون من العمل وهم يستريحون الآن فيصل الرئيس ويوبخهم صائحاً : اذهبوا إلى عملكم . ويصبح العمال سعداء حين يحل المساء وينتهي العمل . وفي القصة (١٦) حادث طارىء أثناء العمل ، وفي القصة (١٤) مخاطر العمل عند بنائي السفن الذين يتعرضون لخطر الموت .

أما المعضلة الجنسية فتزدهر في عدة مناسبات . ففي القصة (٤) نجد الرجل متعباً عند « امرأة أخرى » وامرأته تحاول تعزيته . وفي القصة (١٠) رجل وامرأة ، بعد عودة الرجل من نفيه في المانيا ، وفي القصة (BM ٩) نجد عمالاً سعداء بالعودة إلى زوجاتهم بعد العمل . وفي القصة (١٥) يتزوج البطل . أما المعضلة العائلية فتناقش في عدة قصص ولكن يبدو أن ارتباط البطل بعائلته ليس عميقاً أبداً إذ أنه لا يفكر فيها بمجرد مضي شهرين على وفاة زوجه .

لنحاول الآن أن نجيب عن السؤال الذي طرحناه آنفاً : ما هي الحال النفسية

لهـذا الصبي وهـل يمكن أن تفسر لنـا جنحتـه ؟ إن المســألــة تتعلق بصبي ، ليس موهوباً ، يشعر بأنه دون رفاقه الذين يتابعون دروسهم في الوقت الذي فرض عليه فيه أن يتعلم مهنـة . وهو قبيـح المنظر يتـألم من وجود الكلف في وجهـه ، وينـطوي عـلى نفسه ، معذب ، أهوج ، وثمة عناصر أخرى كثيرة لا تؤمن له المحبة . لقد فقـد أباه وأمه ، ومرض في طفولته ولم يهتم بـه أحد ، وليس له أصـدقاء ، ويبـدو أن معلمه لا يفهمه فهماً كافياً . إنه يشعر بالوحدة والعزلـة والإهمال . وعنـده رغبة في أن يكـون له بيت وجو مشبع بالحرارة والمحبة . وكان يحب أن يهرب .

ولقد كان يقدر ، في غالب الأحيان ، أن مصدر السرقة هو الحاجة إلى المحبة ، وأنـه لا يبحث ، في الواقع ، عن شيء من الأشياء بـل عن المحبـة فقط . ويبـدو هـذا صحيحاً أيضاً ، ولو جزئياً على الأقل ، في هذه الحـالة التي نـدرسها . فـالصبي الذي يتألم من عقدة نقص قوية يحتاج إلى تعويضها وربما كانت النقود تهـدف عنده إلى هـذه الغاية . وفضلاً عن ذلك فنحن نجد عند هذا الصبي شعوراً بالذنب واضحاً . وهذا الشعور ليس سببه فقط التوبيخ الـذي وجه إليـه والخوف من التـوقيف والعقاب ولكن من عوامل داخلية . فليس الآخرون وحدهم هم الذين يوبخونه بل إنه هو بـالدرجـة الأولى الذي يوبخ نفسه . وعنده توتـرات شديـدة . وهو يخشى أن يـوضع في السجن « على الرغم من صغـر سنه » . إنـه ليشفق على نفسـه . لم يقدر مـا فعل ولم يفكـر . والآن لقد فات الأوان . وهو لا يتكيف تكيفاً جيداً مع البيت الذي يوجد فيه ، وهـو مستـاء من عمله ومن معلمه . ويـرى أنه كـان بحاجـة إلى أن يـوضـع « في الـطريق القويم » وأن يساعد .

وأعتقد أن جميع الوقائـع المعروضـة هنا تشرح جـريمته وتعـطينا أيضـاً معلومات حول موضوع التشخيص الذي يبدو لنا مناسباً وحول العلاج اللازم .

النتائج

النتائج

هـا نحن الآن في نهاية عملنـا . لقد أخـذنا عـلى عاتقنـا أن نصف رائـز « فهم الموضوع » الـذي وضعه «موراي» والمعروف حـالياً بـاسم« ت . آ . ت » وأن نعرض طـرائق تطبيق هـذا الرائـز وتقـويمـه ، وطـرائق تفسـير القصص التي يسردهـا الأفـراد المفحوصون ، وذكرنا بعض الأمثلة المفصلة لكي نظهر فائدة الطريقة . وإننا نلح الآن على هذه الناحية وهي أن الأمر هنا يتعلق برائز يهتم بانفعالية الفرد المفحـوص ويسمح لنا بكشف عقده وصراعاته ، ويظهر إلى النور أثر بعض الحـوادث في نموه ومـوقفه ازاء معضـلات الحياة الجـوهريـة ، ولكنـه يجعلنـا نكتشف أيضـاً دور الانفعـال في ظهـور الاضطرابات النفسية .

ينتمي الـرائز إلى زمـرة الطرائق الإضفـائية . فـالشخص الـذي يقص علينـا ؛ بـالاستناد إلى الصـور ، سلسلة من القصص ، يضفي ، في هذه القصص ، مشـاعره الخاصة ورغائبه وهمومه وآماله . . . الخ . . . وبصورة عامة لا ينتبه هو نفسه إلى هذا الأمر . وقد قارن« موراي »رائزه بالفحص الشعاعي (Radio scopie) . وتبدو لنا هذه المقارنة حكيمة : فأشعة (X) تضفي كلًا من الشكـل العادي والمـريض على الشـاشة المشعة ، وهي تسمح لنا بالملاحظة المباشرة وكذلك الأمر بـالنسبة لقصص الفـرد فهي تمثـل اضفاء لحيـاته الإنفعـالية واضـطراباتـه من عقد وصراعـات وشـواغـل . ورائـز الـ « ت.آ.ت » بدون شك مساعد جوهري في التشخيص النفساني والتحليل النفساني.

هل يعطي الرائز معلومات أكثر مما تعطي ملاحظة الفـرد في حياتـه أو الملاحـظة العيادية إذا كان الأمر يتعلق بالمرضى ؟ نعتقـد أننا نستـطيع الإجـابة عن هـذا السؤال بالايجاب ، إذ أن مـلاحظة الفـرد لا تطلعنـا إلا على سلوكـه في موقف معـين دون أن تنبئنـا عن شروطه النفسيـة . وفي مدخـل عملنا حـاولنـا أن نـظهـر ، بمثـل السـائـل والمحسن . أن الـوقائـع النفسية التي تـوجد في أسـاس سلوكهـا مختلفـة جـداً . ومن الطبيعي أن ملاحظاً مجرباً يستطيع أن يفهم كثيراً من الحركات والمـظاهر دون اللجـوء إلى الطرائق الخاصة كالطبيب المجرب الذي يستطيع ، في كثير من الأحيـان ، أن يقوم

بـالتشخيص الصحيح دون اللجـوء إلى الفحص الشعاعي أو الفحـوص المخبريـة غير معتمد إلا على « انطباعه » . ومع ذلك فان هـذا لا يعني أن الطرائق المـوضوعـة تحت تصرفنا بواسـطة العلم هي أمور زائـدة ولا تكشف لنا إلا عن انـطباع . إذ الأمـر على العكس من ذلك ، فهي تعطينا معارف أكثر عمقاً حول علاقات الوقائع الملاحظة فيـما بينها وحول أعراضها وجسامتها وتطورها المحتمل .

ونعتقـد أن الأمـر واحــد في علم النفس والتحليـل النفسي وأن الإستكشــاف بالإستعانة ببعض الطرائق التجريبية ـ وبـالدرجـة الأولى لرائـز ت . آ . ت ـ تعطينـا كثيراً من المعلومات حول شخصية المفحوص أكثر مما تعطي الملاحظة وحدها . ونـأمل أن نكون قد تمكنا من تأييد وجهة النـظر هذه بكـل ما عـرضناه في عملنـا الحالي . إن للرائز قيمة عظمى في التشخيص ، بالنسبة للأشخاص العاديين والمرضى العقليين على حـد سـواء . والـ « ت . آ . ت » يكتشف في بـادىء الأمـر ، الـطبقـة الشعــوريـة (الأفكـار ، والتصوارت ، ومشـاعر الفـرد) وهذا يحـدث حتى في الحال التي لا يـريد فيها ، أو لا يستطيع فيها ، أن يجيب عن اسئلتنا بسبب ضروب الكف التي تحول بينه وبـين الحديث الحـر . والرائـز يعطينـا صورة للفـرد دون أن يكون قـادراً ، في أغلب الأحيان ، على الانتباه إليها . فهـو يعتقد أنـه يسرد قصة عن شخص آخـر بينما يسرد قصته هو في الواقع .

وإن الـرائز يكشف لنـا ما هـو أكثر ، إذ أنـه يسمح للنـزعات غـير الشعـوريـة والرغائب المكبوتة والذكريات والانطباعات المنسيـة بالـبروز . كما أن بعض العمليـات النفسية ، التي لا يستطيع الفرد أن يشعـر بها ، تنشط . وليس من الغـريب أن ننجح في اعادة بناء حيـاة المفحوص بـالاستناد إلى القصص العشرين التي يضمهـا الـ« ت . آ . ت » وأن نعرف وضعه النفسي الحالي ، والمعضلات والصراعات التي تقلقه ، وأن نطلع أيضاً على رغائبه ومشروعاته .

أما تفسير الرائز فليس سهلاً دائماً ، ففي غالب الأحيان إذا أخذ الإنسان قصـة واحدة فانه لا يستطيع القول فيما إذا كانت الأحـداث التي ينسبها المفحـوص إلى حياة بطله هي فعلاً من حياته الخاصة أو أنها تمثـل آمالاً أو ادراكـات أو أحداثـاً ترجـع إلى شخص آخر في بيئته (قريب ، صديق . . . الخ) . وبصورة عامة إن مقـارنة مختلف قصص المفحـوص نفســه فيـما بينهـا يمكن أن تعـطينـا ، مـع ذلـك ، أكــبر عـدد من التفصيلات الواسعة . ثم قارنا بالتالي نتائـج الرائـز بقصة حيـاة المفحوص لكي نقـدر

فيما إذا كانت هاتان الزمرتان من المعطيات مترابطتين ترابطاً جيداً . من الطبيعي أن هذا الترابط ليس جلياً في الحالات جميعها كما هي الحال بالنسبة للأمثلة التي اخترناها ولكن يعطينا الرائز ، على كل حال ، وجهات نظر ذات أهمية كبرى حول شخصية المفحوص وبيئته وصراعاته وعقده ونزعاته ورغائبه .

وفضلاً عن ذلك بينا أن الـ « ت . آ . ت » يقدم مساعدة ثمينة في التشخيص إذا كنا ازاء مرضى عقليين . فشكل القصص ومحتواها يقدمان لنا خصائص مختلفة للأمراض النفسية المختلفة . ومع ذلك ينبغي القول إن أبحاثاً واسعة ، حول هذا الموضوع ، ضرورية لكي تسمح لنا بالحصول على دقة أكبر في التشخيص الفرقي لمختلف أنواع العصابات والذهانات .

ولقد قلنا كذلك إن الـ « ت . آ . ت » كان ينتمي لمجموعة الطرائق الإضفائية . وهذه الطرائق لا تمثل إلا مجموعة من الروائز التي تدرس الشخصية إلا أن هذه الطرائق الإضفائية تبدو أهمها جميعاً . ولكي تظهر القيمة الخاصة للـ « ت . آ . ت » يكون من الضروري أن نقارنه بالروائز الأخرى مقارنة مفصلة . وهذه مسألة هامة جداً ، ولكنها صعبة جداً . وإننا لنأخذ على عاتقنا أن نرجع إليها في عمل آخر نواجه فيه مختلف الروائز بجملتها وذلك بدراسة بعض الحالات . وهذه البحوث هي جارية الآن . ولنكتف بذكر بعض الوقائع التي تبدو لنا جوهرية .

من بين جميع الروائز يبدو رائز الصور الأربعة (F. P. T) لفان لونيب Van Lenneep أكثر شبهاً بالـ « ت . آ . ت » . ففي هذا الرائز تقدم للمفحوص أربع لوحات ملونة ويطلب إليه أن يبتدع قصة واحدة حولها جميعاً في آن واحد . وقد أعطى فان لونيب توجيهات مفصلة من أجل التفسير الذي يهتم بشكل القصة ومحتواها . وينبغي أن نشير ، في البدء ، إلى أن قصة واحدة لا يمكن أن تعطي المفحوص امكان ابراز شخصيته كما تفعل عشرون قصة . حتى أن موراي ليلح في أن عشرين قصة ليست دائماً كافية لكشف جميع جوانب الشخصية . وفضلاً عن ذلك فان بعض الدراسات حول (F. P. T) بينت أن الذكاء يلعب دوراً كبيراً في بناء هذه القصة الفريدة أكثر مما يفعل في الـ « ت . آ . ت » الذي يترك للانفعالية فرصة الظهور بوضوح . وهذه الاعتراضات لا تعني أنها تنكر قيمة الـ (F. P. T) في التشخيص ، تلك القيمة التي تكمن في توضيح سلسلة من الدلائل المميزة لمختلف الإضطرابات الانفعالية ووجود بعض العقد .

وفي المقام الثاني نذكر رائز رورشاخ الذي يطبق حالياً ، بشكل دارج سواء فسر تفسيراً تقليدياً حسب توجيهات رورشاخ نفسه أو فسر بشكل آخر كالتفسير الذي وضعته السيدة مينكوفسكا . وإن رائز رورشاخ ، بدون شك ، يستطيع أن يبين لنا الجوانب الجوهرية للشخصية ، ولكن إذا كان لا يقتصر على توضيح العوامل الشكلية فينبغي القول إنه يحددها أكثر من تحديده محتوى الحياة النفسية للفرد . ورائز رورشاخ هام وخاصة في تحديد بنية الشخصية وانتمائها لنمط نفساني معين تعييناً جيداً . وهو هام أيضاً ، في كثير من الحالات ، من أجل التشخيص التحليلي ، كما أنه يقدم لنا دلائل ثمينة حول الحالات التي تقع بين المرض والصحة . ونحن نعرف أن التفسير الإجمالي يعود إلى نمط آخر للشخصية وللاضطرابات النفسية أكثر من عودته إلى الملاحظات التفصيلية ، ونستطيع أن نستخلص من الرائز نتائج حول ادراك الفرد للعالم ، بصورة عامة ، ونستطيع أن نشتبه بوجود بعض الصراعات والعقد والشواغل ومشاعر الخوف والقلق والخجل والغم والشعور بالنقص ، ولكن الرائز لا يحدد محتوى التصورات والأفكار وقصة حياة المفحوص وعقدة شواغله . وعلى هذا النحو فان بعض الإجابات تسمح بالافتراض بوجود عقد جنسية ولكنها لا تبين طبيعتها .

ومن بين الطرائق الإضفائية الأخرى ، من المناسب أن نشير إلى رائز الرسم المستعمل بكثرة في الوقت الحاضر . لنلاحظ ، في البدء ، وجود اختلافات كبيرة في قدرة الأفراد المختلفين على التعبير بواسطة الرسم . وبالإضافة إلى ذلك لا يوضح هذا الرائز إلا مظاهر بعض المشاهد العامة جداً للشخصية . فاذا تركنا الفرد يرسم بحرية فان طبيعة الموضوع المنتخب يمكن أن تكون ذات دلالة ، وإذا فرض عليه موضوع معين فانه يظل دائماً حراً في طريقة تنفيذه : فهو يستطيع أن يتصور بيتاً منعزلاً دون أي شيء آخر ، أو أن يضعه في حديقة أو على الطريق أو أن يضيف طريقاً يؤدي إلى البيت ، أو حتى أن يضيف أشخاصاً يسكنون فيه . ولكن العنصر الرئيسي هو الشكل الذي يعطيه لبيته ولجميع الأشياء التي يضيفها . والرسم يسمح لكثير من سمات الشخصية بالظهور : الغم والشعور بالعزلة والشواغل الجنسية والشعور بالعجز أو النقص ورغبة المرء في أن يكون محبوباً وحاجته للحنان ، والكره والعدوان . . . الخ . . . ولكن هنا أيضاً ، لا نقبل التفصيلات ومضمون الصراعات والعقد قبولاً مباشراً إذ أننا لا نعرف شيئاً عن حياة المفحوص أو نموه .

ونذكر كذلك طريقة «مادلين ل. رامبير» التي أدخلتها إلى علم النفس المرضي

الخاص بالأطفال وهي المعروفة باسم (لعبة مسرح العرائس le jeu de guignol) . وهذه الطريقة يمكن استخدامها رائزاً . يعرض على المفحوص بعض لعب مسرح العرائس التي تمثل الأب والأم والأولاد والأعمام والعمات والشيطان والساحرة والشرطي وكلباً وقطة الخ . . . وينبغي عليه أن يبتدع قصة منها ويلعب معها . في هذه الحال أيضاً يمكن أن تتجلى عقد الفرد وصراعاته تجلياً واضحاً جداً . ولا تسمح الطريقة للفرد بأن يقص قصة فقط بل أن يمثلها ، فيستطيع مثلاً أن يعبر بحرية أكبر من الـ « ت . آ . ت » حتى لو حددت الوسائل والأجهزة . يقترح عليه بعض أنماط الشخصيات ، وتعطى له الحرية في اختيار ما يلائمه منها وما يريد استخدامه لتركيب المشهد الذي يكون مركباً في الـ « ت . آ . ت » على اللوحات ، ولكن لهذه الحرية الكبيرة أيضاً محاذير ، ذلك أن المشاهد التي يمثلها المفحوص تكون غامضة ، في الغالب ، وإذا اعطي امكان تمثيل بعض المشاهد فاننا سنجد فيها غالباً العناصر نفسها ، بينما تمثل قصص الـ « ت . آ . ت » تنوعاً عظيماً . وفضلاً عن ذلك فانه يمكن القول إن تطبيق الرائز محدد للأطفال حتى سن (١١) سنة أو (١٢) أو (١٤) على الأكثر .

لننتقل الآن إلى مجموعة الروائز الموضوعية ، ولنأخذ مثلاً على ذلك رائز زوندي . لا نستطيع هنا أن نناقش الأسس النظرية لرائز زوندي أو تفصيلات تطبيقه ، ونحن مشغولون بهذا العمل في مؤلف آخر . وعلى الرغم من الاعتراضات التي اعتقدنا نسبتها إلى النظرية وبعض جوانب الطريقة فاننا لا نستطيع أن ننكر أن الرائز يعطينا ، في الغالب ، معلومات ثمينة جداً وخاصة حين نكرره عدة مرات وحين نحسب الصيغ الدوافعية . ولكن ، حتى في هذه الحال الملائمة جداً أي في قبول مذهب زوندي قبولاً كلياً ، فينبغي علينا أن نتساءل عما يستطيع الرائز أن يعلمنا اياه . إنه يعطينا صورة لبنية « العوامل الدوافعية » الثمانية التي حددها زوندي ، وهو يدلنا على الأعراض البارزة عند المريض أو السمات الرئيسية لطبع فرد عادي ، كما أنه يبين لنا أعراض الطبع الكامنة أو سماته ، وأخيراً انه يبين لنا « عوامل الأصل » ، كما يقول لنا في أية « طبقة دوافعية » ينبغي أن نصنف فرداً من الأفراد . كل هذا هام للتشخيص . ولكن هذا الرائز لا يطلعنا على مضمون حياة الفرد النفسية وصراعاته وعقده ، ولا يطلعنا على قصة حياته أو تطوره .

وكأمثلة للطرائق الذاتية (m. subjectives) نشير إلى الاستجواب

(Questionnaire) وخاصة ما وضعه المؤلفون الأميركيون . لن نعود هنا إلى الاعتراضات العامة التي يمكن ذكرها بالنسبة للروائز الذاتية أو إلى التحليلات الذاتية فلقد سبق أن ذكرناها . ولكن إذا كان الرائز ، في أفضل الحالات ، يعطينا بعض المعلومات العامة حول الاهتمامات والعقد والشواغل والمفاهيم الأخلاقية والمخاوف لدى فرد من الأفراد فانه يطلعنا ، قبل كل شيء ، على كل ما هو شعوري ولا يعلمنا أبداً عن العوامل النفسية العميقة أو عن أسباب الموقف أو عن قصة الحياة . وينبغي أن نقول إن هذا الأمر صحيح أيضاً بالنسبة لـ (le Minesota MultiphasicTest) وهو أكمل استجواب يمكن أن نلقاه في الوقت الحاضر . إن لكثرة الأسئلة افضلية عظمى في أن تمس كثيراً من النزعات المختلفة وفي أن تطلعنا عليها وأن تكشف كثيراً من الشواغل والهموم . وهنا تكمن افضلية الـ (M. M. T) هذا . بيد أنه لا يعطينا إلا معلومات أولية فجة حول شكل النزعات والرغائب والهموم والآمال عند الفرد وحول الطريقة التي تطور بها الفرد المفحوص والتي تشكل بها بواسطة أحداث حياته .

وازاء جميع هذه الطرائق في الاستكشاف نضع الـ « ت . آ . ت » . إننا نملك عشرين قصة عن الفرد ونستطيع أن نكملها ببعض القصص الأخرى التي تكون نقطة انطلاقها اللوحات المخصصة لمجموعات أخرى من الأفراد . وفي هذه القصص لا يعبر فقط ـ بالضرورة ـ عن كل شخصية المفحوص وصراعاته وعقده وشواغله ، ولكن ليس ثمة شك من أن السمات الجوهرية للشخصية تتجلى فيها بشكل يوضح ليس النزعات الرئيسية فحسب بل المحتوى الصريح لمخاوفها وهمومها ورغائبها وشواغلها . . . الخ . وإلى جانب ما هو شعوري تتجلى العوامل اللاشعورية ، وتعبر حوادث الحياة الماضية بشكل مكشوف أو مقنع ، كما أن عندنا الفرصة لتقدير التأثير الذي مارسته على تطور الفرد . وبالإضافة إلى ذلك فان القصص نقطة انطلاق لتحليل أعمق وهي تسمح بطرح الأسئلة على الفرد وايضاح كثير من المعضلات التي تقلقه وربط المفحوص بعمل الفاحص . إن هذا الرائز إذن يهيء علم النفس المرضي ، وفي كثير من الأحيان يكون بداية العلاج . إن الـ « ت . آ . ت » يسمح بنظرة على الحياة العاطفية للشخصية أعمق من كثير من الروائز الأخرى . وفي أي مكان نحتاج فيه إلى معرفة عميقة للآخرين يكون ذا فائدة عظيمة لنا .

الملاحق

أ . ستاين
رائز فهم الموضع (موراي)
ت . أ . ت

الجدول الأول (أ)

رقم الصورة : ١

عنوان الموضوع : الوالدان يرغمان الصبي على العزف على الكمان .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . يحدد الموقف في البدء ثم يطوره بعد ذلك .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد . لغة جافة قليلاً . لكنها غنية . جمل مركبة .

الموقف العقلاني : آ ـ يقوم المفحوص ببعض التأملات حول التمارين .

ب ـ البطل يفكر بوسيلة للهرب . لا يفهم أهداف والديه .

ج ـ الوالدان يقولان له ما يفعلان من أجله .

الموقف الإنفعالي : الصبي ليس مسروراً من ارغامه على اجراء تمارين في الموسيقى . إنه يضجر : « هذا تعذيب » . يخشى والديه وتوبيخهما . يشعر بالإنجذاب نحو رفاقه . شيء من عدم الإكتراث ازاء والديه . رغبة في الحرية .

البطل : الصبي (يصيف الوالدين) .

الوضع : جالس أمام الكمان يفكر .

الحل : يقوم ببعض التمارين لكي يكون هادىء البال . ثم يعزف .

ملاحظات : الحل نوع من التوفيق . الأبوان عندهما قليل من الفهم لوضع الولد . يتقمّص شخصية الصبي ، وكذلك شخصية كل من الأبوين . نزعة أخلاقية . أزمة ولد ـ أهل .

رقم الصورة : ٢ .

عنوان الموضوع : فتاة عند أهلها في العطلة الصيفية ، في الريف ، وهي ليست مسرورة .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة يحدد الموقف .

ترابط العناصر فيما بينها: جيدة (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ خواطر حول حياة الريف .

ب ـ الفتاة تدرس ، تفكر ، ولا تفهم والديها على الاطلاق . تفكر في صديقها .

ج ـ يرى الأبوان أنها قد تغيرت . ولا يفهمانها .

الموقف الانفعالي · الفتاة تضجر في الريف وحياة المنزل لا تروق لها . ليست متعلقة بوالديها . تشعر أنها أعلى مستوى منهما . شعور سيء ومرير . جنسية (صديق في المدينة) . حسد . خوف من أهلها . الأهل ليسوا سعداء .

البطل : الفتاة . (الأهل) .

الوضع : الفتاة تعود إلى الريف وتشعر بالغربة فيه .

الحل : تقول أن هلها شرفاء وإن كل شيء سوف يسوّى .

ملاحظات : استسلام . خيبة أمل . يحتمل أن تكون الفتاة تمثل أمحت المفحوص . أزمة ولد ـ أهل .

رقم الصورة : ٣ (B. M)

عنوان الموضوع : لا يموت الإنسان من عذاب الحب .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيدة (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ خواطر حول الحياة . يحكم على البطل . يرضى .

ب ـ يخطىء في حكمه .

ج ـ الصديقة تفكر في المال .

الموقف الانفعالي: عذاب عظيم. هموم مادية. شقاء. حب وجنس. وحيد. منبوذ يأس. عداونية. انتقام. يريد أن يقتل. آراء حول الانتحار. تنقصه الشجاعة. حزن. قرف من الحياة.

البطل : الشاب (يضيف الفتاة) .

الوضع : في غمرة اليأس يرمي بنفسه ويبكي . على الأرض .

الحل : سوف يصمم . ويجد موقفاً آخر وصديقة أخرى (في المرة القادمة) .

ملاحظات : استسلام . خيبة في الحب . أزمة رجل ـ امرأة . اخفاق مع المرأة . عذاب .

رقم الصورة : ٤ .

عنوان الموضوع : الرجل ينفصل عن صديقته الخائنة .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يحكم على الشخصيات .

ب ـ يتصرف بعد تفكير .

ج ـ المرأة باردة . تفكر « وتقول لنفسها » .

الموقف الانفعالي : جنسية . حساسية . خيانة . كبرياء مجروحة . قسوة . عدوانية

البطل : الرجل (والمرأة) .

الوضع : في لحظة هجران المرأة التي تحاول التشبث به .

الحل : يذهب . تعزّي نفسها .

ملاحظات : خيبة . انفعال . لا نجاح مع المرأة . أزمة رجل - امرأة .

رقم الصورة : ٥

عنوان الموضوع : امرأة يسيطر عليها الخوف من الشقاء .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : ب ـ المرأة تفكر بوضعها .

الموقف الانفعالي : رجل ـ امرأة . جنسية . أولاد . غم . خوف من الشقاء والمفاجآت . الشيخوخة . الموت (أب . أخ) . قلق . ريبة . خيبة أمل . انتظار وتوقع .

البطل : المرأة (يضيف الزوج والأولاد) .

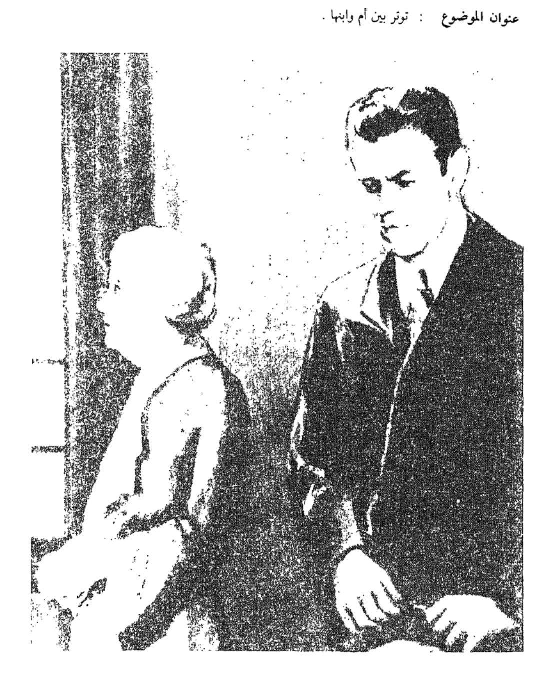
الوضع : تنتظر زوجها وأولادها . ضيق .

الحل : الزوج يعود .

ملاحظات : نوع من المسّ . لا يزول الضيق .

رقم الصّورة : ٦ (B. M)

عنوان الموضوع : توتر بين أم وابنها .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيد (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : ب ـ الولد يبحث عن تفسير مع أمه .
ج ـ الأم تفكر : لقد سبق أن وضعت مشروعات لابنها .

الموقف الانفعالي : جنسية : الولد يرتبط بامرأة . بيت شقي . ديون . قلق . امرأة مسرفة لا تهتم بالبيت . الأم شقية متعلقة بابنها . تكره كنّتها . وتأمل في أن يهتم بها ابنها وحدها . يخيب ظنها .

البطل : الابن . الأم (يضيف زوجة الابن وزوج الأم) .

الوضع : تفسير وشرح بين الأم والابن .

الحل : الأم لا تعطي نقوداً . لا يقول ماذا سيفعل الابن .

ملاحظات : أزمة أم ـ ابن . المفحوص يتقمص شخصية الشاب لكن هذا الشاب يمثل أباه في الوقت نفسه . وان ما يقوله عن بيت بطله يرتبط ببيت أهله .

رقم الصورة : ٧ (B. M)

عنوان الموضوع : خوف شاب من آخر قادر على ارغامه على الغناء .



العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة تبدأ بشخص ثم تتحدث عن آخر . وتبني القصة .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : ب ـ يتعرف الشاب إلى الخطر الذي يهدده به الشيخ ويتساءل عن كيفية تلافيه .
ج ـ يتصرف الشيخ وفق مخطط مرسوم . تآمر . المفحوص ينتقد .

الموقف الانفعالي : ب ـ خوف الفتى . قلق . شعور بالذنب . اقترف جنحة . خوف من النتائج . يريد أن يتزوج (جنس) . توتر . اضطراب . يوّد لو يهرب .
ج ـ الشيخ : خبيث . منفّر يريد استغلال الفتى . تآمر . مجرم . عدواني .

البطل : الفتى (الشيخ) .
الوضع : سيطرة الشيخ على الفتى .
الحل : لا حلّ . الفتى يأمل في العثور على حلّ .
ملاحظات : أزمة بين رجلين . الفتى ارتكب جنحة . لكن الشيخ هو المجرم الحقيقي . عدوانية . (نزعات جنسية مثلية) .

رقم الصورة : ٨ (B. M)

عنوان الموضوع : عملية بعد مبارزة .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيدة (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يقول إن الموقف لا يبدو عادياً عنده .

الموقف الانفعالي : ب ـ الذي تجري له العملية : كبرياء مجروحة . طموح . ثأر . عدوانية . غيرة . جنس . مبارزة . ينفصل عن المرأة .

ج ـ الفتى يغري زوجة الآخر . تبكيت الضمير . شعور بالذنب . خوف من رأي الآخرين .

البطل : المسنّ (الذي تجري له العملية) الفتى . الطبيب (يضيف المرأة) .

الوضع : عملية بعد مبارزة .

الحل : انقاذ الجريح وانفصاله عن المرأة . يتزوج من أخرى . يحصل على أعظم قدر من السعادة معها .

ملاحظات : ظلم . المعتدى عليه جريح أيضاً . لا سعادة كبيرة . ولا نجاح مع المرأة قليل التعلق بالمرأة . الجنس يغلب على الحب .

رقم الصورة : ٩ (B. M)

عنوان الموضوع : عدوان خاطىء .



العلاقة بين الصورة والقصة: مفتعلة (تبدأ من الموقف) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : المجرمون يتصرفون حسب مخطط مرسوم بعد تأمل طويل .

الموقف الانفعالي : عدوانية . جريمة ارتكبت عن طريق عصابة تريد كسب المال بالإجرام . هرب . شعور بالذنب . خوف من العقاب .

البطل : المجرمون (يضيف الضحية) .

الوضع : استراحة بعد هجوم فاشل .

الحل : لا حلّ . إنهم يأملون في نجاح أكبر في المرة القادمة .

ملاحظات : قصة غير شخصية .. ترجع في أصلها إلى العدوان المتكرر في الأشهر الأخيرة . لا يوجد تبكيت للضمير . ولكن هناك خوفاً من العقاب .

رقم الصورة : ١٠

عنوان الموضوع : شخصان يلتقيان ولكن « بعد أن يفوت الأوان » لكي يعيدا تنظيم حياتهما من جديد .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : قليل من التفكير في هذه القصة . ذكريات

الموقف الانفعالي : حب متبادل بين شخصين يرجع إلى فترة شبابهما . كان الأهل معارضين لزواجهما . فقر . كل واحد منهما يتزوج من آخر . لا سعادة . يذهب كل واحد منهما إلى طريقه . موت زوجيهما . الحب يبقى . لكنه متأخر . خيبة أمل .

البطل : الشخصان والمسنّان (يضيف أهلهما والزوج والزوجة) .

الوضع : يلتقيان بعد سنين طويلة . ولم يكونا يقصدان ذلك .

الحل : انفصال جديد ونهائي .

ملاحظات : القضاء والقدر . فات الأوان . كان يمكن أن تنحو الحياة نحواً آخر لو أن الأثنين لم يرضخا ولم يتركا القدر يلعب بهما .

رقم الصورة : ١١ .

عنوان الموضوع : حلم سيء .



العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة تبدأ بالأشخاص وتحدّد موقفها النفسي وتطوّر القصة (حلم
ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يبدأ بنقد نفسه . يعطي رأيه .
ب ـ الشخصان « يفكران » و « يقولان » .
ج ـ الجنية تفكر وتسأل .

الموقف الانفعالي : حب . جنسية . رغبة في أن يكون وحيداً في العالم . يسعى نحو السعادة . يحلم بمستقبل سعيد . تحقيق الرغبة يخلق اخفاقاً . استياء . ملل . خلاف . تشوّش . تهديد . غم . شعور بالذنب . مساعدة الجنية . حزن . لا مخرج . تخريب عدوانية .

البطل : الشاب (الفتاة) .
الوضع : الغابة المسحورة . الوحدة . انهيار .
الحل : كل ذلك لم يكن إلا حلماً . ليس ثمة حلّ آخر .
ملاحظات : خيبة الأمل أيضاً . الآمال لا تتحقق . رضى بالواقع . الحقيقة هي شيء آخر غير الحلم .

رقم الصورة : ١٢ (M)

عنوان الموضوع : مريض ضحية الاحتيال .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ المريض يريد أن يعرف سبب آلامه . تأملات .
ب ـ تأملات مسبقة للمعالج .

الموقف الانفعالي : نزعات عصبية . حذر . يشعر بأنه مستغلّ . يتألم . مرض . ضحية احتيال . غضب . المعالج : مجرم .

البطل : المريض . المعالج . (صديقة المعالج) .

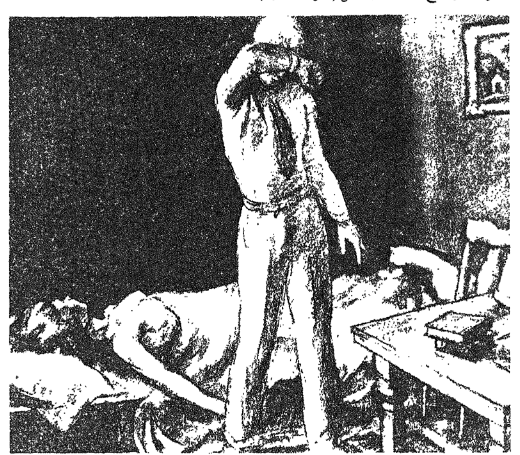
الوضع : حالة تنويم يسرق ماله خلالها .

الحل : لقد سرق . فقد ثقته . لا يعرف كيف يتصرف .

ملاحظات : العالم مخاصم للبطل . هو ضحية جريمة . ليس له حظ .

رقم الصورة : ١٣ (M. F)

عنوان الموضوع : محاولة قتل (جريمة عاطفية) .



العلاقة بين الصورة والقصة

ترابط العناصر فيما بينها : جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ تفكير عام عند المفحوص .

ب ـ الشخصيات تفكر بما تريد .

الموقف الانفعالي : جنسية . خيانة جنسية . عدم استقرار . غيرة . كبرياء مجروحة . عدوانية . سادية . خشونة . غمّ . شعور بالإثم . تبكيت الضمير . يحس بالراحة . يتحابان . حصلت ما كانت تريده .

البطل : الرجل . (المرأة) .

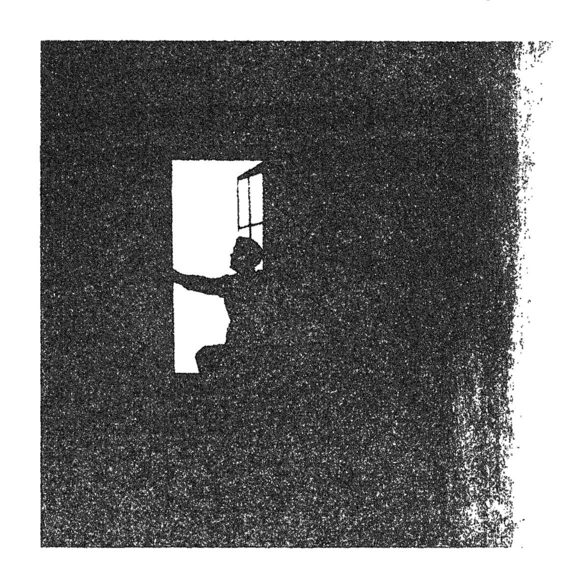
الوضع : بعد محاولة القتل .

الحل : كل شيء سوف يسوّى بشكل جيد نسبياً . سوف تعيش . وسوف يتزوج بها .

ملاحظات : جريمة عاطفية . تبكيت الضمير . يريد أن يصحح خطأه . ليس له حظ كبير .

رقم الصورة : ١٤ .

عنوان **الموضوع** : محاولة هرب من السجن .



العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يحاول أن يهتم بمعنى اللوحة .

ب ـ يفكر قليلاً . يندفع قليلاً تحت تأثير رغباته . يفكر فيها بعد .

الموقف الانفعالي : الرغبة في أن يكون حرّاً . يترك نفسه تنطلق حسب هواها . جريمة لمساعدة الأم (أوديب ؟) . السيد الخبيث (الأب ؟) . مستغلّ . تمرّد . حاكم بلا فهم . حوادث طارئة . مرض . خيبة أمل . شعور بالإثم . يريد التفكير . يرضى بالعقاب . رغبة في المساعدة .

البطل : الموقوف . (يضيف الأم والطبيب والسيد والحارس) .

الوضع : محاولة سطو غير ناجحة .

الحل : يبقى في السجن . وبعد اطلاق سراحه سوف يبحث عن عمل .

ملاحظات رضى. خيبة. أمل. العالم مخاصم له. ومع ذلك يوجد أناس مستعدون لتقديم المعونة إليه. يريد أن يكفر عن خطئه.)

الحل : التفاهم.

رقم الصورة ١٥ .

عنوان الموضوع : حياة عزلة بعد فقدان الأقربين .



العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة (انظر ١)

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يسرد انطباعاته وأفكاره .

ب ـ الرجل ذكي يفكر . ذكريات .

الموقف الانفعالي : شباب قاس وصعب . أهل فقراء . يموتون . تعلق بالأم (أوديب) . خوف من الأب . طموح . عمل . اختراعات . مستثمر . شقاء مع أبنائه . موت الصديق . وانتحار ابنته . حياة زوجية شقية . عشيقة . وحدة .

البطل : الرجل . (يضيف : المرأة والعشيقة والصديقة والأهل والأولاد) .

الوضع : في المقبرة يفكر في وحدته .

الحل : سوف يحاول ايجاد العزاء في عمله .

ملاحظات : انظر ١٤ : جمود . لقد فات الأوان عندما تبدي المرأة موافقتها على الطلاق . يفكر في حياته الخائبة . تذكر حرب عام ١٩١٤ (حمى اسبانية) هبوط عاطفي . (صورة مفزعة) .

رقم الصورة : ١٦ (مقوّى أبيض) .

عنوان الموضوع : مشهد غيرة في الحانة .

العلاقة بين الصورة والقصة: يصف المقهى والأشخاص .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ وصف الشخصيات ونقدها .
ب ـ قليل من الأفكار . الأشخاص يتصرفون غرزياً .

الموقف الانفعالي : جنسية . عدوانية . امرأة شعبية . وثمة رجال عديدون يحيطون بها . أزمة . فوضى . خوف العواقب . المرأة تصيح (خوف) . ضربت . الجريح أنقذ . كحول .

البطل : الرجل المعتدى عليه . (المعتدي . البنت . رئيس الأب في العمل . أشخاص آخرون) .

الوضع : البطل يهاجم من قبل رجل اختصم معه على امرأة .

الحل : الجريح ينقذ . يسلبه الآخر زوجته .

ملاحظات : يتقمص شخصية الجريح وهذا الجريح قد أنقذ . (انظر الصورة B. M ٨) ليس الحل حسناً ولا هو سيٍّء.

رقم الصورة (B. M) ١٧

عنوان الموضوع : اخفاق أحد المعتوهين في محاولته الهرب .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : آ ـ يحاكم . يحاول أن يقدم سبباً لتأويله .
ب ـ منطق المعتوه . يتصرّف حسب مخطط .

الموقف الانفعالي : معتوه . يشعر أنه مظلوم . يراد به سوء . عليه أن يدافع عن نفسه . ظلم . يريد أن ينشر العدل . انتقام . جنسية . يشتم المرأة . تمرد . عدوان . غضب. هرب . يشعر بأنه عارٍ . يعاقب . شعور بالإثم .

البطل : السجين . (يضيف رئيسه في العمل وزوجته ، رجال الشرطة والفلاحين . . .) .

الوضع : هرب من الملجأ .

الحل : أعيد إلى الملجأ .

ملاحظات : انظر ١٤ : هرب خائب . (جمود) . عداء المحيط . تمرّد . نزعات خيلائية . (نزعات جنسية مثلية ؟) .

رقم الصورة : ١٨ (B. M)

عنوان الموضوع : توقيف مجرم .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : يتصرف حسب موضوع وبشكل أخرق . يفكر في حياته .

الموقف الإنفعالي : عدوانّ . اجرام . عصيان . كسل . الأهل لا يهتمون به . جنسية . زير نساء . مستثمر . يسرق من أجل النساء . يسيطرن عليه . ينشر الإرهاب في حيّ بأكمله . المرأة تخونه . خوف من رجال الشرطة . شعور بالإثم . عقاب . عزلة . وحدة . رغبة في التكفير . سقوط آخر .

البطل : المجرم (الشرطة . يضيف المرأة) .

الوضع : في وقت التوقيف .

الحل : عقاب . سقوط آخر .

ملاحظات : عداء المحيط . تآمر . ضعف . ادّعاء . وحدة . يريد أن يكفّر عن خطيئته . لكنه لا ينجح .

رقم الصورة : ١٩ .
عنوان الموضوع : بعثة إلى القطب الشمالي .



العلاقة بين الصورة والقصة : جيدة (انظر ١) .
ترابط العناصر فيما بينها : جيد (انظر ١) .
الموقف العقلاني : يبني القصة بناء صنعياً جداً . تقدير للعلم وللعمل الفكري .

الموقف الانفعالي : رجال شجعان . شغف بالعمل . يأمل في القيام باكتشافات . قيمة العمل . طموح . مجد . وحدة .

البطل : العلماء .

الموضع : في القطب .

الحل : كلّلوا بالمجد والشرف حين رجعوا .

ملاحظات : حتى هنا مسألة عزلة . البطل يتساءل عن قيمة العمل والحياة . إنه غير راض .

رقم الصورة : ٢٠ .
عنوان الموضوع : عزلة عميقة .



العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة (انظر ١) .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد (انظر ١) .

الموقف العقلاني : عمل رتيب . يزعم أن التمرد لا يجدي . يفكر .

الموقف الانفعالي : وحـدة . غمّ . قلق . إنـه يجـري دائـماً . تعب . عـمـل منفّـر يحسّ بالشيخوخة . وحيد . المرأة ميتة . الصديقة هجرته . ليس عنده أولاد . خيبة أمل . يحاول أن يشجع نفسه .

البـطـل : الرجل المتّكيء على أنبوب الغاز .

الـوضـع : عزلة . لا يستطيع أن يبقى في البيت .

الـحـل : يعود إلى البيت . سوف يشتغل .

مـلاحـظـات خيبـة أمـل . عـدم جـدوى التمرد . ينقصه الحظ . عزلة . رأي تـشـاؤمي عن الحياة .

أ . ستاين

رائــز فــهم الموضوع (موراي)

ت . أ . ت

الجدول الأول (ب)

الجدول الأول (ب)

رقم الصورة : ١ .

العائلة : الأهل يريدون أن يتعلم الصبي العزف على الكمان . وهو لا يريد . يقولون له ما يعملون من أجله .

الحب . الجنس . الزواج

العمل . المهنة : الصبي لا يملك الرغبة في تعلم الكمان .

العلاقات الاجتماعية : يريد أن يلعب مع رفاقه .

معضـــلات أخرى : يبحث عن سعادته .

رقم الصورة : ٢ .

العائلة : الفتاة انفصلت عن أهلها . وهي تشعر أنها أعلى مستوى منهم وأرفع . يتسير إلى الأخ . الفتاة لا تعير مفاهيم أهلها أيّ قيمة . لكنها تخشاهم . صراع بين جيلين غير مفهوم .

الحب . الجنس . الزواج : الرجل والمرأة يعملان سوية . للبنت صديق تخشى فقدانه .

العمل . المهنة : عمل في الأرض . الرجل يعمل في الأرض . والمرأة في البيت . الولد سيرث الحقل . البنت تدرس .

العلاقات الإجتماعية

معضـــلات أخرى : البنت انفصلت عن الأعراف المتبعة الجارية . ولكن لديها أمراً يقلقها .

رقم الصورة : ٣ (B. M)

العائلة

الحب . الجنس . الزواج : تهجره العشيقة حين تكتشف أنه لا يملك المال . يأس . أفكار قتل وانتحار . يتغلب على هذه الأفكار .

معضـــلات أخرى : الحياة تقدم من المتاعب أكثر مما تقدم من السعادة .

رقم الصورة : ٤

العائلة

الحب . الجنس . الزواج : أزمة بين الرجل وعشيقته . خيانة الأثنين كليهما . خلاف . قسوة .

العمل . المهنة

العلاقات الاجتماعية . . .

معضلات أخرى كبرياء مجروحة: تستسلم لإغوائه الدني.

رقم الصورة : ٥ .

العائلة : أم وأولاد . الأولاد صخبون . يعاقبون . يفكر بأبيه وبأخيه .

الحب . الجنس . الزواج : حياة زوجية . المرأة تخاف على زوجها (حادث طارىء) .

العمل . المهنة

العلاقات الاجتماعية .

معضلات اخرى قلق. عدم تأكد. فقد الطمأنينة

رقم الصورة : ٦

العائلة : أزمــة بـين أم وابن . الأم ضحّت كثيــراً في سبيـل ابنهـا . الإبن لا يعـترف بالجميل . الأم متجهة نحو الإبن . مخـاصمة مـع الكنّة . تـرفض اعطاء ابنهـا المال .

الحب . الجنس . الزواج : حيـاة زوجية شقيـة . روج ميت . الزوجـة لا تـتزوج مـرة أخـرى . ليس لهـا عشيق . الإبن واقع تحت سيطرة امرأته جنسياً .

العمل . المهنة

العلاقات الاجتماعية . : المرأة الشابة تقترص وتستدين كثيراً. وبذّر.

معضـــلات أخرى

رقم الصورة : ٧ .

العائلة

الحب . الجنس . الزواج : الشاب يريد أن يتزوج . يتعلق بآخر أكبر منه (جنسية مثلية ؟) .

العمل . المهنة

العلاقات الاجتماعية : الصغير اقترف جرماً . والكبير يعرف ذلك . ويجعله يغنّي . الصغير لا يعرف كيف يتخلّص منه .

معضـــلات أخرى ....

رقم الصورة : ٨ (B. M)

العائلة . .... .

الحب . الجنس . الزواج : عمل امرأة . الصغير خدع الكبير مع زوجته . انتقام غيرة . مبارزة . طلاق . الكبير يتزوج ثانية .

العمل . المهنة : الأطباء يجرون عملية .

العلاقات الإجتماعية : مبارزة .

معضـــلات أخرى : كبرياء مجروحة . طموح . تبكيت الضمير .

رقم الصورة : ٩ (B. M)

العائلة .

الحب . الجنس . الزواج

العمل . المهنة

العلاقات الإجتماعية : هجوم مسلّح (في عصابة) . اخفاق ، فرار .

معضـــلات أخرى : عدم اكتراث أخلاقي .

رقم الصورة : ١٠ .

العائلة : أهل الشخصين يعارضان في زواجهما . يرضخان . فيصبحان شقيّين .

الحب . الجنس . **الزواج** : حياة زوجية شقيّة . بعد أن هجر أحدهما الآخر . لقاء متأخر . فات الأوان .

العمل . المهنة

العلاقات الإجتماعية .

(معضلات أخرى) : خيبة الحياة تمضي . ويفوت الأوان قبل أن يجد السعادة . القضاء والقدر . رضى .

رقم الصورة : ١١ .

العائلة . .

الحب . الجنس . الزواج : حب متبادل بين شخصين شابيّن يريدان أن يكونـا وحدهمـا . غمّ . متاعب . خلاف . كل شيء ينهار .

العمل . المهنة. . .

العلاقات الاجتماعية : تدخّل الجنية .

معضــلات أخرى : شقيّان بوحدتها . اخفاق (حلم) .

رقم الصورة : ١٢ .

العائلة ....

الحب . الجنس . الزواج . . . .

العمل . المهنة : لا يفهم الأطباء هذا المرض . يجعلونه يدفع أكثر . المعالج دجّال .

العلاقات الاجتماعية: دجّال ماهر يسرق الناس .

معضــلات أخرى : ليست عنده ثقة بشيء .

رقم الصورة : ١٣ (M. F)

العائلة

الحب . الجنس . الزواج : حب . دجـل . خيانـة . غيرة. يـذهب مع نسـاء أخريـات . تريـد أن تثيره (لعب) . قسوة . سادية . ربما يتزوج منها .

العمل . المهنة

العلاقات الاجتماعية : عدوانية . يطرح المرأة على الأرض . لكنها تستعيد قوتها .

معضــلات أخرى : المرأة تستغلّ الرجل . الجنس يجلب لهما المتاعب .

رقم الصورة : ١٤ .

العائلة : حنين إلى الأسرة .

الحب . الجنس . الزواج

العمل . المهنة : المستخـدِم سيء . والمستخدَم مستغَـلّ . القـاضي لا يفهم . الحـارس طيّب . كذلك الطبيب . خوف من عدم العثور على عمل .

العلاقات الاجتماعية: الرجل في السجن بسبب جنحـة تافهـة . يريـد أن يهرب . حـادث . ينتظر . يقبل بالعقاب .

معضـــلات أخرى : رغبة في أن يكون طليقاً . لا شيء اللهم إلا الخيبة في الحياة .

رقم الصورة : ١٥ .
العائلة : طفـولة قـاسية . أهـل فقراء . شكـوك . موت . يتعلق بـالأم وليس بالأب . للعم ثلاثة أولاد ينتحر أحدهم .
الحب . الجنس . الزواج : حياة زوجية شقيّة . يجد امرأة أخرى يحبها . امرأة لا تريد الـطلاق . الأخرى تموت (فيما بعد) .
العمل . المهنة : عمل . عامل فني مستثمر . يعزي نفسه بالعمل .
العلاقات الاجتماعية : إنه مستغَلّ .
معضـــلات أخرى : حياة خائبة .

رقم الصورة : ١٦ .
العائلة
الحب . الجنس . الزواج : امرأة شهوانية ومن عامة الشعب . سكر . رجال . أزمة بسبب المرأة .
العمل . المهنة : صاحب مقهى . طبيب . عملية .
العلاقات الاجتماعية : عدوان بسبب الغيرة . جرح أحدهم . قسوة ازاء المرأة .
معضـــلات أخرى : الجنس يجلب له المتاعب .

رقم الصورة : ١٧ (B. M)
العائلة
الحب . الجنس . الزواج : يشتم زوجة رئيسه .
العمل . المهنة : ملجأ معتوهين . علاقات بين رئيس ومستخدمين . تقدم . هرب . عقاب .
العلاقات الاجتماعية : ظلم . عدم تقدم . عدوان . يشتم زوجة رئيسه . حالة خبل .
معضـــلات أخرى : خيلاء (بارانويا) .

رقم الصورة : ١٨ (B. M)
العائلة : الأهل لم يعنوا به .
الحب . الجنس . الزواج : زير نساء . تستثمره النساء . تآمر . يزرع الفزع . مزاج ضعيف .
العمل . المهنة : كسل . خوف من عدم العثور على العمل .

العلاقات الاجتماعية: أصدقاء شريرون . المرأة تدفعه نحو الجريمة . (سرقة . هجمات) . تآمر . تسيطر عليه . تفاخر . المرأة تكشفه . سجن . انتقام .

معضــلات أخرى : انتقام . يريد التكفير لكنه لا ينجح .

رقم الصورة : ١٩ .

العائلة .

الحب . الجنس . الزواج .

العمل . المهنة : بعثة قطبية . أبحاث علمية . يعيشون من أجل عملهم .

العلاقات الاجتماعية : معزولان عن العالم .

معضــلات أخرى : عدم تأكد فيما يتعلق بالعمل والحياة .

رقم الصورة : ٢٠ .

العائلة

الحب . الجنس . الزواج : المرأة تموت . والعشيقة تهجره .

العمل . المهنة : عمل رتيب . وهو منفّر . وغير مرض . عدم امكان الخلاص منه .

العلاقات الاجتماعية : وحدة .

معضــلات أخرى : يتساءل عن قيمة الحياة . خيبة عدم امكان التخلص من الشقاء .

أ . ستاين
رائز فهم الموضوع (موراي)
(ت . أ . ت)
الجدول الثاني (أ)

رقم الصورة : ١ .

عنوان الموضوع : الولد يكسر الكمان .

العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . ينطلق من الوضع ويبني قصته .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد . قصة قصيرة .

الموقف العقلاني : الصبي يلاحظ . ينظر . يبدو كأنه يفكر .

الموقف الانفعالي : ملل . غريزة التخريب . عدوانية .

البطل : الصبي .

الوضع : أمام الكمان .

الحل : يكسر الكمان لكي لا يستخدمها مرة ثانية .

ملاحظات : لا يحب اجراء التمارين ولا يجد إلا حلاً واحداً هو : التخريب .

رقم الصورة : ٢ .

عنوان الموضوع : المرأة الثرية تصبح فلاحة .

العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . لكنه لا يرى إلا شخصاً واحداً .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : ينتقد ؟ المرأة الغنية لا تحتاج إلى العمل . إنه يلاحظ .

الموقف الانفعالي : غيرة المرأة الغنية . ظلم . المفحوص يتمردّ . لكنها سوف تعمل . شعور المرأة بالإثم .

البطل : المرأة الغنية .

الوضع : في الريف .

الحل : سوف تعمل .

ملاحظات : لا يتقمص شخصية البطل . بل إنه لينتقده . عدوانية ما تلبث أن تهدأ (كبت) . أزمة نفسية داخلية .

رقم الصورة : ٣ (B. M)

عنوان الموضوع : الولد العاقّ .

العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة . يتجاهل المكان . ينطلق من الوضع .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : منطق الوقائع .

الموقف الانفعالي : عصيان . غمّ لأنه فقد ذويه . يبكي . شعور بالإثم . عقاب . حاجة إلى المعونة . يجد النجدة . أهل يفتشون عن الولد . جنسية .

البطل : الصبي . (يضيف السيد والأهل) .

الوضع : يبكي لأنه أضاع أهله .

الحل : يجد أهله ثانية .

ملاحظات أزمة بين الأهل والأولاد. يعاقب بالوقائع نفسها.

رقم الصورة : ٤ .

عنوان الموضوع : انتقام مسموح به

العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . لكنه لا يرى الشخص الثالث . ينطلق من الوضع .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : ينسب لنفسه الحق في اقامة العدالة . الشرطة تفهم .

الموقف الانفعالي : كبرياء مجروحة . طموح . عدوانية . قسوة . يريد أن ينتقم وأن يحصل على حقه . امرأة تحاول تهدئته عبثاً . جنسية . غيرة . لم يعاقب .

البطل : الرجل . المرأة . (يضيف الشرطة) .

الوضع : المرأة تحاول أن توقفه .

الحل : لم يعاقب .

ملاحظات : أزمة بين رجل وامرأة . وبين رجل وخصم له . حسّ العدالة . يشعر أنه يقيم العدل . يدافع عن شرف المرأة . ادّعاء .

رقم الصورة : ٥

عنوان الموضوع : عقاب صبي لتماديه في المزاح .

العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . يرى الوضع .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : منطق الوقائع . يختار اليوم الذي يكون فيه أبوه غائباً .
الموقف الانفعالي : ساخر . عدوانية . خبث . عصيان . جبن . خوف من الأب . شعور بالإثم . يقبل بالعقاب . لا يريد أن يعاود الكرّة . الأم قاسية .
البطل : الولد (مضاف) . الأم .
الوضع : الأم تبحث عن الصبي .
الحل : ليس لديه ما يأكله .
ملاحظات : أزمة أم - ولد، المتعاقب عن طريق منطق الوقائع كما في ٣ (B. M)

رقم الصورة : ٦ (B. M)
عنوان الموضوع : شجار بين أم وابنها .
العلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : الولد يفكر بسلوكه ازاء أمه .
الموقف الانفعالي : خصام . عدوانية . شعور بالإثم . الأم تلوم ابنها . جنسية . يريد أن يتزوج . غيرة الأم . يعانقها .
البطل : الابن (الأم) .
الوضع : شرح بين أم وابن .
الحل : صلح .
ملاحظات : أزمة ابن - أم . شعور بالذنب واضح جداً . يشعر أنه متعلق بأمه (أوديب) .

رقم الصورة : ٧ (B. M)
عنوان الموضوع : محادثة بين الأب والابن حول مستقبل الإبن .
العلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : الإبن يفكر . والأب يقدم نصائحه . العامل العقلاني يسيطر .
الموقف الانفعالي : علاقة أب - ابن . جنسية . يتزوج . يحصل على أولاد . يشتغل في سبيل أسرته . حياة سعيدة .

البطل : الابن (والأب) .
الوضع : محادثة حول المستقبل .
الحل : الإبن سوف يكون سعيداً . وسوف يتزوج .
ملاحظات : مخطط الحياة مرسوم هنا (مرحلة ما قبل البلوغ) . لا توجد أزمة بل تفاهم بين الأب والابن .

رقم الصورة : ٨ (B. M)
عنوان الموضوع : الشاب يعترف بالجميل ويريد انقاذ الآخر .
العلاقة بين الصورة والقصة : متواضعة .
ترابط العناصر فيما بينها : جيد .

الموقف العقلاني : الصبي يفكر بما يستطيع فعله . يحب تقديم المساعدة . ويحب ابداء عرفانه بالجميل .
الموقف الانفعالي : الصبي متعلق بالرجل الذي أنقذه . عرفان بالجميل . أريحية . يريد أن يقدم المساعدة وأن ينقذ (شعور بالإثم) يكافأ ويصبح سعيداً .
البطل : الصبي . (والمريض الذي تجري له العملية) .
الوضع : عملية . الصبي يقدم دمه .
الحل : الرجل أنقذ . والطفل كوفيء . وهو سعيد .
ملاحظات : نهاية حسنة . يبين أن البطل قادر على القيام بأعمال حسنة . من يعمل عملاً صالحاً يكافأ . (المفهوم الأخلاقي عند الطفل) . يتيم . يستقبله الآخر (ذكريات الحرب) .

رقم الصورة : ٩ (B. M)
عنوان الموضوع : لصوص يهاجمون سكارى .
العلاقة بين الصورة والقصة : متواضعة .
ترابط العناصر فيما بينها : جيد .
الموقف العقلاني : قليل من الفكير . منطق الوقائع .
الموقف الانفعالي : لصوص . عدوانية . سكارى . شعور بالإثم . عقوبات عادلة . السكارى يريدون التكفير عن أخطائهم .
البطل : اللصوص . (السكاري).

الـوضـــع : استراحة السكارى .
الـحـــل : لقد تعرضوا للسرقة . ويريدون التكفير .
مـلاحـظـات : مرة أخرى منطق الوقائع وضرورة تقبل العقوبات العادلة . أزمة اجتماعية .

رقـم الصــورة : ١٠
عنوان الموضوع : الابن يسند أباه .
العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة جداً . يهمل الشخصيات .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يقول لنفسه أن عليه أن يحبّ أباه . يفكر .
الموقف الانفعالي : حب أب ـ ابن . قليل من التصنّع . عرفان بالجميل . ولكن مع برودة .
الـبـطـل : الابن . (الأب) .
الـوضـــع : يتعانقان .
الـحـــل : الولد يعنى بأبيه . حياة سعيدة .
مـلاحـظـات : هنا لا توجد أزمة بل تفاهم حسن . عرفان بالجميل ولكن مع عدم اكتراث .

رقم الصورة : ١١ .
عنوان الموضوع : الأسماك « ترهق » الصيادين .
العلاقة بين الصورة والقصة: سيئة .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : الأسماك « تلمح نفسها » وهي محتالة . لكن الصيادين « يدبرّون أمرهم » .
الموقف الإنفعالي : حيلة . تريد الإفلات من الخطر . تمزح مع الصيادين . تختفي (تمرّد) .
الصيادون منزعجون . لكنهم مصمموّن .
الـبـطـل : الأسماك . (الصيادون) .
الـوضـــع : وصول الصيادين . الأسماك تختفي .
الـحـــل : نتائج قليلة للصيادين .
مـلاحـظـات : انظر الصورة (٥) . من المحتمل أن الأسماك ترمز للأولاد والصيادين للأهل
أزمة أولاد ـ آباء .

رقم الصورة : ١٢ (M)

عنوان الموضوع : شفاء بمعجزة .

العلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يلاحظ . يصف . مخطط مدروس عند المعالج .

الموقف الإنفعالي : مرض وعذاب . يؤمن بالمعجزات . المريض يعود إلى الحياة . طموح . رغبة في المجد ، وفي أن يعترف به وأن يصفّق له وأن يفعل شيئاً ذا قيمة .

البطل : المعالج . (المريض) .

الوضع : مشهد شفاء .

الحل : شفاء . المعالج ينال الشهرة .

ملاحظات : ارادة تمثيل دور وتقدير ربما كانت مرتكزة على الشعور بالنقص .

رقم الصورة : ١٢ (B. M)

عنوان الموضوع : رجل على وشك الغرق .

العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة . ينطلق من أحد التفصيلات .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يقدم انطباعات وملاحظات .

الموقف الانفعالي : الرجل على وشك الموت (في الماء) موت . غمّ . أعجوبة ـ شجاعة . مستعدّ للمخاطرة بحياته . طموح . رغبة في التقدير وفي القيام بعمل .

البطل : المنقذ . (الرجل المصاب) .

الوضع : يلاحظ أن انساناً في خطر .

الحل : ينقذه . البطل ينال التقدير .

ملاحظات : نفور ذاتي . العوامل ذاتها الموجودة في ١٢ (M)

رقم الصورة : ١٣ (B)
عنوان الموضوع : حماسة في سبيل الوطن .
العلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : البطل يفكر بما يستطيع عمله .

الموقف الانفعالي : حلم في انجاز أمر عظيم . دون أن يفقد حسّ الحقيقة (المستعمرات) . يوفّر ليبلغ غايته . أريحية . حماسة . يريد أن يلعب دوراً .
البطل : الصبي الصغير . (يضيف آخرين) .
الوضع : حلم عن اكتشافاته .
الحل : ينجح في أمر عظيم .
ملاحظات : حماسة في سبيل غاية وطنية، أريحية. انظر ٨ (B. M ـ وأيضاً ١٢M ـ ١٣ B.M (رغبة في القيام بلعب دور طموح) (ص ١٥٢).

رقم الصورة : ١٤ .

عنوان الموضوع : اكتشاف القمر .
العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يهتم بالعلوم وبالدراسة والعمل .

الموقف الانفعالي : فرح بالقيام باكتشافات . طموح . حلم بأعمال مجيدة .
البطل : البحاثة .
الوضع : يلاحظ القمر والنجوم .
الحل : يقوم باكتشافات عظيمة .
ملاحظات : الدوافع نفسها . طموح . حلم حول اكتشافاته . يريد أن يلعب دوراً .

رقم الصورة : ١٥ .

عنوان الموضوع : بعث الموتى .

العلاقة بين الصورة والقصة: جيدة . بالأحرى تفصيلات .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : الرجل يفكر و « يقول لنفسه » .

الموقف الانفعالي : أعجوبة . معجزة . دين . حماسة . نضال . عدوانية . ادعاء . طموح .

البطل : الرجل . والأموات الذين بعثوا إلى قيد الحياة .

الوضع : صلاة في المقبرة .

الحل : نصر في الوطن .

ملاحظات : يتناول ثانية عوامل B ١٢ - غاية وطنية، تبجح، طموح، عامل ديني (ص ١٥٣).

رقم الصورة : ١٦ .

عنوان الموضوع : اللصوص يفاجأون .

العلاقة بين الصورة والقصة : (مقوى أبيض) .

ترابط العناصر فيها بينها : جيد .

الموقف العقلاني : الشاب يتصرّف حسب مخطط موضوع .

الانفعالي : طموح . مغامر . عدواني . الصبي في خوف . اللصوص يُقتلون . يُعاقبون . شعور بالذنب .

البطل : الشاب . (الولد والشرطة) .

الوضع : الشاب يطارد المجرمين .

الحل : يعاقب اللصوص . ويكافأ الشاب .

ملاحظات : أيضاً التبجح والطموح ولكن ضمن شروط أخرى . (شعور بالندم) .

رقم الصورة : ١٧ (B. M)

عنوان الموضوع : حياة البحارة القاسية .

العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : أفكار عامة .

الموقف الانفعالي : شفقة . تمرد . يريد أن يفعل شيئاً وينظم أموره . بعض الأريحية .
البطل : المرأة . (العمال) .
الوضع : المرأة تلاحظ العمال .
الحل : مشروعات لتحسين ظروف العمال .
ملاحظات : مثل أعلى اجتماعي، تمرد (انظر ٩ B.M حيث توجد أزمة اجتماعية أيضاً) (ص ١٥٤).

رقم الصورة : ١٨ (B. M)
عنوان الموضوع : الشاب والمجرمون .
العلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يتصرف بعد تفكير .
الموقف الانفعالي : طموح . حسّ المغامرة . عدوانية . شجاعة . تخريب . ادّعاء . حسّ العدالة . شعور بالإثم . عقاب .
البطل : الشاب . (اللصوص والشرطة) .
الوضع : توقيف اللصوص .
الحل : يعاقب اللصوص .
ملاحظات : ينحاز إلى جانب النظام والشرطة . العوامل نفسها أيضاً : طموح . تبجح . (شعور بالذنب ؟) .

رقم الصورة : ١٩ .
عنوان الموضوع : سفينة نوح .
الغلاقة بين الصورة والقصة: انظر ٥ .
ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : قصة سردت حسب نموذج سابق .
الموقف الانفعالي : خوف . قلق . يفكر في الموت . رغبة في الخلاص . أعجوبة .
البطل : الرجال الموجودون على ظهر المركب .
الوضع : خطر الموت .

الحـــل : تمّ انقاذهم .

مـلاحـظـات : قصة من طراز غير شخصي . ذكريـات دينية . ولكن هنـاك بعض العوامـل : قلق . حسّ المعجزة .

رقم الصورة : ٢٠ .

عنوان الموضوع : « العصابة » تفاجّأ .

العلاقة بين الصورة والقصة: متواضعة .

ترابط العناصر فيما بينها: جيد .

الموقف العقلاني : يتصرفون بعد تفكير .

الموقف الانفعالي : حسّ المغـامرة . يقيم العـدل . يريـد أن يلعب دوراً . لصوص . عـدوانية . حيلة . طموح . ادعاء . شعور بالإثم . عقاب .

البـطـل : الشاب . (اللصوص والشرطة) .

الـوضـع : يفاجىء لما في الطريق .

الـحـــل : توقيف اللصوص .

مـحـظـات : وضع . انظر القصتين ١٦ ، ١٨ . ينحاز إلى جانب النظام . قاس . (شعور بالإثم ؟) .

أ . ستاين
رائز فهم الموضوع (موراي)
الجدول الثاني (ب)

رقم الصورة

العائلة

الحب . الجنس . الزواج .

العمل والمهنة : لا يحب أن يجري التمارين . يكسر الكمان .

العلاقات الاجتماعية

معضـلات أخرى

رقم الصورة : ٢ .

العائلة . ..

الحب . الجنس . الزواج . .

العمل والمهنة : المرأة الثرية التي تستطيع أن تسمح لنفسها بكل شيء تذهب إلى الريف وتصبح فلاحة .

العلاقات الاجتماعية

معضـلات أخرى ..

رقم الصورة : ٣ (B .M)

العائلة : الصبي الذي يعصي أهل بيته. ويخاف . ويريد لقاء أهله الذين يبحثون عنه .

الحـب . الجنس . الزواج ....

العمل والمهنة

العلاقات الاجتماعية : « سيد » لا يعرفه الولد يقوم بمساعدته .

معضـلات أخرى ... .

رقم الصورة : ٤ .
العائلة .. .. ..
الحب . الجنس . الزواج : زوج وامرأة . رجل آخر شتم المرأة . الزوج يدافع عنها .
العمل والمهنة
العلاقات الاجتماعية: له الحق في أن يعاقب الآخر الذي أخطأ .
معضـلات أخرى ....

رقم الصورة : ٥ .
العائلة : الولد يمثل دوراً مع أمه . يخاف من أبيه ومن العقاب . الأم تعاقبه .
الحب . الجنس . الزواج ....
العمل والمهنة
العلاقات الاجتماعية. . . . .
معضـلات أخرى ....

رقم الصورة : ٦ (B. M)
العائلة : أم وابن . خلاف . الأم تلوم ابنها . وهو متعلق بها . يعانقها . صلح .
الحب . الجنس . الزواج : الإبن يريد أن يتزوج ويعرف أن ذلك يحزن أمه .
العمل والمهنة
العلاقات الاجتماعية .
معضـلات أخرى . . . . . .

رقم الصورة : ٧ (B. M)
العائلة : أب وابنه . الأب يقدم نصائح لإبنه .
الحب . الجنس . الزواج : سوف يتزوج الإبن . وسوف يكون له أبناء . وسوف يسعد معهم .
العمل والمهنة : من الواجب عليه أن يعمل لكي يعين أهله .
العلاقات الإجتماعية .
معضـلات أخرى . ..

رقم الصورة : ٨ (B. M)

العائلة . ..

الحب . الجنس . الزواج .

العمل والمهنة

العلاقات الاجتماعية : مستعد لمساعدة الرجل الذي أنقذه . عارف بالجميل . الرجل يحتفظ به .

معضـــلات أخرى : عرفان بالجميل .

رقم الصورة : ٩ (B. M)

العائلة . ..

الحب . الجنس . الزواج .

العمل والمهنة

العلاقات الاجتماعية : لصوص . مشردون . سكارى . اللصوص يرون السكارى .

معضـــلات أخرى .....

رقم الصورة : ١٠ .

العائلة : أب ـ ابن . الأب يحب ابنه كثيراً . الابن « يجب عليه » أن يحبّ أباه ويعطيه المال لكي يحيى حياة سعيدة معه .

الحب . الجنس . الزواج ....

العمل والمهنة : الإبن يعمل ويقدم النقود لأبيه . يربح كثيراً .

العلاقات الاجتماعية . .

معضـــلات أخرى ...

رقم الصورة : ١١ .

العائلة : الأسماك ترمز للأولاد والصيّاد للأهل . تمرّد الأسماك .

الحب . الجنس . الزواج .. . .

العمل والمهنة : الصيّادون .

العلاقات الاجتماعية .

معضـــلات أخرى . .

رقم الصورة : ١٢ (M)
العائلة
الحب . الجنس . الزواج
العمل والمهنة : علاقات بين المعالج والمريض . (أطباء) . شفاء بمعجزة .
العلاقات الاجتماعية : الآخرون يقدّرون المعالج .
معضـــلات أخرى : تبجّح . طموح .

رقم الصورة : ١٣ (B. M)
العائلة .
الحب . الجنس . الزواج
العمل والمهنة : صيّاد .
العلاقات الاجتماعية : مستعد لتقديم المساعدة . ينقذ رجلاً . يصبح محترماً .
معضـــلات أخرى : تبجّح ،. طموح .

رقـم الصـــورة
(B) ١٣
العائلة .
الحب . الجنس . الزواج .
العمل والمهنة : الولد يريد اقامة « مستعمرة» . وتنظيم شيء عظيم . ويعمل بنجاح .
العلاقات الاجتماعية : يسهم مع الآخرين . ويكافأ .
معضـــلات أخرى : مثل أعلى وطني . طموح . تبجّح .

رقم الصورة : ١٤ .
العائلة ....
الحب . الجنس . الزواج .
العمل والمهنة : الرجل يريد أن يحقق اكتشافات . علوم . يذهب إلى القمر .
العلاقات الاجتماعية : يتعاون مع الآخرين .
معضـــلات أخرى : طموح . يريد أن يصبح شهيراً .

رقم الصورة : ١٥

العائلة .. ..

الحب . الجنس الزواج .. ..

العمل والمهنة

العلاقات الاجتماعية: يناضل في سبيل بلاده . بعث الموتى .

معضلات أخرى : طموح . مجد . مثل أعلى وطني .

رقم الصورة : ١٦ .

العائلة ....

الحب . الجنس . الزواج ... ..

العمل والمهنة : عمل الشرطة .

العلاقات الاجتماعية: لصوص . مجرم . شرطة . الشاب يراقب ويلاحق اللصوص .

معضلات أخرى : تبجح . طموح . ينحاز إلى جانب النظام .

رقم الصورة : ١٧ (B. M)

العائلة .

الحب . الجنس . الزواج . ..

العمل والمهنة : عمل عمال المراكب . حياة قاسية يجب تنظيمها .

العلاقات الاجتماعية: معضلة اجتماعية . مساعدة متبادلة . تنظيم الرجال .

معضلات أخرى : مثل أعلى اجتماعي . تعاون .

رقم الصورة : ١٨ (B. M)

العائلة ....

الحب . الجنس . الزواج

العمل والمهنة : عمل الشرطة .

العلاقات الاجتماعية: المجرم الذي يسرق ويقتل . الشاب يطارده ويوقفه . شعور بالإثم .

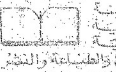
معضلات أخرى : طموح .

رقم الصورة : ١٩ .
العائلة . .
الحب . الجنس . الزواج . .
العمل والمهنة : البحر . عمال المراكب .
العلاقات الاجتماعية
معضلات أخرى : بؤس . قلق . يأس . انقاذ بمعجزة .

رقم الصورة : ٢٠ .
العائلة . ....
الحب . الجنس . الزواج . ....
العمل والمهنة : عمل الشرطة .
العلاقات الاجتماعية: لصوص . مجرمون . أوقفوا .
معضلات أخرى : طموح . تبجّح . ينحاز إلى جانب النظام .

الفهرس

[illegible]



المؤسسة
اللبنانية
الحديثة
للتوزيع والطباعة والنشر
بيروت - لبنان